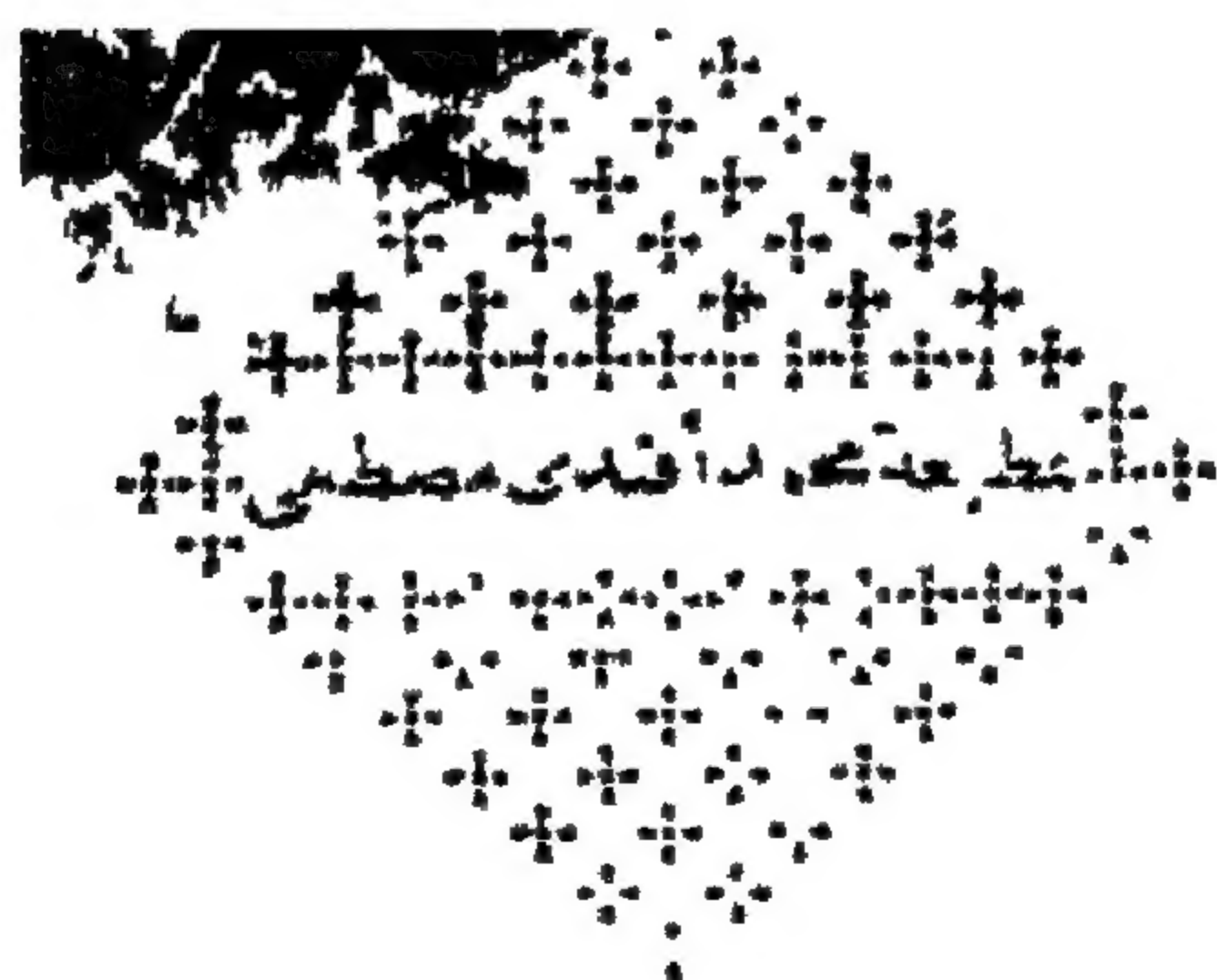




محاضر
٢١٩

نتائج الاحوال في الاقوال والافعال لدوحة الادب والبراعه
وربة لتريفة السلسلة المطواعة والدراية الراسخة
التي لمساتهم اناسه الرافدة في حقل السرور
والحبور المصونة عاتشنة تحت بند
المرحوم اسمعيل باشا يمور ادلم
لله عيالها وباعها
أمانهم آمين



واحد منبسر

١٣٣٨

فن منبسر

الحرف ٤

منبسر

١٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من أنار لولي البصيرة مصباح الفلاح والهدى * وجعل ذلك السنا سراجا وهاجا
في سبيل النجاح لمن اهتدى * وأفعم زجاجة الفكر من صافي عطر التأمل والاستبصار *
حتى غدت بلاوامع المعرفة كأنها كوكب دري يكادز يتهاىضى * ولولم تفسسه نار * فحمد
من زين صحائف أصدق الحديث بأحسن محاسن البيان * وأشرق في مطالع أفكار
كل عارف جوهر ختام ففهمناها سليمان * فيا لها منة خصت بها الحقيقة الانسانية *
ونعمة تشرفت بها النفس الناطقة فكان لها فائق الفضل والأسبقية * فاذا يجب
على من تحقق بفضيلة الانسانية الطاهرة * ونقلا بجلى تلك المواهب الربانية الباهرة *
أن يجعل حقيقة المعرفة مجال حذقة أنظاره * ومقتطف ثمار الادراك موضع سواخ
أفكاره * وان يطيل في فدافد التأمل سعيه محترسا عن زلة القدم * مستحضبا
لثابت العزم المتين متعرضا لعواطف الكرم * وان يتفقد بدقة الامعان مواطن
الهداية * حتى يصل بدلالة التبصر لماوى الامل والوقايه * فنسأله التوفيق لحسن
السلوك * والمنه بعثق كل عبد في يد الغفلة عمالوك * والصلاة والسلام على حبيب
امام المتقين وشفيع المذنبين * وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين * وبعد *
فتقول ذات الجناح المكسور * عائشة عصمت بنت المرحوم اسمعيل باشا تيمور * انى
من يدانطوى وسادمه هدى * وجال على بساط البسيطة قدى * وأدركت مواطن
غوايتى ورشدى * ووعيت حرمة والدى وجدى * أجد طفل قصدى شغفار ضاع

أخبار من غير من الأمم * وكهل جدي مائلا إلى استقصاء ما حديث من كان في سالف
القدم * فكنت أشغف بمسامرة الكبر من النساء لسماع أحسن الخبر * والتقط
من تلك النوادر أعاجيب القدر * وأتأمل ب استطاع جهدي فيما يرد علي من أنواع الجدد
والهز * وأتطف ما يسعه وعاءوعي من ثم ذلك السمر * حيث لا طاقة لي على خلاف
ذلك السماع * ولا سبل لسنني إلى التمتع بغير ذلك المتاع * فلما تنهيا العقل للترقي *
وباغ الفهم درجة الناق * تقدمت إلى ربة الحنانة والعفاف * وذخيرة المعرفة
والانحاف * والدي تغمد بها الله بالرحمة والغفران بادوات التطريز والنسيج وصارت
تجدي في تعلبي * وتجتهد في تغطني وتفهمي * وأنا لا أستطيع الناق * ولا أقبل في
سرة النساء الترقى * وكنت أفر منها فرارا الصيد من الشباك * وأنها فت على حضور
محافل الكتاب يدون ارتباك * فأجد سرير القلم في القراطيس أشهى نعمة * وأتصدق
أن اللهاق بهذه الطائفة أوفى نعمة * وكنت أقمس من شوقي قطع القراطيس وصغار
الأقلام * وأتتكف منفردة عن الانام * وأقلد الكتاب في التصريح * لا تنهج بسماع
هذا الصبر * وتأني والدي وتغنني بالتكدير والتهديد فلم أزد إلا نفورا * وعن صنعة
التطريز قصورا * فبادر والدي تغمد الله بالغفران ثراه * وجعل غرف الفردوس
مأواه * وقال لهادي لي هذه الطفيلة للقراطيس والقلم * ودونك شقيقة تهاو أذبيها
بما شئت من الحكيم * ثم أشتد بيدي وخرج بي إلى محفل الكتاب ورتب لي استاذين
أحدهما لتعليم اللغة الفارسية * والثاني لتأقن العلوم العربية * وصار يسمع
ما أتلقاه من الدروس كل ليلة بنفسه حتى تغطنت شيئا فشيئا فوجدت في نفسي ميلا
إلى نظم الشعر فكان أول نطقي فيه باللغة الفارسية ثم اجتهدت في التلميم فلم أنخاض يوما
ولم أتوقف ولما تحلى مذاقي بحلاوة تلاوة كلام الله القديم * وتلت ملقمة للفخ بفصل
بسم الله الرحمن الرحيم * ووفقني الفتح بفتح خلية ذلك الشهيد الصائ * والارتواء
من ذلك المنهل الكريم الشافي * فإزات أفندس ضياء التفقه من سرج التلاوة *
والشمس عذوبة الهداية من صحاف زبدة هاتيك الحلاوة * حتى فطنت لطالعة
الاساطير * وأدركت من بدائع المعاني الجم الغفير * ولم أكن أهلا لاقتناء تلك
البصاعة * ولا كفو الجوهر هذه الصنعة * وانغ قد عود الخالق مخلوقه إلى
والكرم * وعلم الإنسان ما لم يعلم * وطالعت من التواريخ ما قدرت قوتي أن تدانيه *
وما أمكن فكنت في الخامة أن تصل إلى فهم معانيه * حيث لم يمكن لي دخول محافل
العلماء المتفقهين * ولم تسعني مجالس الفضلاء المتبحرين * ثم التهب صدرى بنار
شوق رياض محافلهم اليوانع * وأدرجفني على حرماني من اجتمعات ثمرات فوائدهم در
الدامع * وقد عافني عن الفوز بهذا الأمل حجاب خيمة الأزار * وحبني قفل خدير
التأنيث عن سناء تلك الأقار * وأحلا في بسجن الجهل حليف أثقال وأوزار * وكانت
تلك الحب لمن لام في هفوات هذا المسطورا كبرا عذرا - فلا تلوموا معشر الأفاضل

خبيته * ولا تعبتوا بسجينة شجيه * فلو اقتطعت زهرا لآداب من رياض العرقان
 لكانت لشهد التدقيق خير خليه * ورجعت بالعلم والمعرفة راضية مرضيه . وما
 تلوت أحاديث من مضي من السلف * ووردت منهل أخبارهم وورد من أغترف ثم
 اعترف * وعانيت مقادير الخلف * وتأمات في سير سير الاعم * وتحققت ان السعد
 والخس منوطان بالقدم * وقد شاهدت والله في نفسي ذات صدق هذا
 انظر * وكأبت لسوء حظي في كهف العزلة ما هو أدهى وأمر * فدعتني الرأفة بكل
 مغبون اقي ما لقيت * ودهر بما به ذهيت * الى ان أبدع له أحدونه تسليه عن أشجابه
 عند تراحم الافكار * وتلهيه عن أحرانه في غربة الوحدة التي هي أشد من غربة
 الديار * وتجعله في روض من الثمر أنيق * وتهدله من طرق المسرة أيسر * ومنهج وأقوم
 طريق * ادلا سبيل الى تسليه أفكار الوحيدة لا يمثل ذلك * ولا وصول الى حصول
 أنس الغريب الا من هذه المسالك * وسميتها نتائج الاحوال * في الاقوال والافعال *
 ورتبتها على خمسة فصول

في الفصل الاول في ايقاظ الجاهل من غفلة خداع النفاق وكيفية اقناع المنافق اياه
 بحيل مكره وادراك الجاهل بعد سوء المنقلب حيث لا يفيد التدبير *

في الفصل الثاني في النهي عن المكبر والتمرد في القول والفعل وسرعة المعاقبة بهم *
 في الفصل الثالث في اثنين يحتاج صاحب كل منهما الى اثنين وهما الاقبال والادبار *
 فصاحب الادبار يحتاج في ادباره الى التمسك بعروة التقوى والصبر على النقم * وصاحب
 الاقبال يحتاج في اقباله الى مواساة اخوانه والشكر على النعم *

في الفصل الرابع في اقتطاف ثمرة الصداقة وعذوبة ذوقها والرى بزلال حسن التدبير
 بعد ظم الطيش والتدمير *

في الفصل الخامس في حسن عواقب من صبر * ونيله الاماني والظفر * وسوء عواقب
 الخيانة * واحاقه المكرب السيء باهله فأقول وعلى الله توكل * وبنبيه صلى الله عليه وسلم
 توسل * ان من الواضح المسلم * والبين المحكم * ان الادب قطب يدور عليه أمر المعش
 والمعاد * ومثقف يقوم به كل معوج ومنا * فن اتكأ على عصي الادب أمن من عثراته *
 ومن اكتسب بضافي قيصر لم يطلع أحد على عوراته * وان حسن التربية أيسر ما يبرز فيه
 المرء للعيان * وأحق ما يتحقق به حقيقة الانسان * ومدار صلاح الطفل على التربية
 لانه لو خلى ونفسه لم يعمل الى شيء من التهذيب * بل ينفر من الادب نفور الشاة من الذيب *
 ومن ترك زمامه ليدهواه في طفوليته * تهتمت في المستقبل منانة بناء رجوله
 ومروءته * وكانت رأفة المربي سببا لسوق السوء اليه * ولا غرو فقد قيل من شب على
 شيء شاب عليه * وقد تحقق لاولي البصيرة ان أجل الجهاد * في حسن تربية الاولاد *
 ومنعهم بالسياسة عن مخالطة السفهاء والاهواد * حذر من أن يغبطه أحد السفلة
 فيعصب بخمار الخداع عينيه * ويجدبه بسلسلة نفاقه عن منزل أدبه العائد بالمصلحة

عليه * ويعيش في موطن الحيران خدين ظمئه وأسفه * ويتلظى في هجير
التحير ملتيا بنده ولهقه * ويرد من موارد سوء الخلق كل ملح زعاق * ويصبح
بعد حسن الطوية حريف خداع وتفاق * كما اتفق ان ملكا من ملوك الزمان اسمه
العدل * وكانت ملكه بعيدة الاطراف واسعة المنازل * قد تشيدت أنحاء ملكه
بالحصون والقللاع * وتأنلت جوانب حوزته على أجل ما يلزم للهاجعة والدفاع * وكان
هذا الملك بالعدل مشهورا * وبالصلاح مذكورا * وعلى جيد المساعي مشكورا *
ويملو المهمة مغبوطا مسرورا * وعلى كل خصم أو معاند مؤيدا منصورا * وكان
له وزير واسع الادراك مدبر * ولجيش الا^ل مال بالفكر السديد مضمر * وكان
اسمه مالمكا * وقد ملكه العدل زمام ملكه * وفوض زايه الصائب أمور حكمه * وجعله
نازنا ذائرا سراره * ومر^ر كزجوائل أفكاره * فكان في ما آرب الا^ل مال ساعيا
ونصيرا * وبعواقب الاحوال عالما وبصيرا * وكان لذلك الملك نديم يسمى بعقيل * له
في كل مستصينات العقول جيسل * نخصت عن ذوبة منطقته بالذات * وأغنت
راحته منادمته عن الراحة * وقد اتخذ الملك خليلا * ولدفع ما أهمه سياسة
المسامرة كفيلا * ماش كما المحزون انكسار لوعته اليه الا وانجبر ذلك الانكسار
بمراهم مواساته * وما بث المفود جذوة موجهته اليه الا وأخذ ذلك الحريق بعذب
فراش مناجاته * وكان قد ناهز العسرين ذلك الملك الهمام * ولم يرزق من زينة البنين
بغير غلام * قد داوى به كبد المجروح * واختار له من الاسماء ممدوحا * وصار الملك
منهم كما يحب ذلك الولد مضطرا لأدية خدمته * في كل ما أراد يقوم بفرائض الخدمة
بنفسه ويسعى بروحه في ما أرب رغبته * ما مال ذلك الطفل المعبة الاطالها * ولا
رغب في خسيصة الانالها * فشب الغلام على ملاهى ملاعبه الكثيفة * ورفع في
نلاهى مداعبه السخيفة * ولم يتجاسر المؤدبون على تمهذيب خصاله * ولم يتمكن
المعلمون من تقويم أوده ومحو غيم دلالة وادلالة * فأهم هذا الأمر المهم الوزير والنديم
وصارا يأسفان كل الأسف على هذا التفريط المؤدى لكل وبال * السائق نظام الملك
الى غوائل الفساد والاضمحلال * وقالوا ان كمالا نتدارك الأمر قبل استمهاله فان تطرنا
في العواقب * وان رضينا سوء العواقب اولا فانا فقد استبدلنا فرات الصداقة بسراب
لرياء * واعتضدنا نحس الخيانة عن سعور الوفاء * فعلمنا ان تثبت القدم في الجسارة *
ونسعى بارواحنا في رفع أسباب الخسارة * وتعرض عليه آراءنا في وقاية هذا العزيز
فان قبل منا فزنا بجانروم * وان أبى نكون قنابا داء حق العبودية ثم انهم ارصدوا فرصة
وارجأ الأمر الى وقت بشاشة السلطان * فاتفق ان الملك كان ذات ليلة في البستان *
وكانت ليلة البدر * فجاء الحاجب بأمرهما بالحضور فاجابا بالسمع والطاعة وكانا قد
نعاهدا على أن يعرضاه بالامر * في ضمن حكاية أجنبييه * ويوقظاه من غفلة الخيبة
لتمبيننا أي قبل الملك نصحا في تربية ولده * أم يشتهل لهيب الغيظ في كبده * فدخلى

الوزير كانه عابس يجتهد في ستر ذاك التعيس عن الملك بالبشاشة ثم دخل النديم وقد
 اغرورقت بالدموع عيناه وكان يوازي ذاك الحزن بالابتسام فجلس كل منهما في مرتبة
 بعد اداء فرائض الدعاء فتأمل الملك في سيماهما وقال خيرا فقبلا الارض وقال انطير
 منوط بالملك وتجله قد عجلنا بالحضور للتمتع بالمشاهدة فقابلنا البدرين في آن واحد * وصار
 النديم يتأمل في تصف الزهور وقد ضحكت ثغورها ونثر النداء عليها جساته * وتشككت
 ألوان المنشور لما أخذ من نور البدر أمانه * وجرى بلين الفرات خال البان للعناق وأحاط
 بالانصاف احاطة الخيال بالساق * وسرت حياء النفسيم على ندمان الاتجار وكان من
 عادة النديم اذا شاهد تلون الزهر في ليالى البدر ان يتغزل بالشعر في وقتسه فقال العادل
 هلى لك يا عقيل في انشاد شئ من الشعر في نصارة هذا الروض المحلى بسناء البدر المكمل
 بتيجان شقائق النعمان * قال عقيل العلم السرى محيط بما انطوى عليه من الوله
 والشفق * وان مبادرتي بالطاعة أجل ما أناله من الشرف * لكى أخشى ان أتفوه
 بشئ لا أصيب به شئاً من رقة المعاني لما أعانى من عناء الفكر واختبأه في شأن نادرة
 أحبط الوزير فيها على * وعكس عنها مرصداً على * وقد حق في وضع الناصية
 بعذرى على التراب * لالتمس العفو من الاعتبار * فاستغرب الملك قوله وقال كيف
 ذلك وأنا مل صواب حسن التدبير * في واحة كف هذا الوزير * قادر كنى باسماع
 تلك النادرة * والغريبة البادرة * قال النديم أشنف مسامع الملك بانى كلف بكل
 تحفه * وعشيق لكل طرفه * وقد وصفت لي شجرة تنبت في وادى الرفعه * وروضة
 العفه * عزيزة التريه * غزيرة الخاصيه * ما استظل بها ذوكدر الا وراق * ولا
 استنشق طيب ارجها ذو صرعة الا وفاق * ولو خيم بها المهرموم في سموم أبيب *
 لنشأ من نسيمها نفحات ارق من أنفاس الحبيب * ولو لجأ لها المقرور في برد كانون *
 لوجد لذة اصطلاء الكانون * وكان مراد النديم من هذه السكيات التلميح بحسن
 نسق الملك في العدل وتخليص حقوق المظلوم من الظالم وناهيك مولاي من ثمره تنبع من
 خلاصة تلك الخواص * فلاريب انهما ماء الحياة لكل مفؤد من العام والخاص *
 فازلت منذ سمعت هذا الثناء الجليل * وفضائل هذا الغرس الجليل * وأنا أتوقع
 بلوغها دون كل سخي وبخيل * وأنفق نقود الكف لسكل دنى وأصيل * حتى حن لذى
 الجبان * ورق اخضحي كل كبه وجنان * وقد أنفقت حتى تحصلت على غصن منها
 مالى ومنالى * ورضيت بان أجعل وجوده عندي رأس مالى * وكل مالا قيت من
 المكابدة في السعى بعلمه الوزير * وطال ما ساعدني في الاسماع برأيه البصير * وقد
 مهد له مغرسا في حديقة قصره المشيد * وحصن تلك البقعة بسور من حديد * حرصا
 على سلامته * ومراعاة طق كرامته * واتخذ أنا بيب ربه من اللجين المصفى * وقرر
 من حذاق الزراعة لخدمته من اصطفى * فلما ظفرت بذلك المصلوب قدمت على الوزير *
 ومكنته من ذلك النفيس الخطير * حيث كان أرفع منى شانا * وأسمى منزلة ومكانا

وفرسه في تلك البقعة في أبرك الساعات * وسقاء على قدر الحاجة في أشرف الاوقات *
 فلما أخذ في النمو ذلك الغصن الرطيب وتحلى بزبرجسد الورق في مدة يسيرة * وترعرع
 بأفنان كثيرة * فكانت أفنانه الياقوتية تحمل من الزهر ديجانا * وتنثر عليها من الندى
 ومن أنواع الازهار درر اوجسانا * وصار كلما تفرع هام الوزير نشاطا * ومهما تشعب
 زاد انبساطا * حتى كاد ان يخيط أوراقه بنباط القلب حذرا من أن تتناثر * ويسقي أصله
 بماء الوريد خوفا من ان يتقاصر * فلما رأى قبحه من الوزير شدة رغبته * وتحقق
 درجة رافته * امتنع عن تهذيبه ونطعيمه * وكف عن تخفيف أوراقه وتقليمه * وصار
 يتعجر هو وجنوده على هذه الجساره * وعدم الجساره * فتقل على ذلك الرشيق
 حمله وأمهاله * وأمال سمهري قدمه وأحناءه * وكلما أسأل الوزير في شأنه ينعتني ببشارة
 رائقه * ويفرحني بإشارة قائقه * ويقول لي كاد أن يكون شجرة شاهقة * فترفع في
 في خيالي راقصات الاماني * ويشملي الانسراح بالتهاني * فامنع نفسي عن رؤيته *
 وأعلمها بالصبر عن نظرتي * ولا ازال أنهي لواعج الاشواق * لكي أراه فيما بعد شجرة
 ذات ساق * فسأقتني بالامس الاقدار * وقادتني بواعث الكدار * الى بعض رياض
 الاهالي وكان به عدة أغصان غرست مع ذلك الفرع في آن واحد فاطلعت عليها
 فاذا هي قد انسافت في النمو واندفعت * وعظم ساقها وارتفعت * حتى صارت من
 أعظم الاشجار * وتعطرت بعرف الازهار * وكادت تتلون بيوافيت الازهار * فأخذني
 سرور لا يعرف له حد * ولا يدركه عد * وقلت اذا كان هذا النمو لغراس العوام * فما
 تكون عظة هذا الغصن الذي تحت نظر السديد الضرعام * فرجعت مهرولا الى
 حديقة الوزير لا فوز بالمسرة وأمتع نفسي في نعيم ذلك الحبور حتى دخلت الحديقة
 وانتاب كل ما تخيلته من سموه * وعظمته وغوه * وقلت سينال اليوم قلبي مراده *
 وآيت على نفسي ان أمخ كل جان بما أراه * فلما وصلت الى بقعته * ومددت النظر
 الى قامه * فادبه كخلال * قد عدل عن الاعتدال * وتقوس كالللال * ومال بحمله
 على شماله * حتى كاد ان ينقض من ثقل اجساله * فالتهب قلبي لمعاينة بنار الغضا *
 ولم أجد سبيلا الى الصبر والرضا * فرفعت صوتي بالنداء على قيم البستان وبادرت بالسخط
 عليه * فجاء ومد رار الدمع ينهل من عينيه * واندفع يقول مع اختناقه بالبكاء وحقق
 استبالاهال عنه غافلا * ولا ياداء حق خدمته باخلا * ولا عن معرفة طريق غوه
 عاطلا * ولا بدراية وسائل سموه جاهلا * ولكني قصير يد عن كل ما أريد اجراه * فلما رأيتني
 سطوة الوزير ومنعتني عن تقليمي اياه * لانه كان كلما نبئت ورقة عودها * أو بانث زهرة
 وعاهل حصنها * ولا يخفالك ان تهذيب الاغصان بالتقليم * كما ان تهذيب الاطفال
 بالتعليم * وكما يحتاج الصغير للتأديب * يحتاج الغصن للتهذيب * فهو لذلك يقبل ما أجريته
 عليه في العمل * وقد أجادت التيمورية في هذا المعنى وقالت في المثل * الغصن مقر ليدك
 بالين * فوجهه كما شئت سملا وبعين * وفي هذا الشأن أيضا الرأفة في التأديب تبعثها

الخسران * والشفقة في شأن التهذيب خلاصتها الطغيان * ولو تركت ولدك على نسق
 دلاله * في أفعاله وأقواله * لشب على سوء خصاله * وشاب على قبح فعله * وأكسب
 أبويه عظيم الخسران * وكساهما جلباب المعرة وقيص الخذلان * والغصن اذا قصر من
 النور فقيه المسؤل * ومالكه المخذول * ولكن ما حيلتي * وانا المعذور في نجبتي برأرا غم
 رب الحديقة * وأعاندهما لكا وهو مالك الامر في الحقيقة * فاعذرنى أيها النديم في
 غدرى * والله عليم بعذرى * وأسف على ما حل بي وأيد قهري * لاني رأيت في هذا
 الغصن حين غرسه طراوة لين خصه بها الله * وزيادة فلول أرها فيما سواه * فتعقني عندي
 بانه لا يحول عليه حول الا والسرو يستظل بخيمة أوراقه * والبان يحسد سمهري قد
 ورفعة ساقه * وقد جاء في أسبوع واحد بعدة أفتان والوزير يعدها على ويحذرنى في ان
 أمه بايدي فقات ان تركناه على مساقه * ثقلت عليه أفنائه وكثرة أوراقه * فيثقل
 جماله ويثبت أصله فقال دعه ينم على ما أراه * وليس عليك الأريه وانقاء تراه *
 فكيف أتخلف عن أمره أيها النديم * فدعني أتقلب في العذاب الاليم * قال النديم فلما
 اطلعت على تلك الحال * وسمعت هذا المقال * لم يسعني الا العرض للعضرة السلطانية *
 وانهاء الامر الى الاعتبار العلية * ملتصا من الوزير تسليمه لجانيه * وانتاذه بما هو
 فيه * فله يقبل الاعتدال * وعسى ان يتقوم بعد ما مال * لانه وان فات وقت اصلاحه
 وتعليمه * ولم يزل قابلا لتعديله وتقويمه * فان تداركناه قبل فوات القابلية كسبناه *
 والا فقد خسرناه * والرأى والقول السديد * مفوضان لامر الملك السعيد * قالت
 فاطمة الملك مليا وغاب * وتلبس بالصمت حتى قيل لا جواب * ثم التفت اليهما وقال *
 لعمري هكذا تكون عقول الرجال * فلقد هديتما الى طريق الرشدي تهذيب ولدي *
 وأيقظتما من سنة الغفلة عن تأديب فلذة كبدي * وقد غلبتني حنانه الأبوة *
 وأسرتني حلاوة البنوة * وأثقلتني قيود الشيخوخة عن السعي في طرق ارشاده *
 ومنعتني شدة الرأفة من حمله على سبيل اجتهاده * وأعوذ بالله ان أكون كالباحث
 على حنفيه بظلفه * فاطني بصر صرا الالهال سراج نجابته وعرفه * فاول مبادرتي
 لقبول نصيحتكما * أني سلمت اليكما ثمرة فؤادي * وأحضنتكما زهرة أملي ومرادى * فانخبأ
 لوقائتكم ما استحسنتم من القصور ورتب التعليم من اصطفيتما من العلماء والفلاسفة
 وقرر الخدمتكم من رضىتما من الغلمان والتسامن الخريضة ما يكفي لكافة ما يحتاج
 اليه وأعوذ بالله من ان أمنعكما عن ارشاده * وأعوقكما عن ما يعود بسداده * ويكون
 فيه تقويم مناداة فالملك لا يكون ملكا الا بلكة قبول الامتثال * اكل صادق النصيح
 في الاقوال والافعال * وقد تحقق خلوص صدقكما عندي * وتضاعف حبكما في ايقاظي
 الى ارشاد ولدي * وقد دهرتني صولة الهرم عن المهمة الى الآن فادركاني ما فرط من
 أمرى * وابدلا في هذا الشأن عسري ببصري * واقبلا فيمافات من الاهمال واضح
 عذرى * ثم نادى الملك يا صبور * على بمدوح * فقدم عليه بذلك المهنون * كانه أولؤه

من الأول المكنون * فعلا في الحال على نغذاً بيه وصار يلعب بلحيته * ويعبت بطيأسانه
وجبته * فقبله الملك وضمه الى صدره وقال اعلم يا قرة العين * اني آفقت على كفالتك هذين
الاثنين * وملكتهما زمام تربيتك وتأديبك * والزمتما بارشادك وتهذيبك * وأمرتك
بالسمع والطاعة لكل ما قالاه * والامتثال لكل ما أشار به ورأياه * فان بلغت الرشد
هأياك * وبكل طاعة أجاباك * وان آيت الامتثال أهاناك * وبكل صعب أصاباك *
فلان تغتر بخلافة أيبك * ولاتتكبرا عدم وجود أختك وأخيك * واسمع قول التيمورية
في هذا المعنى اتخذ الادب مركز الدرب * فهو لكل رفعة نعم السبب * ثم التفت اليهما
وقال اقبلا مني خيري * وصونا عن الهوان ذخيرتي * فقاما على الاقدام وقبلا الارض
بالسمع والطاعة * ورفعوا الي قبلة الدعاء كف الضراعة * بتأييد الخلافة بالنصر
والسرور * الى يوم البعث والنشور * بعد ان أمهلا الامر أسبوعا حتى يتعهد القصر
وترتب الخدم * ويتقرر كل الزم وما سيلزم * وعند ذلك تقدم الوزير الى مدوح وأخذوه
من حجر والده وأجلسه على دست عن شماله وقال يا عزيزي هذا مقر جلوسك حين
حضورك عند الملك بعد الامر اليك بالجلوس * وأملني اني لأراك بعد ذلك تعبت بلحية
ولا بلبوس * قال فاغرو رقت عينا الغلام بالدمع حتى نثرت جمانا * وغشى الولو صرجانا *
ونحنق جناحه لصعوبة هذه المعضلة التي لم تسبق اليه * وضاق صدره لعنف هذه
المشكلة التي لم تكن وردت عليه * وبانت له بزعمه انها هانة غريبة * ومصيبة عجيبة *
وتخيل ان أباه يأمر بضرب عنق الوزير في الحال * ولا يعمده بادني أهمال * فالتفت نحو
أبيه ليريه ترأسل عبراته * ويدريه بهيب حسراته * فتعافل الملك عن مارآه * وتجاهل
الذي أبداه * وقد أحرزت الخيانة قلبه * وذهبت الشفقة لبه * فلم يسعه الا البعد عنه
في هذه البرهة الضيقة فقام بدون ان يخاطبه بادني ملاطفه * أو يسره باوهي ملاعبة
أو مداعبه * وخرج في الحال الى البستان ثم ركب من ساعته الى القلعة * وصمم على عدم
مببته معه تلك الليلة لانه كان يبيت مع مدوح في قاعة القلعة * والوزير يبيت في حجرة
من داخل القاعة والسديم على بابها لانه منذ فقدت والده مدوح لم يدخل الملك قصر
الحرم بل كان منهمكا بتأدية خدمة والده ومببته معه في قاعة الحكم مع الرجال

الفصل الاول

وكان للملك قيمان * أحدهما على خزينة المال * والاخر على خزينة السلاح سم الاور
دشمنام والثاني غدور وكانا به غضان الوزير والنديم ويحسدانهم ما على توجه الملك
اليهما * وعطفه عليهما * فلم تقلد ابكفالة الملك الصغير تضاعف الحقد * وكبر الوجد *
وكانا بالخدمة السلطانية يسمعان كلما أمر به الملك قالت فاستغل الوزير والنديم بتمهيد
القصر لمدوح * حتى رتباه كايرومان في ظرف ذلك الاسبوع وكانا هذان العيمان في
خدمة مدوح * فلما دخل مدوح بعده توجه والده الى القلعة وقد استشاط غيظا

مما فعله الوزير وصار يشتمكي الهماوي بيكي فاسكاه بالملاعبة * والهياء بالنكت
 والمداعبة * حتى ذهب حزنه ثم قال له ان أمل الوزير ان يبعدنا عنك فاذا بليت يادرة
 مثل هذه فنقوم بما يسليك في غيبة أبيك فقل ان أمر الوزير يبعدهما من رددت
 قوله ولم أقارقه أبدا فوجد أمسا كاللده سانس في حق الوزير والنديم بواسطة هذا
 الصغير الذي لم يميز خيره من شره فلما كان اليوم السابع أرسل الملك الى الوزير والنديم
 يسألهم عن كيفية مقابلة ولده له فاجاباه باننا نحضره في كل يوم بجمعة للحضرة العلية *
 لنتبعه بتلك الطلعة الهية * وذلك بعد شهر وستة أشهر بشرط ان يكون سؤال الملك
 لولده مقصورا على دروسه وعلمه * وجميع محادثته اياه * دائرة على البحث فيما اتقاه
 ووعاه * فلما تجهز القصر ونقل اليه ممدوح وحضر المعلوم وترتبت الخدم واختص
 القيمان بخدمة الملك الكبير وعلم ممدوح بذلك فدخل الى الوزير با كيا وقال ألم تكف
 ببعدي حتى أبعثت عني من كانت راحتي في خدمتهم وما مؤانستهم وأملى منك ان
 تأمرهما بالاقامة عندي وأنا في طوعك كما نشاء فتقام الوزير الى خلوة النديم وأعلمه بما صار
 وقال اعلم يا أخي ان هذين الرجلين ان لازماه أفسداه بدسائس النفاق * وأشر با أخلاقه
 وساو من المخالفة والشقاق * فقال النديم أنصفت ولكن اذار دنا أمره من أول وهلة
 فسد أمر انقياده لطوعنا * فبقى هذا الأمر لوقت آخر وتكتفي ببعدي به كما أشار والايام
 بيننا * فاستصوب الوزير هذا الرأي وقبل أمر ممدوح ونحساعنه وأبقى معه هذين التسمين
 وكان ممدوح يعيل الى عقيل ويغض الوزير من يوم أحذه من حجر أبيه فكان الوزير يدخل
 عليه في كل يوم صبا حاو يقيم معه الى الضحوة لمناظرة كيفية تلقى الدروس ثم يتوجه
 بعد ذلك لادارة أمور المملكة الى الحضرة السلطانية ويخبره بكل ما كان من أمر
 ممدوح في يومه ولياته فتستروح روح الملك بذكر ولده وتقدمه في المعارف وأما النديم
 فكان يلزمه بعد توجه الوزير حتى تنتهي دروسه ثم يبادره بالنصح في معرس
 المسامرة ويتحفه باحاديث تهديه الى الرشاد على سبيل المداومة ولم يزل في ملاطفته حتى
 ينام حذرا من دخول القيمين عليه في خلوة عنهما فيغلبان على فكره بالنفاق * وأسباب
 الشقاق وعوائد الفساق * حتى اذا استغرق في النوم توجه النديم الى مولاه الكبير
 وأتخفه بما كان منه من حين خروج الوزير حتى نام وكان القيمان يقومان بعفارة
 ممدوح الى الصباح ويتربحان الفرصة للدهانس فلم يجدا وقتا قال فيكث ممدوح في
 تلقى دروسه وحسن انقياده حتى مضت الاشهر الستة وهو على استقامة كريهة ولم ير
 منه أدنى مخالفة لأمر الوزير والنديم سوى شدة ميله لدهانس نام وغدر فلما كان يوم
 المقابلة هيأه الوزير بانخر الملبس وأخذته هو والنديم وقدماه على الملك والقيمان
 يقفون أثرهما فدخل على والده وسلم عليه برسوم الخلافة وامسك عن الجلوس حتى أمر
 بفلس جائسا على ركبتيه وصار الملك يسأله عن ما أخذ من العلوم وهو يجيبه باحسن
 جواب وأشبهى خطاب فاهتز الملك طربا وقال في نفسه ان كان هذا التصيل في نصف عام

فليكون في العام كله ثم حضر الطعام فتقدم مدوح بعد جلوس الملك والوزير وجلس
 بادب باهر وجعل يأكل باطفاً وعذافاً فصار الملك يتأمل في أثناء تناوله الطعام إلى ما يديه
 من الأدب حتى كاد يستفزه الطرب إلى تقبيل أكف ماله وعقبيل ولولا غيرة الملك
 بشرف السيادة لهم بذلك أو فعل فلما انقضى ذلك اليوم المشهود وهو بالانصراف أنهم
 الملك على كل منهم ابتغاء من أنفس الجواهر * وعلى ولده بجواد بلبب بجواهر * فانشرح
 صدورهم بهذا الانعام * وقرت عيونهم بهذا الكرام * والتهب قلب القمين حقدا *
 وطشت عتولهم ما حسدوا وجدا * وتحمسوا على بحزمها عن إيجاد مكيدة لهم في أقرب
 وقت فلما وصل مدوح إلى قصره دخل والنشاط يلوح على فاصيته وأمر الخدم بتهويد
 مربوط الجواده وصعد إلى قصره وما زال مع النسيم في مسامرة حتى نام بعد أن ذهب
 الوزير على حسب عادته ولما نام الفتى برهة تخيل له الجواد في نومه فانتبه مسرورا
 بما رآه واستوى جالساً فنهض دشنام إلى الفرصة التي أمكته وصار يلاعبه ويرقص له
 هو وغدور وهو يضحك عليه ما ضحكك بلبغا وقد مضت تلك الشهور ولم يضحك مدوح
 مثل هذا الضحك وكان قد نسي الضحك من يوم دخوله القصر الذي هو به فقال لهما
 لم تضحك في كل ليلة بهذه الملاعبة فقد جدت علي حظا كنت نسيته فقالا عزيزنا نحن
 نغدي ساعة من أنسك بأرواحنا الغالم نجد وقتاً من ملازمة الوزير والنديم إليك وانهما
 إذا طاعا على أنسك بناسكوانا إلى والدك فيبعدنا عنك وإن أبعدنا عنك زهقت أرواحنا
 شوقاً إليك وأسفعا إليك وما زال يزخر فأن له مثل هذا الحديث حتى داخله الاستغراب
 وقال كأنهما يكرهان أنسي * ويريدان تكدر نفسي * وهما منتحبا والذي للذنان يراها
 أهلاً لكهما التي * ومخلاً لحفظي ووقايتي * فقالا دعنا يا مولانا من هذا البحث وذرتنا لعب
 ونطرب انجاب أنسك ونؤنس نفسك حتى تمام نوماهنيا وتمهب نشاطا قويا فصار يتفكر
 في هذا القول حتى غلب عليه النوم فهنا بعضهما بعضاً بفتح باب الأمل ثم مضت مدة
 ومدوح يتوجه إلى القلعة في كل يوم جمعة لمقابلة والده وكلما رأى الملك تهذيب ولده زاد
 في اعتبار وزيره وندبه وكلما زاد في ذلك يزداد الحقد في قلوب ذينك المناقسين فقال
 مدوح يوماً من الأيام كيف العمل في أن اختلي بكما للباسطة والمؤانسة فالأول نحن أيضاً
 نلتبس هذه البرهة كمواسم الأعياد فإذا أردت ذلك فتناوم مسرعاً إذا شرع النسيم في
 المسامرة ليخيل أنك غمت فيذهب إلى خدمة الملك وعلمنا أن نسليك بالملاعبة كما تريد
 فنرح مدوح بهذا الرأي وصمم على جرنه لما جن الليل وأخذ النديم في حديثه جعل
 مدوح يتناوم بل أظفر أنه نام بما فعل بركة النديم وتوجهه إلى خدمته وعند ذلك قام
 الفتى وندجددانه ملعباً ظريفاً وما زالوا يضحكان حتى نام مشروحا واستمر الفتى معهما
 على هذا النسق وهو يجدي نفسه راحة وانشراحاً كما جرت عادة الجاهلين فلما تم العام
 عقد الملك مجلساً لامتحان ولده واحضر علماء القنون وزعماء المعارف وامتن ولده
 في حضرة الجمهور فكان أول درجة من أهل الدرجة الأولى فيما تلقاه حفظاً وفهما

وسرعة اجابة فعوذ الحاضرون * وحصنه السامعون * فلما انتهى اليوم على احسن حال أنهم الملاك على المؤدبير بما يليق من الخلق والانعام وعلى الوزير والنديم أيضا بقصرين من قصور منتزهاته بكامل أثاثهما وقال لهما الملاك اقبلا هديتي وان لم تكن مكافئة لبعض حسن صنيعكما فقاما وقبلا الارض وبسطا أكف الدعاء بالرفعة والنصر له وافعله وأمن الحاضرون وقد انتهجت الرعيصة من تباهة مدوح لانهم كانوا في كدر من عدم تقدمه وتعلمه خوفا على الملك ان ينتقل اليه بعد أبيه فلا يحسن الادارة ولا ينهج منهج العدل وتسوء سياسته فتعاقبه الاتصام على ملك أبيه فلما قرن اليوم بحسن الختام قدم مدوح الى قصره وقد آتته الملاك بقصر الدجيلة والفرات بكافة ما حوله من الحدائق والرياض وكان الملك شاور الوزير والنديم في ان يعطى لولده أحد الضياع المعامرة فنعاه بقوله ما ان ملكا يرادها بادر بالاسراف وان لم يمتلكه صار في نفسه شيء لا سيما ان دس اليه أحد المناقذين طرفا من الفتنة يؤول الحال الى التطاول في الطلب فان بخانا عليه جرأناه * وان جد ناله على التبذير حملناه * فاستصوب الملك هذا الرأي واكتفى باتحافه بالقصر المذكور فلما رجع الفتي بنشور هذا القصر صار يعرضه على حدها واتباعه بكل مسرة واستشاط غبط ذينك المناقذين وصار دمع الحقدي يتفجر من آفاقهما فنظر مدوح اليهما واستغرب بكاءهما وصار ينتظر الليل حتى أقبل وانحلت بهما على حسب عادته وسألهما عن الداعي لبكائهما مع السرور الذي قد يحصل عليه فقالا عزيزنا ومالك أرواحنا اننا نبكي على أسرك وأسرايتك في أكف هذين الرجلين فاستغرب الفتي وقال كيف ذلك قالنا لم نأرأينا سرورك بالقصر وددنا لو أنهم عليك ببعض الضياع كما أنهم على وزيره ونديمه فننعم أنت أيضا على خدمتك وخاصة أنك كما جرت عادات الملوك ألم ترا الملاك كيف ينعمش بانعامه رعاياه ألم تكن أنت أهلا للانعام لتسربه خاصتك ألم تقس عند مولانا الكبير بالنديم والوزير انما الملاك معسود في انقياده لهما ولا يمكنه ان يمدك كما أمدهما قال مدوح ان كانا منعاه عن الاعطاء فلا بد من حق لهما في الميع لم تدركه عقوانا لان رأيهم ما سديد وهما لا يمنعانه عن شيء يكون خيرا الى وله ولولم يكن الملك حفظه الله رأى كل نفع من رأيهم ما لما انقاد لشارتهم ما خاسا ان يرى الملك بالعبادة وعدم الفراسة فلما سمع ذلك القول منه كادت أرواحهما ان تفارق أجسامهما فتصجرا وتحسرا وقالوا مولانا انك حديث السن ولم تدركك بالرجال فاشاشتم حاشا ان تمس العبادة اعتاب الملك أيكون في شريف علمك ان السحر أثر بصاحب الشفاعة عليه الصلاة والسلام لما صخرته بنت لبيد اليهودي وحيث كان تأثير السحر بسيد البشر فكيف لا يكون بأمته وما نراها الا قد سحرا الملك فانقاد لهما ألم تمذكر اليوم الذي سلمك الملك فيه اليهما كيف جديك الوزير ولم يرفق بك حتى أخذك من على فخذ بعنف وأجلسك بعينه أو صرت تبكي ولم يلبثت ابكائك وقد كان لا يطيق سكوتك عن الملاعبة برهة ولا يمكنه البعد عنك ساعة فكيف رضيت حناته ببكائك وبعادك فتأمل مدوح

في القول فذاله حقا وأثر فيه ذلك وكان قد نفر من الوزير عندما أخذ من حجر أبيه
فتمكنت نفرتة وتخيّل له أنه حجر وصار فؤاده يتلظى خوفاً على والده من البصر فدأخل
الفتى من الفكر القلق والارق وصار يقول كيف التخلص من هذه المهلكة وصارت
خاوتة معها قاصرة على هذا الأمر فقال له نحن نسي باروا حنا في حسم هذا المشكل
انما نرجو الامهال حتى يدركنا الله بالسعة في النقود فعليك ان لاتلين لهما القول في
كل ما أشار به عليك قال مدوح كيف ذلك وقد أثر صهرهما في أبي فان رددت قولهما
صهراني أنا أيضا فقالا لا تفكر سنستعين في صيانةك بالتسامح والتعاو يدولكن لاسعة
لنسا ولا لولا في النقود قال اذا قدمت على الملك أعرض لاعتابه بطلب ترقية كما في زيادة
مرتبكاً حتى تنسج ذات يديكاً وكان سبب تأخيرهما في الترقى ظهور الخيانة من أعينهما
وفراصة الوزير كانت تدله على ذلك فلا تسمع بارتناع صراحتهم ولا توسيع معاشهما
حذرا من ان يتمكنا في السلطنة على مولاها يدسائس الخيانة وأما تقليد هما بشرف
خدمة خزينة المالية والسلاح فدأعيه قوة سعيهما في الحفاظ وعلا الهمة في كل أمر
يختص برضاء الملك وكان الملك يميل اليهما بالوفاء بخدمتهما وأما أمر ترقيةهما فكان منوطا
برأي الوزير فكانا على الدوام ينتظران له كل ضرر ويتربحان مركزه كل شر ولا يتمكنا
من ذلك لرسوخ قدم العادل وعدم قبول دسيسه في وزيره بل وبجسارة كل من اغتابه
أوعابه فلما ألزما بخدمة مدوح نالا الأرب لان الجاهل مكره لكل منافق يحركها
بصوبان نفاقه ولعبة لكل فاسق يفعل بها ما أراد من كيد وشقاقه فلما كان يوم الجمعة
توجه النبي أو والده وعرض عليه وجاءه في توسيع معاشهما وزيادة ما هيأتهما فقال الملك
هل استأذنت الوزير فاستحسن ذلك منك وقال مدوح كمت أروم ذلك بالأمس وقد
نسيت وقال الملك اصبر حتى تستشيرهم فيحصل المراد فرجع باكيما خرينا وأخبرهما
بما صار وبكى القيمان لبكائه وانتحبا على انتحابه ثم قال يا مولا نالا تخزن فدنك أرواحنا
ونحن لم نرد السعة الا لما أعلمناك به فلا يكن عندك أسف له عدم حصول الأمن فنص
نبتاع أثاث بيوتنا حتى نحصل على ما أضمرناه ونختال في إزالة الوزير والنديم حتى نغاث
أمرنا ونبلغ قصودنا ونقلدك الخلافة فقال وماذا يحصل لو الذي حفظه الله حتى أتقلد
انا أمر السلطنة فلما سمعا كلامه خزا على ميله لآبيه ولكن لم تسعهما الا المداواة فقالا
اذا اسنعد نجل الملك قاده أبوه الملك وتجرد هو للعبادة قال مدوح اذا كان الأمر كذلك
ولا بأس شأزال يشرب من بحاري النفاق كؤوس حيم وغساق حتى زاد عن درجة
الكتمان وظهر ماله للوزير والنديم وانكشف نفوره منهما فصار لا يصغي لأقوالهما
ولا يكثر بأفعالهما فاختلى الوزير مع النديم وقال أي عقيل اني أتمثل بقول التيمورية
حيث تقول

أري من خي من الأغصان ينمو * ومن ماء الخداع له ارتواء
وأخشي ان به قد حث زنود * مما الاحراق والتهب الفضاء

فاني أرى أيها الصديق لهذا الانغماس شأنا عظيما فتراه في مداركة هذا الامر قال فقال
عقيل علم الوزير أجل من ان يخفى عليه عذرا الفتى في الميل لهما والانغماس عنا ما سمعت
قول المشار اليها في هذا المعنى من جهل مسالك الرشاد * ظن المراد في طرق الفساد *
ولها أيضا النصوح لدى الجاهل كلب عقور * وهو ما استطاع عنه نفور في شرب

أرى رب النفاق بدا * بطالع نحسه الزحل

له كأس اذاق بها * تقيع السم في العسل

فكيف عييل للعقور * ويسلك عن هذا النفور * واني منذ رأيت ما رأيت استنظر أمر
الوزير في هذا الشأن وكيف التدبير في سلوك الرشاد * وكف أكف الفساد قال الوزير
اعلم يا أخي ان منعهم ما عنه ليس يمكن لانا اذا منعنا هاهنا زاد الميل منه واشتد الكرب
عليه وتضاعف نفوره منا فليس لنا الا التعطف عليهم ما وال مدارا ما استطعنا حتى يهدينا
الله الى مسالك الهدى ويهديه لنا * وقد زادت بهما الفكر وتبدلت راحتهم بالعباء *
وتابسا بالخرن بعد الهنا * ثم قام الوزير الى القاعة وقال للملك مولاي اذا قدم العزيز فاقبل
رجاءه في ترقية دشنام وغدور وأرض خاطره وكررا جعنا الى مدوح وقال سيدي أنا
أساعدك في ترقية صاحبك فأعرض للملك عن ما تريد فانك تنال فتتفس مدوح الصعدا
وقال الله يساعدي ويساعدني في كل ما أقيناه وسنلقاه ولك الفضل والامر فاسودت
الدينا في وجه الوزير من صعوبة هذا الجواب ولمح في معناه أنواع الخداع والنفاق
ووجد راتحة ما تعلق بنفسه من الضيق والاختناق * والنديم يسمع ذلك فتأما الى
خاوتهم ما والدمع يمعي من عيونهم ما وجلسا يتحسرا ان على هذا الخسران فقال
الوزير للنديم اعلم يا أخي اننا لا يسعنا الا الانغماس عن كل جواب صعب * واللين لكل
شديد من الخطاب والخطب * ثم البشاشة للناقين واطهار الميل اليهما حتى يدفعهما
الله عنه ويقبه شرهما وقد سمعت ما كان من عنف الجواب فان عامناه بجنس معاملته
اداهم ذلك الى جسارة الوقاحة فتكون قد أضعنا الحزم واسأنا السياسة بل وعدمنا
الاحساس لانه بين غائبي جهل ونفاق فان لم تكن أهلا لقبول عذره فان صدقتنا
ورأفتنا عليه ولا تنس ما قيل من نصيح جاهلا عاده وصدده * ومن أغواه مال اليه
ووده * فالتخادع للجاهل محبوب * والتعلق اليه أقصى مطلوب ومرغوب * فلا
يقابل الجاهل بالرد عن مراده فجأة ولا يبادر بالزجر عن قصده خشية من طغيان
وقاحته * وغلبة شرارته * فانهما يؤديان الى جحود نعمة التريفة * ومعاملة الحسنة
بالسيئة * وان لم نتداركه بالسياسة قبيل تمكن وقاحته ساقته الشعة الى الهلاك
فان لم تقابل بالصبر غدر * وان لم نعامله بالعفو كفر * فعلمنا اذن السعي في ترجية التفتات
المالك اليه * والعطف بالانعام عليه * وبعد ان استقر رأيهم ما على ذلك توجه الوزير الى
المالك وقال يا مولاي ان قيمك قد وفيات حق العبودية لمولانا الصغير واستحقا لانعام وكان
ذلك يوم الخميس فلما قدم مدوح على والده غدوة قال له الملك قد رغبت في توسيع معاش

دس نام و غدو رو قد شهد الوزير والنديم بحسن خدمتهما لك فتعلمت ارادتي بزيادة
 ما هيتهما مع الانعام على كل واحد منهما بما اتى دينار فقال مدوح حلف الله دولة مولانا
 بالنصر ثم قام وقبل عين والده بكل سرور وبشاشة وأخذ الانعام وعاد الى قصره بعد
 مضي يومه وبشرهما باحسان الملك اليهما وازاد ما هيتهما وكان أمسه سرورهما
 بالبخارة فاذا بالدمع يدفق من آماقهما فلما رأى منهما ذلك استشاط غيظه * وقال
 ما الداعي الي البكاء كان مكافأة بشارتي لكما أم استقلتما انعام الملك فقالا حاشا لله
 يا مولانا ان بشارتك شرحت صدورنا * وانعام الملك قرت به عيوننا * وانما كان
 بكأؤنا أسفا عليك حيث انك عرضت على الملك أمر ترقينا سابقا ولم يقبل منك وكسر همتك
 برؤ جائك ولما شهد الوزير والنديم بحسن خدمتهما قبل قولهما وأنفذ أمرهما فكيف
 تكون أهلك بين الخدم والحشم فان ذلك القول في الغلام وانقلب سروره بالأسف
 وانساب الدمع على وجنتيه وبات حزينا كئيبا فلما كانت الغداة جاء الوزير والنديم
 بخاتمين من اليافوت وقبلا الارض وقال يا مولانا اننا تقدم هذين الخاتمين لقيمك من لدنا
 وذلك لما رأيناك من حسن صداقتهم الملك وحنانهم عليك متعنا الله بدولتك وأيد
 بالنصر أعلام سلطنتك فطابت نفس النقي وانشرح صدره وصار يتأمل في حال الطرفين
 ويقول في نجواه أين هذا القول وحسنه من ذلك القول وشنعته حيث ان هذين
 يميلان لهما لحسن صداقتهم وحنانهم اعلی مع ميلى لهذين القيمين ونفوري عنهم فوا أسفى
 لجهلى بحقيقة الحال لان هذين يدحانهم ما ويشهدان لهما بكل اصلاح * وذاتك
 برميانهما بكل خيانة فليت شعري من الاحق بالطاعة فأوا فيه * ومن الاحق
 بالاجتناب فاجتنبه * ثم أخذ مدوح الخاتمين بعد توجه الوزير والنديم ودخل على
 الماقيين بمنونيته بما رآه منهما اوقال قد اتحفكما الوزير والنديم بهذين الخاتمين لما رأيا
 حسن انقيادكما لخدمتي ودمت اليهما كل الميل حين سمعت حسن امتداحكما
 وتشكرت حسن صديعهما فلما سمعا هذا القول اسودت الدنيا في وجوههما فاطرقا
 الى الارض برهة طويلة ثم قاما يضربان كفوفهما قائلين هذا الذى كمانخشى عليه منه
 ولقد هم بالوفوع فالسرعة فى ادراكه قبل تحككه من السقوط فاندھش مدوح وقال
 ما هذه الحال فقالا عزيزنا انهما لما راياك قد تحققت بالرشاد وعقلت ما شان وما زان
 ابتدراكك بالنصر العظيم حتى تكون مسخر لهما حذر امن ان تظن لكرهما * وتظهر
 للملك خيانتهم ما * رأيت يا مولانا كيف ملت اليهما مع عظيم فعلهما الذى لو تأملته
 لوجدت فيه ما ينفرك عنهما مدة حياتهم ما قال وما ذلك القمل فقالا لقد عدم تميزك
 وفقد ادراكك كيف تكون أنت ابن الخليفة الوحيد وولى عهده ولم تقم قدرتك
 بالانعام مثلهما اعلی من يقوم بخدمة ملك * ولست تعلم شيئا سوى ما يخصك من
 ملايسك * وهما يعادلان الملك فى الانعام ويظهرا ان عجزك للرعية فلا حول ولا قوة
 الا بالله فانرفى العنى به خير أهلكه واهانة نفسه فلكه الأسف وانكسر خاطره وخاف

على نفسه من أثر السحر فقال لهما أأردهما إليهما ولا حاجة لنا بهما حيث أن دسيسة
السحر فيهما فطمعاهما فلم يسعيا بالرد وقالوا نستغفر الله من ذلك لأننا لو ردناهما
يشكوا أنك للملك فيزجرنا ويطر دنا من عندك فحين تقلدك بالتعاويز والتحصين ولو
أنفقنا كل ما عندك فقال الفتى لكم الخبيرة والخبرة فيما اختاره الله وكان مدوح إلى ذلك
الوقت يأكل مع الوزير والنديم فحذراه عن الأكل معهم لما أحسوا به لهما وقالوا
نرى أثر السحر فيك وأغلب ظننا أنهم ما يضعان لك شيئا في الطعام فلما قدم الوزير على
حسب العادة بعد انتهاء الدروس وتهيأ الطعام تغير لون مدوح خوفا على نفسه فقال
الوزير عزيزي لا بأس عليك مالي أراك على غير بشاشة قال الفتى ان تناول الطعام في
هذا الوقت يتخمني لأنني مفقود الشهية من فتور الدروس وأنا أتناول رغما لا جمل
وجود كما فيؤدبني إلى الهيمضة فان وافق رأيكما ان تناولنا طعاما مكملا وأنا أتناول حسين
ما أشتى كان حسنا فتنظر مالك لعقيل نظرة آسف وقال له الامر لك وكما تريد فاجعل
فنادى الوزير على المشايخ وقال ان الملك يفترب الدروس عن الطعام فلنا كل نص
وارفع طعامه حين طلبه فتقدموا وأكلوا معا وكان الطعام يأكل في قلب الوزير
والنديم وانصرفا بعد الطعام إلى حجر اتهمما واحضر الوزير الاشجي وقال استخبر من
الملك عن أي طعام يرغبه صبا حاكمه القيمين وعليك ان تختم الصحف عند الطلب
حتى يزيله بيده ثم صار يتداولان الحديث فقال الوزير أبصرت فعل المنافقين
حين أحس منهم بالميل اليك كيف عكسا علينا الامر فما الذي فطنت له من تحاسيه
عن الطعام معنا فقال النديم تخيل اضافة شيء من السحر إلى طعامه وطفقا يسكان
ويقولان هذا أول اعراض ونفور ثم قال عقيل كيف العمل في حل هذا المشكل
فقال مالك مشكل النفاق والخداع لا يحل الا بقدره القادر فاذا أراد الله حسن سلوكه
وصيانته فمع آجالهما والا فيكون وجودهما عنده لاهر يعلمه هو لانهم مادام معه تترقى
مصيبة مكايدهما له يوما فيوما وان أبعدناهما عنه باهر الملك كانت مصيبة بغضه لنا
أعظم لان الجاهل رب النفاق عشيق * والناسخ لديه عدو حقيق * فاذا رمى العاشق
بفراق الصديق وبلى بعشرة العدو واشتعلت اوعته * واشتدت زفرته * يفعل ما بداله
من الجود * ويورث اللعنة للآباء والجدود * فعقدة النفاق شديدة * وعقيدة
الجهل عتيده * لا تحل ولا تحاور ولا ترد ولا تكابر * فالسياسة في الصبر واللين
والسير بالمدارة والتمويه حتى يسعه الله بالاحساس في ادراكه فينتحي عنهما
أو يبعدهما الله عنه وقد حسدتنا والله عين الفلك واصابتنا نظره الدهر فكان وجود
هذين الرجلين وسيلة لاضمحلال ههنا عيشنا وذريرة لزال بهجة مسرتنا فها أبدينا
من الصدق بالنفاق مدثور * ومهما أجريناه من حسن الخلوص بالخداع غير
مشكور * كيف وهما يظهران الهدى من الضلال * ويؤكدان الحق في المحال *
وما زال يضربان الرايات من الحزن والاسف ويتفكران في ايجاد شيء يسمران به مدوحا

ايدح سمعهم ما ويستحسن رأيهم ما حتى حان وقت الامتحان فدخلوا على العادل وقبلوا
 الارض وقالوا ان مولانا الصغير قد تقدم في العلوم وشارف الحسب فالامل ان يتحفه الملك
 بايجاد شئ يختص برفعه ابيه لتتسع فكرته ويقوى انتباهه ويرع لدى الامتحان
 بين الخاص والعام فسر الملك بذلك وقال نعم الاشارة هذه فأي شئ تستحسنانه يكون
 حسنا عندى فقال الوزير يبشره الملك بانشاء عمارة في ساحة الجزيرة وتكون
 هندستها محتوية على أربع سرايات في الاولى مستعدة لبنائه بعروسه والثانية في
 لديوان حكمه والثالثة في الزاثرين ببقاءه منيرة على حسب مراتب القادمين
 في الرابعة في هيئة خانقاه للعباد والزهاد فيكتسب من الزاثرين حسن السلوك من
 مواظب الفصص والاختبار ويتسلى بالنسكت الغريسة ويؤجر بملاحظة الخانقاه
 والتصدق على فقراء المهاجرين * ويرجع دعاء من يحل بهم من العباد والصالحين *
 فشكر الملك فضل هذه الاشارة * وقبل وصيتهما ببرور البشارة * فلما كان ذلك
 اليوم المشهور حضر الملك كل مهندس ومعمار وحضر كل استاذ وفقه ومقدم مدوح
 للامتحان فكان يجاب عن افتتاح السؤال بكل معنى يدعو اليه البحث لعلهم يسألوا
 وعليه حتى انتهى امتحانه في أقرب وقت على أحسن حال فرفع العادل صوته قائلاً
 سأخبركم أيها العلماء العقلاء والاهراء العظماء ان ولدى قد بلغ من السن أربع عشرة
 سنة وأملى المبادرة في انشاء عمارة يكون بها ما يليق من القصور لوليمة زفافه وتكون
 في أحسن موقع وأطيب بقعة وأصفى هواء وما أرى في البقاع أحسن من الجزيرة
 النضيرة فرادى انشاء أربعة قصور بها أحدها للزفاف والاخر لديوان حكمه
 والثالث للزوار والرابع يكون تكمية للمهاجرين وأقرر لكل قصر ما يفي
 بمصرفه من الضياع العامرة لاسيما قصر العروسين فاهتمز من بالمحفل طرباً وقاموا على
 أقدامهم وقبلوا الاعتاب بالتشكر لهذه البشارة وتبريكاً بالامتحان ثم دعا الملك بالمهندس
 فأقبل رئيس حرفة الهندسة باعوانه وقبل الارض وقال الحمد لله الذي أبلغنا هذه الدرجة
 واهمنا هذا الامر فأول التماسي تحديد المدة والتشديد في حضور العمال من أقصى
 البلاد والهمة في خروج السعاة لجلب المهومات النادرة من أماكنها كأخشاب البنوس
 والرخام الملون بحيث لا يدعون شيئاً لم تر العيون تطهيره الا أحضره وبمشيئة الرحمن ونم
 الرأي على انهم سيعقدون مجلساً في أمر الانشاء مدة أسبوع حتى يثبت الحكم فيه على
 أحسن حال فطار قلب محمد وح من الفرح فقام وقبل راحة أبيه والملك قبلة بين عينيه
 وأتحفه بما يليق من نفائس جواهره ثم تقدم مدوح الى الوزير والنديم والبشريلوح
 من ناصيته فتلقياه بالتمنية من الارض وفبالناصيته وهو قبل لحيتهم ماورجع محمد وح
 مع الوزير والنديم في أشهى مسامرة وأهني مؤانسة والمنافقان يقفون أثرهما حتى
 دخلوا القصر جميعاً وقد اختنق القيمان غيظاً من توجهه العتي الى الوزير والنديم

وحسن التفاته لهما فلما وفي الوزير جلسته مع عمود ح توجه الى خدمته وأقام النديم
 في المسامرة حتى نام وتوجه هو ايضا على حسب العادة صار المنافقان يتنصرا على
 نومه قبل القاء دسائس الفتن وما أعداه من المكاييد وكانت تلك القصور تتخيل له في نومه
 فانتبه والنشاط يلعب في جبينه فطار النوم بالمسرة فاستوى جالساف وجد ذينك المنافقين
 قائمين يتحادثان فقال قد غلب عليك السرور حتى أطمأ النوم عن أعينكما قالان نعم وان لم
 نطش فرحاً ببشارة عمارة قصورك العالية فأين مزية عبوديتنا ولو تم السرور كما تروم لك
 من الأبهة والافتخار لا بحنا ألف هدى وقد كنا عز منا على استحضار ما غلبنا من النقود
 مع الاقتراض عليه ابني سيدنا بجاه هو واجب عليه من الانعام على الرعية كما جرت العادة
 بذلك لا بناء الملوك السابقين فقد كانوا اذا أنحفهم آباؤهم بمنزل هذه البشارة عقدوا مجلسا
 في الغداة وأمد من فيه من الامراء والوكلاء بالهدايا والانعام على حسب مقاماتهم من
 لدنهم لنأدية رسوم الدولة فعاقبنا امران أحدهما ان ما عندنا مع اقتراض منسب له لا يفي
 بنصف ما يجب على أبناء الملوك تأديته والثاني ان الرعية بأسرها تعلم بانك لم تملك شيئا
 وانك صفر الكفين فيدركون ان النقود من عندنا وقد أعلمناك برسوم اسلافك وهو
 الوجه المدسوس عنك واننا ان فعلنا ذلك تسببنا في معاملة الوزير والنديم لنا بالسب
 والنهر وما علينا من النهر والسب وانما نخشى أن يبعد اننا عنك فتتقاد لهم أنت بالسحر
 فتصير كالطفل في أكفهم لا تملك شيئا ولا تغتخر بشي من رسوم ملوكيتك فلما سمع الندي
 هذا القول عزت عليه نفسه وتضجر على خلوات يده وتصغى غير همته فتبدل بالخرن
 نشاطه وجرى مدرار الدمع على وجناته وتنفس الصعداء من زفراته ثم التفت اليهما
 وقال ماذا عليكم لو تركتما في أمتع نفسي ببشرى مرادها * وأروح روعي بسرور فؤادها *
 لبله واحدة فيا ليت شعري اخذاع ما أبدىتموه * أم اشفاق أصدق ما قلتموه * أم نفاق
 فخيداعني وخلياني وقد قوضت أمري لعالم السر وأخفي * وهو حبي وكفي * فذهبا
 عنه وتزلا الى مخدع صغير وأما هو فقد جعل يبكي حتى طلع النهار وكان الوزير والنديم قد
 اطمأنا ببشاشته واقباله عليهما فكثأ سبوعا في عقد مجالس العمارة وتبهي لوازمها
 واحضار المهمات وترتبت الأدوات وانسافت السعاة الى المدائن جلب ما يلزم فلما انتهى
 الامر على أحسن حاله أقبل الوزير والنديم على مولاها بأوراق تلك الصنائع النفيسة
 يعرضانها عليه لتذكية مسرته وكان المنافقان لم يرا الا بذلك المخدع وهو معرض عنهما
 ومختبل بجبائل أفكاره وهما ينظهران البكاء والحبيب ولم يذوقا طعاما وصارا يسألان كل
 من مر عليهما يا علي صوتهما ليسمعاه أكل سيدنا أنام مولا نا يا ذن لنا ان نراه ولو من
 بعيد فرق قلبه لذهما وخال الخداع صدقافعا عنهما وأذن لهما بالدخول فدخلا عليه
 وهما مظهران له انهما يرتجفان فاستغرب وقال ما هذا الرزال قالاه انما فعل ذلك
 بنا خوفا منك وملاو كيتك علينا وقد تعاهدنا أن لا نذكرك من رسوم الملوك شيئا

بعد ذل وأمر جوك أن أخطأنا بعد اليوم فأمر بقتلنا ولا تعز مننا من مشاهدتك فالقتل
 أهون من الحرمان وقال لأبأس عليك وإني أعتذر إليك عما فعلته معك لأن نفسي قد
 عزت على كيف أكون ولي عهد الملك ولم أتمتع بالحظ ليلته واحدة ثم تحقق لي صدقكم لما
 تأملت فيما قلتماء فعمطت عيني كما فقير لا أقدر أن أصبر ما وصار مدوح يتأثر من
 حالته ويتفكر في الخطأ شرفه ويحذر على نفسه من السحر مع عدم وجود نقود يدفع
 بها البزيل ذلك التأثير بالحب والتلاوة فأثر ذلك الفكر في فؤاده فتغير لونه وانزل جسمه
 كما جرت به عادة من وقع في شرك النفاق من الجاهلين وليس الجهل خاصا بصغر السن
 إنما كل من تلبس بالخداع وخال النفاق صدقا ولم يميز دونه من صدقه فهو جاهل بأمره
 واستناده لصغر السن لوقوعه غالباً في سن الصغر فلما قدم الوزير والنديم بمحفوظ تلك
 المهمات والبشر بالروح على صفحات وجوههم بحسب ما رأياه من مسرة ومدوح ودخلا
 عليه فوجداه بخلاف ما موله سما مع انهزاله وتلونه وتلبسه بالحزن فاندعشوا خراجاً عليه
 ثم تقدم الوزير وحياء تحية الملوك وسأله عن ما به فتكاف الرد عليه ثم قال إني خرجت
 إلى البستان فأثر الهوا عني فأنحرف من اجي فزادت دهشة تهما الكتمان ما به عنهما
 ولم يكن لهما حيلة سوى الدعاء له بالصحة ثم عرضا عليه تلك الحواظ فلم يكثر بهما بل
 قالاً بارك الله للملك العادل فيها فتعجلت ألسنتهما وقالاه أيها الملك ذال لو كان المخاطب
 ملكاً لا جرى واجبات الملوك في الانعام على رعاياه إنما هو فقير حقير واغرو رقت عيناه
 بالدمع وقام إلى مخدعه وهو يبكي فأشرف الوزير والنديم على الانحاء وكررا جعين
 إلى العادل وقالوا يا مولانا حفظنا شياً وغابت عنا أشياء والفهم يخطئ ويصيب فقد
 كان الواجب علينا أن نعرض على الملك من باب الاخطار أن يمد مولانا الصغير بمبلغ من
 الدينار لينعم به على وكلاء الدولة وخاصة عند ختام المجلس فليبادر الملك من فضله بالإن
 عليه لذلك فقال الملك مستغرباً كيف تريان جواز ذلك لحديث السن وقد سبق النهي عنه
 وهو عين الصواب لأن الجاهل إذا تمكّن من النقود أساء الصراف وأخذ في التبذير
 والاسراف وقد وضع في التنزيل أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين فلعلك أيها الوزير
 رأيت منه حركة شرارة أو عدم رضا بحالته التي هو عليها فقال الوزير أستغفر الله لم
 أرمه إلا كل طاعة وبشاشة لكني أرى فطانتته تمكنت وزادت عن سنه لطيب عنصره
 حفظه الله وإن ذلك مما يدعو إلى العطية والانعام فسر الملك وقال إذا تحققت فطانتته
 فدونك وما تستحسنه فنمض الوزير وأمر دشنام بأخراج عشرة آلاف دينار وأخذ أيضاً
 عشر خدعات وبعث بها إلى مدوح بأمر من الملك يقول فيه حيث إن الوزير والنديم
 شهدا بحسن درايتك في التصرف فهالك ما قدم عليك من النقود والخلع فأنعم بهما على من
 يليق عند قدومك في الجمعة القابلة وذلك عند ما تبشر بحسن ختام ما شرعنا فيه أرشدك
 الله فلما وفدت عليه الدنانير والخلع قدم عليه الوزير بعد برهة فقال لما توجهت لاعتاب

الملك وجدته أحضر ما التحف سيادتك به وأمرني بإرساله إليك فسر محمد ورح به سديته لأنه
 لم يقبل ذلك مثل هذا الأسرار خاصة الملك له بالتصرف كما يريد فقال للوزير إذا قدمت
 في الجمعة القابلة متى يكون وقت الانعام والى من يؤدي قال الوزير الأمر مولاي فمن
 يرغب وأما الوقت فبعد بشري السيادة بحسن ختام المسئلة وتقبيل راحات الوالد عند
 ذلك تخرج إلى قاعة الانعام وتصدر الأوامر لمن تشاء فقال محمد ورح المستحق من استحسنه
 الوزير وخير التقدير ما قدره هو فقال الوزير بحيث متعنى المولى بنعمة الاستشارة
 فواجب على الطاعة لأمره ثم قبل راحته من باب الحنانة وعرض عليه اللاتقين وقدر
 لهم ما يليق فقرت عين الفتى وصمم على ذلك وكان دشنام أخير غدير بذلك وهما يسعدان
 فغلت قلوبهم بالاقباله على الوزير واستشارته في التوزيع وأدهشهما الطمع وكرها
 توزيع المبلغ على غيرهما وقد التهب قلبهما عليه فلما أتم الوزير حديثه صار إلى خدمة الملك
 وما زال النديم معه حتى نام ثم سار هو أيضا إلى القلعة فانتبه محمد ورح على حسب العادة
 وأراد المسامرة مع القيمين في أمر الانعام فقبلا الأرض وبأدراهم بقولهما أيد الله مولانا كما
 تأيد قولنا لديه فسلم الوزير أن لك حق في وجود النقود وتأدية رسوم الانعام لما
 أمر بحضور هالديك فلو كانت صداقتهما خالصة من الغش لما رضىا بانحطاط قدرك
 عن إيفاء واجبات السيادة فخيت فات وقت الانعام فلا حاجة بصرفها وإعلان الناس
 بانحطاط قدرك عند أبيك وقولهم أن الوزير أمر الملك ببيع النقود إليه فلولاه لم يبعث
 إليه شيئا ولو كان في الملك الصغير سوء أدب لم يقبل ذلك ولكن قبوله من حسن تربيته
 قال الفتى وكيف العمل أردما أنعم به والذى ارتكب سوء التربية قال أن عطاء الملك
 لا يرد وإنما رأى أن تتركه في خزينتك وتمرض أنت قبل الجمعة ليتعذر المسير إلى القلعة
 وبعد مضي هذه الأيام لا يحتاج الأمر إلى إحسان وانعام فتيقن أن قولهم ما حق لأن
 المناقبة يستحق القول المقنع ولا يخفى على السامع أن الخداع استأذ الخداع يفقه
 صاحبه في مكاييد الدسائس ومواقفها حتى يستخلص زبدها ليقنع الخدوع بالتول
 السديد فصمم الفتى على ذلك فلما كان يوم الجمعة قدم الوزير ليذهب به إلى الملك فوجده
 في الفراش فطارعه عليه وقال لا أحد الجند على بطيب الملك خبر بدون أن يخبر الملك
 بانحراف مزاج ولده فحضر الطبيب ترجف أعضاؤه حذرا على محمد ورح وكان محمد ورح
 التفت عن الوزير ولم يخاطبه إلا بتكليف فقطن الوزير تجديد الدسياسة وطمع المناقبة
 في المال وقد عاقاه عن القدوم على والده بعذر المرض فلما قدم الطبيب دخل به الوزير
 إلى الخلاء وقال له أعلم يا خيراني سأقلدك بخدمة إن قتت بفرائضها على حسب رغبتى
 وفيت حقوق خدمة هو إليك أنك تعلم أن محمد ورح واحد خلافتنا وقطب عالم كنا وقد
 عزم القيمان على أنلاف خصاله ومرادى أن أعلم بحقيقة الدسائس فأقبلها بالسياسة
 القالعة لا صولها قبل تمكنها فعمل الله يدراعنه وعن أبيه مكاييد الخدع قبل أن يتفاهم

خطبها والله الموفق فأملئ أنك تبدى الصداقة لهما ما استطعته حتى تصير أحب الناس
إليهما وتطلع بهذه الوسيلة على أسرارها ولا يحذر منك في نجواهما وتكون مشتركا في
خباياها لتخبرني بما كان منهما وما سيكون وقد ساحتك في تعيبي وسي وسب عقيل
أيضا وإن تظهر نفورك منا ولا تكثر بتهدينا إليك إمامهما أو عيت ما قلت لك قال
خبير نعم وعلى ما تبغى ثم أخذوه ودخل على مدوح فصار يجس نبضه ويدق على صدره
ليبحث عن مركز المرض ثم أطرق مليا والتفت إلى الوزير وقال حفظ الله عزيرنا من
كل مرض انما به انفعال نفسي أو جيب تغير دمه وكان عليهم أن تتأملوا فيما بيده عياناتا
من التلون في أول الأمر وتسعفه بمراده ليصفو دمه ويطيب خاطره وقد أزم من معه
الغيظ حتى أداه لهذا الانحراف فإذا سألني الملك لم يسعني إلا الصدق وأملئ من الوزير
والنديم عدم المؤاخذه لأن المسؤولية عائدة عليهما لكونهما ملازميه فأظهر النديم
والوزير دهشة عظيمة وقالوا اننا لم نرمه أدنى انفعال أبدا فسر المنافقان بما قاله الطبيب
وصارا يمزان رأسيهما ويقولان ما أحذق هذا الطبيب ثم أحضر الطبيب بالزم من
الجرع وقرر مواعيت التعاطي ومقاديره وأخذ الوزير والنديم وقدماء على الملك وقالوا
إن مولانا الصغير معه آثار بدفلم نرض اخراجه ومنعناه عن القدوم على الملك فلا يكون
عنده قلق وفكر عايله من عدم الحضور وهو ادنا الاستئذان في ملازمة خبيره لخصري
طعامه وشرابه ونخروجه لا تريض فاستحسن الملك ذلك الرأي وأقام لخدمة نفسه غيره
فصار خبير يظهر غيظه من الوزير والنديم للقيمين ويؤكده لهما وميله إليهما في
خاواتهما ما حتى تمكن حبه في قلوبهما وألفيا صداقة حقا وكان الوزير يحرض خبيره
على التأمل في الدسائس حذرا من دس شيء من السمومات للعادل في طعامه أو شرابه
لأن أقصى مرادهما فقده وأما أهم أمر في سوق خبير إليهما الذي كان أعظم سياسة
من دون هذا كله فسيعلم في خاتمة القصة فلما مضى الأسبوع ولم ير الملك ولده غلبته
الوحشة فركب إليه فسبق إلى مدوح الخبر فابتدره المنافقان وقالوا إذا قبل الملك عليك
فلا تبد البشاشة له وتسل بالتمهل والانكسار لتغلبه الحنانة فيعاملك بالمساحة في كل
ما تريد فعند ما قدم الملك ووجهه بتلك الحالة لاسيما تلونه وسقمه طاش عقله وهمعت
دموعه وسأله عن المؤدى إلى ذلك فلم يبد شيئا سوى الانكسار والضعف فغضب الملك
على الطبيب وقال إن كان ولدي بهذه الحالة فثائرة وجودك عنده فتلجج الطبيب وقال
سأخبر الملك غدا بكل ما لزم فخرج الملك وقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وبات
يجول على قدميه إلى الصباح والوزير والنديم يدقان الكفوف على هذه الحالة ولم يقدر
أن يتفوها بشيء وتخبر في أمرها وأما دسنام وغدور فانهما اختلباه وقالوا قد أقبل
عليك الفرج فأعرض على أيك الخروج للسياحة لنتمتع باتحادك معنا ونطلعك على
أصول الابهة والشأن حتى تنقطن رسوم السلطنة وتخلص من أكف إمارة الوزير

والنديم ولا غروان كنت بعينه اذن البلد ان نام عليك من أثر السحر وكان خبير يسمع ذلك ويقول أنا آتى بالرخصة في غد وأعرض الملك على اجابة قولك في كل ما أردته فلما كانت الغدوة دخل خبير على الوزير والنديم وأخبرهما بما كان من دشنام وغدور فيكيا بكا شديدا وقال لا سبيل لمنعه ولا تخلصه الآن من أكمهما الا بالسياسة الدقيقة فذهب يا خبير وبشر الملك بصحته واستأذن بالسياحة لعل الله يفرج كربته قد دخل خبير على الملك وقال ابشر الملك بصحة عزير تاو غما المؤدى الى ذلك الانحراف ثقل دروسه ولطف مزاجه فانقبضت نفسه عن النشاط فليزمه التريض في الضواحي ليتبدل انقباضه بالنشاط وينشرح صدره بالانبساط فقال الملك وما أدراك الى تأخير طلب الرخصة عجل بكل ما تستحسنه فعاد خبير الى الفتى وبشره بالتصريح بالرخصة ففرح وتأهب للسفر وخرج الى الكوفة وصار يتريض كما يشاء والمنافقان يستولون له كل دسيسة سوء ويفهمانه ان الابهة في عدم الدين والبشاشة ومراعاة ذلك شراسة أخلاقه وتمفر الرعية عنه فاذا فقد العادل قاما هما مقامه بعطفهما على الرعية وقربهما من ولده وانما كان اشتغال فكرهما في كيفية يبعدان بهما الوزير والنديم عن الملك والمدينة وكانا لا يجدان لذلك حيلة فكثمدوح شهر ابا الكوفة وقدم عليه الوزير بعوده فوجد جسمه قد ترعرع وتوردت وجناته ولكن تخاف بأسوا خلق من الغرور والفظاظة قد دخل الوزير وحياه فلم يكثر به وصار يتكلف الرد عليه في الكلام فقال الوزير في نفسه بلغ النفاق ما بلغ سانحه مرة فان لان للقبول فيها والا فأكون أدبت فريضة عبودية ولا طريق لي في الابرام ولا حيلة لي في عدم القبول فلما كان وقت التريض خرج الفتى الى الساحل والوزير يتبعه فاذا بسلسلة حفاة قد برز نصفها من البحر والنصف الثاني في الماء فتصادف ان رآها همر صغير تغلب عليه الشره والطمع في الغذاء فهجم عليها وأنشب أظفاره فيما بان من يديها فلما أحست بالالم جذبت نفسها بقوة وغاصت في البحر والهمر متعلق بها وصارت هي تعوم على جرى العادة حتى دخلت وكرها وقد غرق الهمر وهلك فوقل مدوح وقال لو تأمل في كبر السلسلة حفاة ومخرج جثته امصى الشره وخالف الطمع اللذين أدياه الى الهلاك في حكاية أجنبية يحكى قال الوزير لو كان انسانا لاستحق اللوم الا أنه حيوان والحيوان مرفوع عنه التكليف وقد عن لي أن أعرض على المولى نادرة تشبه هذه النادرة رأيتها في بعض الكتب وهو ان غرابا اختطف قطعة من الجبن ومكث على شجرة ليا كلها فراه ثعلب فقال في نفسه اني أحق بأكل هذه القطعة منه وسأخذها بالطف حيلة فتقدم نحو الشجرة وصار ينظر الى الغراب تنظر المحب المشوق ويقول جل الذي صور هذا الجمال ما أالطف هذه الذات ما أليقها بالسيادة على كل الطيور فن لي بسماع نعماتها المطربة لينشرح صدرى ولوعلم صاحب هذه الذات بدرجة شوقى لسماع نعمته لمن على ولم يخل فرأى الغراب في نفسه ما رأى من الجمال والعظم وخال امصديق صادق

واغتر بحيلته وخداعه ونعق فوقعت الغطمة من متقاره فلقفها الثعلب قائلاً خيبة
 الله عليك وعلى نعيمك فندم الغراب أشد الندم لكن بعد فوت الفرصة والندم بعد فوات
 الامر لا ثمرة فيه وذلك الغراب معذور طيوانيته لانه لم يجد نصوحاً له كون أبويه من
 جنسه قال ممدوح صدقت لا يرشد الانسان الا صديقه ونصوحه ومراد ممدوح بان
 القيمين يرشدانه بطرق السعادة فقطن الوزير لهذا التلميح فقال مولاي علي من يرشد
 المأمل والتميز فيما يلقيه اليه نصوحه فان كان مألوفاً لى العامة فهو صادق والا فهو
 منافق فعليه أن يعز مدلول ما سلكه فيه نصيحة فاذا رآه من ضيالى الناس اقتدى
 بنصحه ولا زمه وان كان مذبذباً أعرض عنه وتجنبه فالعاقل من اعتبر بغيره فأطرق
 ممدوح وجهه في التأمل فلم يرف في مسلكه نجاحاً واصلاً حاول تصور نتيجة ما قاله له المناقحان
 انه أمر مذبذب لدى العامة فأطرق ملياً ثم قال للوزير أريد ايضاح النصيح الصالح من
 الفاسد فقال الوزير يا عزيزي ان كان الانسان انساناً أولاً ما يمتد به بالدهر وسالفاته
 ليعكون هذا الاعتبار زاجر للنفس عن الغرور ووسيلة اقناعها بانها لا حيلة في المقدور
 وان المال والبنين زينة الحياة الدنيا وأن لا مناص من الموت فاذا مات المرء مات كلياً
 حاز من الزينة والزخرف في النائدة فيسه وعلام الافتخار به فتأمل يا عزيزي في ما قاله
 المثل لا يغرك الفرح بالوجود * وانظر لما فعل الدهر بالحدود * قد دثرهم تحت الصخور *
 وصار وارماً في القبور * واعلم سيدي ان لكل حبل انصراما * ولكل عال انصراما * فن
 قالك لسبل الغرور وقد ظلمك * وأعدمك أملاك * عزيزي من تعالت بالكبر نفسه * أقتر
 بالدناءة جنسه * ومن جعل العلا مرتقى همته * أثبت الشرف لذمته * عزيزي طيب
 عنصرك ومجادة كمال ملوكيتك يعلمانك بالفرق دون غيرهما فالصادق حين يجد نتيجة
 صدقه جاءت بما أمله من صديقه كتم وبكى * والمنافق اذا أحس بانحطاط نفاقه أقشى
 بالباطل كل سوء وشكى * فانك ان أطعت الصديق ربحت وأسررت * وان أطعت المخادع
 خسرت وأبخرته * لان النفاق حبات سم والانقياد له شرك * ومن مال لا انقاطه اضحى
 وهلك * عزيزي عثرة الكبير كبيرة وان كانت صغيرة وعثرة الصغير صغيرة وان كانت
 كبيرة عزيزي ان هرولت طامعاً في الفوز قبل أوانه زلفت * وان قنعت بالصبر شاكرار
 بحت * عزيزي ان لم تجرب في الصدق صاحباً * لا تكن له مصاحباً * عزيزي ان النصيحة
 لدى الطيس مرة * لكن نتيجتها عند الادراك حرة * عزيزي النواضع والصبر خصا بمرارة
 يعقبها الشهد * والبغي والغرور حفا بخسارة يعقب الندم والندم * عزيزي قالت
 الاذكياء خير الكلام ما قل ودل فنظر ملوكيتك بريك * والتأمل في سير غيرك بكفيك *
 ولا جسارة للعبد في الزيادة والتوسيع * عما أحاط العلم الرفيع * فلما انتهى كلام الوزير
 قام ممدوح الى قصره وقد أثرت الاقوال فيه وغاص في بحر التحير بين الصدق والنفاق لانه
 يجد في النفاق راحة المساعدة لجوله * ولا يجد في الصدق الا المباعدة عن مقتضى هواه

وميله * ففطن دشنام لكنه ضمير مدوح فبادر بالآفة واطهار الشفقة وجد في دفع أفكاره
واعادة بشاشته وقال لا تشغل ذهنك بالفكر فتخرف صحتك فيقول الطبيب لا فائدة في
التريض فيرجعك الى المدينة وناهيك مما تلقاه من التضييق والضنك وقد وصف لنا كاهن
بالغرب يخبر عن المغيبات ويحل كل معضلة من السحر وقروم احضاره ليخبرك بالحقيقة
ويطيب خاطرك بالراحة عن ما جاش به ونأمره بما تريد قروح مدوح بنسيم هذا الكلام
وقال علي به قال نحتاج الى تقود كثيرة قال ألم يكن مابعثه الملك لديم نخذ منه ما تريد فتحدث
دشنام مع غدور واتفقا على ما اتفقا عليه وسافر غدور على انه يبحث علي من يسافر الى
الكاهن بعد ان استأذن من مدوح في ذلك وكانت نتيجة سفره انه توجه متنكر الى
بغداد واشترى من الحلبي ما خف حمله وغلاظته لزوجه ولزوجة دشنام واتفق مع أحد
المحتالين المشبهين علي انه يحضر بعد مدة قترها له بلباس الكهانة ويخبر الفتى بما
لقنه غدور ثم عاد الى مولاه وقال أرسلت من أثق به في استحضار الكاهن فلما حضر
الكاهن المعهود دخل علي مدوح فعظمه وسأله ايضاح ما في ضميره فتأمل الكاهن في
كتابه * وقال اعلم يا مولاي انك من عنصر ملوك ولا ترضى نفسك بالاسر وتأبى طاعة أمر
غيرها والامتناع لنبيه وقد كنت في الطاعة والامتناع بالخير عنها سابقا فان سرت علي
ما كنت عليه انخد سرورها وطفق نورها فينكتم نجم الانبساط وتصرف الصحة
ويختم المزاج وقد كنت صغيرا لا تبى واذوعيت حفظك الله فان لم تؤد اليها حق
شهامتها ورفعة قدرها بنفوذ أمرها أدت الى الهلاك وأرى انه وراءك اثنان من
السحرة يرميانك بكل تسخير لهم ما وقد سخر بالسحر أكبر قوماك فالتفت بحرسك من
مكايدها واني سأعودك بالاحجية وان بلغت ما بلغت فلا تبخل علي نفسك بالصحة والسلامة
لانك ان تركتها في هذا الخضوع والتواضع عدمتها وهذا الطبيب يشهد بذلك فنظر
مدوح الى خبير وقال كيف ترى هذا القول وكان خبير كاد ان يشرف علي الهلاك من
اتفاق النفاق ولكنه لم يتمكن أدنى معارضة فقال ادراك مولانا أدري مني في كل ما هو
حسن فالتفت مدوح الى الكاهن وقال ألم يقل الله في كتابه العزيز ان النفس لا ماره
بالسوء فكيف تطاع من كانت أمرة بالسوء وفي سوء أمرها أصدق شهادة قرصنا ان
نفسى أمرتني بخالفة أبي فكيف أطيعها وقد تلوت في التتريل فلا تقل لها أف ولا تنهرها
وقل لها قولاً كريماً واخفض اهما جناح الذل من الرحمة فخنقت قلوب المنافقين من
هذا القول وعلموا انه لا يعصى والده بنفاقهما فقالا من فهم واحد نستغفر الله ان يكون قول
الشيخ في مخالفة أمر الملك لان الوالد لا يقاس بغيره وان رأينا من مولانا أدنى مخالفة
راجعنا في الحال وان لم يكن لنا حد في المراجعة انما قوله في مخالفة ذينك الاثنين حيث
خالفا أمر الله عبادتهم بالسحر وقد أنزل في كتابه ولا يفلح الساحر حيث أتى فتنع الفتى
بهذا القول وصار الشيخ بمنطقه بالاحجية الكاذبة ودشنام وغدور يطوفاه باشنع الخلق

حتى تلبست بحايل طبعه بسوء التطبع وتجنب زيارة الاهالي فلما انتهى وقت التريض
ورجع الى بغداد قدم على والده وهو على أحسن حال في استقامة الصحة ظاهره وأسوأ
حال من الفظاظه باطنا فسر الملك بظاهره ولم يدركه كنهه أخلاقه فصار مدوح بمجد في
الثناء على القيمين فأمر الملك لكل واحد منهم ما يضيعة من الضياع العاصرة ولم يستشر
الوزير والنديم لشدة سروره بصحة ولده فتخيل مدوح ان السرقى بحجب السكاهن فصار
الوزير والنديم يتأملان في تلك الاخلاق الممدوحة كيف عدلت عن كل ما يزين ومالت
لكل ما يشين وصارا كل ما يتوجهان اليه للزيارة يجدان الحاجب بياب مخدعه فيخبره
بقدومهما او يعود اليهما بقوله انه مشغول والمقابلة في يوم آخر فيعودان خائبين وكان
مدوح يخرج الى الجزيرة لمناظرة العسكرة والتريض فيسبق الوزير والنديم قبله شوقا
لرؤيته فيريانه عبوسا فيصرفان عنه وكلمتا سألها الملك عن عدم ملازمتها اياه يقولان
ان مولانا كان صغيرا وكنا جعته لعدم معقوليته وأما الآن فقد فطن وعقل فلا يحتاج
لهما يتناول لالتناو ككان أرباب الحاجات يترقبون وقت خروج مدوح الى الجزيرة
ويتمسكون عطفه لشمسية اشغالهم وقضاء حوائجهم اعلمهم بقبول قوله عند ابيه كالتى
سجن ولدها والى نفي زوجها وما أشبه ذلك فيبادرهم بالسب وبالسخط ويقول لئلا
تهذبون أخلاق أولادكم بحسن التريفة وتتركونهم لارتكاب الجرائم فجزاهم ما حاق
بهم وانا أزيد في التشديد عليهم واذا امر عليه أحدهم مكتوف فاساق الى السجن
أمر بشد وثاقه أضعا فامع قوله لو لم ترتكب ما ساقوك في هذه الحالة الشنيعة
فتاقي عاقبة ارتكابك واشرب من كأس بغيتك واذا قصده سائل واثقا بانعامه أمر
بجلده ونهره بقوله لو كنت انسانا فى الحقيقة لتعلمت حرفة أغنتك عن الكدبة فلعن الله
أوبك وعندي ان تترك بلا قوت حتى تموت جوعا واذا قابلته فى المسير أحدهم من الزنج
أمر بحبسه وجلده قائلا كيف يقابلنى بهذا الوجه الاسود ولم يكثر بسلطنتى فصارت
السودان ان سمعت يخرج وجهه يهربون الى الخرائب ويدعون عليه بالموت وبلغ منه
التعاطف ما بلغ حتى انه كان يأنف ان يتحدث مع من كان أصله أسيرا ولو صار أميرا
ويقول لم ترض ملوكى ان تخاطب من دفع عنه كما يدفع عن الحيوان وكان يذهب الى
البيمارستان ويسلط الصغار على المجانين فيضربونهم بالاحجار فيصير خون ويفزعون
وهو يضحك فامتلاء الناس حزنا شديدا على فساد أخلاقه وصار العلماء يدعون ويذتهلون
الى الله فى اصلاحه مع البكاء والخيب وانساب عقل الوزير والنديم وضافت عليهم
الارض فاستأذنا الملك فى تغيب اسبوع للوزير وعلى ضياعهما فيه واعتكفا ذاك الاسبوع
وصارا يتداولان الحديث فى خلوتهم ما فقال الوزير لأمي يا أخي انه كان أقوى تحسرتا فى
انتقال ملك سيدنا الى غيره قبل وجود ولده وأما الآن فهو الوجه المحبوب للرعية لما نحن
فيه من الخيبة وقد ضاع كلبا أبدعناه من الاصلاح وحبط العمل فى الفلاح واعوج

المستقيم وقد استولى الهرم على العادل وغلب الضعف قوة عقله وانحط غزم تميزه
 وقرأته فان عرضنا عليه أدنى إشارة لتلافي أمر ولده هم بنهره وان نهره تعرض بالكذب
 وان تعرض طاش عقل والدو علام الحزن والأسف وربما غدر علينا بالسب والسطط
 من حنائه عليه وحامة هرمة قنن بين الخاص والعام فنصير مسخوطي الطرفين وربما
 يعاوه الحزن فيموت بخاة فاريني أنت القائدة في شرح هذا الوجه والافار أي عندي
 بعدنا عنه ويكون البعد في خدمة يختص به المدوح ويكون فيها مشغولية سروره
 وليس يشغله إلا البشارة بالزواج لانه بلغ الحلم والزواج للفتى أقوى لاهية وأتمهي
 بغية وعلمك بشهرة بوران ابنة ملك الجهم وما هي عليه من سدادة الرأي وذكاء العقل
 وحسن الادارة ولا يتفالك ما هو عليه من الرشاقة والجمال فاذا تمكك حبه منها وحبها له
 انقادا واهرها فتكون هي أقوى مساعد في النهي عن السوء والامر بالاصلاح فانا
 أتوجه الى ايران خاطبا لها وأنت تتوجه الى الشين لاحضار أمتعة الزفاف فيكون سعيها
 في خدمة مسرته * وبعدنا عنه لراحتته * لان الناس قدأكثر اللغط ومهما كتمنا
 أمر يجنبنا عنه ونفوره منا لا يقبل كتماننا حيث ان قربنا لا يفيد منه في الاصلاح
 وبما الامر على ذلك الرأى وكان قد انتهى الاسبوع فعاد الى العادل فتقدم الوزير
 وقبل الارض وقال الحمد لله الذي متعنا واحيانا * والى الخطوة بهذه البشارة في ظل
 الملك ابقانا * فدجج سن العزيز الى الزواج * ورفع الحظ رايات الفوز للزواج *
 فنقول قولايسر * من غاب ومن حضر قد بلغ السيد من الاعوام ستة عشر * وطاب
 وقت اشتماله بالعروس * وتاقت الارواح لهذا السرور في المبهج لجميع النفوس *
 فامتلاء صدر العادل بالانشراح * ولاحت على وجهه علامة لافراح * وقال نعم
 الخبر * وحبذا قول بالبشر اشهر * غير اني أراه صغيرا * وعن سلطة الرجولية قصيرا *
 ولكن ما استجلمنا الالداع * وغرض ينبي عن صوب تلك المساع * فلما الخيرة في
 بنات الملوك * وعلاهمة في حسن السلوك * قال الوزير اني أرى السيدة بوران ابنة
 ملك الجهم كفوالة وعديله * وهي لما اشتهرت به من حسن الادراك لصيانة الامير
 خير وسيلة * فليختر الملك من شاء ليخطب تلك المصونه * وينتخب أحذق أريب جلب
 متاع هاتيك الدرة المكنونه * فقال الملك لا غاب رأيك عن الصواب * ولا انحط
 ادراكك عن كل أمر محاب * اما الخاطب فهو الوزير * وأما الجالب فهو النديم *
 وتعلم ان أنفرا الحللى بالشين فبادر المايرضى نفوسكا * وهنئال رخصة عروسكا *
 فعند ذلك هاج المجلس بالتهنئة * وعلت الاصوات بدعوات التوفيق الزكية *
 وشاعت في المملكة مسرة هذا الخبر * وتأهب الوزير والنديم للسفر * بعد ان قدما
 على العروس وبشراه * وبرخصة عرسه هنا * فكان نشاطه لبعده عام عادلا
 لبشارة العروس * وأهني فرحاً بقل ما رب النفوس * وتوجه الطاعنان صباحا *

وامتلات الاقطار افراجا * فإزالا ساثرين حتى دخل كل منهما بقعة الطلب * وهم
 بأجراء ما موريتسه كرام ورغب * قالت المؤلفه فتذكر الدهر غدرا ته * واشتاق
 له اداته * فبادر بالعمل * كما قلت في المثل * شعر

قد راق راحي وبدر السعد أسفرتي * نخلت ان اليا لي صكها بدر
 فاستضكت لي نغور الدهر قائلة * ذي ليلة ليس يحوى مثاها الشهر
 جهلت ما سوق تلقى من مصادرتي * فسلاتشق بابتسالي اني الدهر

فلما غاب الوزير والنديم صار العادل يلاحظ ولده في سيره حذرا عليه من الدسائس
 في غيبتهم ما فلاحظ الشراسة في خلقه وأحسن بنفورا العامة منه فعلم ان الوزير والنديم
 اغما قصدا برواجه تهذيب خلقه بتلك الوسيلة وعزم على البعد لمخالفته لما فطاش
 الفكر منه وتسلطن الحزن معه فغلب على قوة تجلده لمرسه فاعتراه خفة ان شديدا
 مصحوبا بالتهاب مخي فكث يومه يتجاد ويهالج نفسه ومهمل ما عالج ازداد فلما كان الليل
 أمر باحضار ولده لينصحه ويأمله بنفورا الناس عنه لفساد أخلاقه فحضر مدوح ودخل
 الملك الخلو لا جرا ما أراد ودخل العتي أيضا مع ذينك النعيمين فقط وكان ظن الملك ان
 النعيمين يخدمانه بكل خلوص وما يدري انهم ما عين الخسارة للطرفين فلما رأى ولده غلب
 عليه البكاء وجاشت حنانه فانه قد لسانه فضم الغلام الى صدره برهة ثم انخلت يداه عنه
 وهو في آخر رمق فأسفرت تلك الليلة بنور لده * الاوقيل رجة الله عليه * قالت
 صدر ولده وهم باحضار جهور الحكماء فنهى القيمان بقولهما ان هذه الحال معتادة
 عليه فاذا حصل احيانا يجب ان يكون في خلوة بدون ادخال أحد عليه حتى يفيق بعد
 ساعات وهذا شأنه منذ أعوام فصدق الغلام وقام من عنده فادخل الملك في حجرة كانت
 بالحرم وغسله وكفناه كما استطاعا وقد ترك الملك لصاحبه * والمال حاجبه * ولودام
 الدهر للرسل من العيوب * لكانت مصيبة الموت منه أكبر الذنوب * قالت فلما
 أجرى القيمان ما أراد اوراما ان ينزله من باب السرو يلجأ به بالبستان وكان مدوح
 يدور هناك كالمتموه ينتظر افاقتهم فلم يسعهما الا اعلامه بعوته فأتيا اليه وقال له انك
 حديث سن ولم تدر مكاييد الرجال ونحن نجتهد في ابقاء الملك لك بحق الصداقة فلا تخرج
 عن أمرنا وتعلم ما نحن عليه من الخلوص والحنانة لك فاكتم أمرك واعلم ان أبالك قد توفي
 وان أعلنت موته هجمت عليك الملوك وأخذوا ملكك منك بعرفة رعيته ورضائهم
 لانهم لا يرغبوا في تسلطك اسوء خلقك فصاح الغلام صيحة عظيمة قائلا فقد والدي
 أمات سيدي فغطيه افعه بايديهم ما ومنعاه عن الصياح وقال لا تطع جهالك ولا تنفس أمرك
 فتطرد وتحرم من الملك لانك لست أهلا للسلطنة فلا تحبط سياستنا ولا تخمدر باستنا
 قال ناشدتكما الله ان تريا في جنازته حتى أمر غوجهي عليه فادخله عليه فانكب على
 أقدامه وصار يتفرغ ويقول الى من تركت ولدك الكتيب وأوصيت من عليه فغذاه

بعنف وادخله حجرة صغيرة وحبساهم أو أنزل الملك من ذلك الباب وحده في جانب
 البستان ثم رجعا واحضرا كاتب الديوان واكتباه كتابين وختماهما بختام الملك وحجزا
 الكتاب عن الخروج بحجرة أخرى واكتباه كتابا آخر ثم اتيا إلى عمودح وقال له إذا
 كانت الغداة فخرج إلى الديوان بأعلى ملابسك واحضر الوكلاء والأمراء وقل هذا
 منشور عن أمر والدي أمرني بتلاوته عليكم وأمركم بالطاعة لكل ما فيه فقتيل الغلام
 أنه اصلاح كما عرفاه فزال يمي بصوت منخفض ويخط حتى طلع النهار فقام المناقحان
 إليه وغسلا وجهه والبساه أنفرا الملابس وحذراه من اظهار أدنى حركة من شعائر الحزن
 وأكد عليه بإيضاح البشاشة فقال اني لم أقدر أنمالك نفسي من البكاء إذا قرئ أمر أبي
 أممي وهو تحت الثرى فانا أقدمه وأقول ما قلتماء على حسب أمر كما وأسرع بالرجوع
 إلى بيت خني فلما كانت الغداة قدم أرباب الديوان وتسكامل المجلس ونخرج عليهم عمودح
 وقال ان الملك أمرني بنشر هذا المنشور وأمركم بالطاعة لما فيه وكرر رجعا وكان
 مضمون المنشور أقول وانا الملك العادل من حيث ان المرض الذي اعتراني لم يقبل أدنى
 حركة في القول ولا في الفعل فاستصوبت الاعتكاف في الحرم لحين الشفاء وسلمت أمر
 المماليكة للقيمين دشنام وغدور وسلمتسما ولدي أيضا وأمركم بأجراء كل ما أشار به من خطا
 وصواب فأيكم ان تعرفوا عن الامتثال في الأقوال والأفعال فامتثلت الرعية للأمر مع
 الاستغراب لدخوله إلى الحرم وكيف لا يدخل شيخ الاسلام وقاضي القضاة ويشهد ان
 بصدق أمر المنشور كما جرت العادة وانما جعلوا امتثالهم لأمر الله حيث أنزل أطيعوا الله
 ورسوله وأولي الأمر منكم فتقلدوا بالطاعة ودعوا له بالشفاء وانصرفوا يقولون حسبنا
 الله وكفى فمكان أول أمرهما باعتكاف عمودح خارج البلد وكف الرعية عن زيارته والثاني
 ان لا يجتمع رجالان من أرباب الحكومة بمحفل واحد ثم أرسل السكاكين المذكورين
 لمالك وعقيل على الفور ولم يعلم ما فيهما وعينهما الممدوح محلا خارج المدينة وخرجا به إليه
 ورجعا واقاما على الأمر والنهي فيما يرومان هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من
 أمر الوزير فانه قدم على ابران وقابل ملك الجهم وتلا منشورا خطبه عليه فقام الملك على
 قدميه سرورا بيشارة هذا الشرف قائلا نعم النسب اني كنت أريد ان أرفها إلى ابن أخي
 ولكنني عدلت عنه بمصاهرة ابن العادل وأمر بدق طبول الافراح ورفع رايات السرور
 وعقد في الغدوة مجلسا عموميا ودخل الوزير بامتعة العروس فمكان أول ما قدمه التاج
 ثم صورة عمودح مرصعة بالياقوت والجواهر مع الخاتم فاستلم الملك ذلك المتاع وانهمسك
 في الافراح اسبوعين ثم انعقد العقد وصار الاملاك على أحسن حال وانبت الرأي على
 ان الزفاف في العام القابل وكتب الوزير القرار بختم والد العروس وأخذ الوزير القرار
 وودعهم وقصد بغداد وخرج الملك وأرباب دولته لتشييعه إلى خارج البلد ثم دعوا له
 بالسلامة ورجعوا إلى مدينتهم وتوجه الوزير بحاشيته فبعد مضي اسبوعين في السير

قدم عليه الكتاب المهوديلا وكان بخاوة الخيمة نقضه وتلاه فاذا فيه اعلم أيها الوزير
 ان الوعد قد سبق علينا والقدر أجرى حكمه وهو ان ولدي محمد وحلما كان يخرج
 للتريض عشق صيد من بنات الافرنج فهام بها حبا وطاش بها عشقا واعلم اني لم أرضها
 له زوجة لم يسعه الا الشرود فانخذها وأبقامعا وأغلب ظني انه ساريها الى بلادها فاملي
 ان ترسل من بطرك من العساكر ولا تفشي هذا الامر اليهم وتتوجه أنت الى تلك
 البلاد متسكرا واهتم في البحث عليه فعمسى ان تأتيني به فلما قرأ الوزير ذلك المرسوم
 أغنى عليه ساعات فلما أفاق خرج الى العسكر وقال توجهوا أنتم الى بغداد فقد أمرني
 الملك بأمر الزماني بأمره فاذا تم سألني بكم فتوجه العسكر على حسب أمره وخرج هو
 على وجهه هذا ما كان من أمره وأما ما كان من أمر عقيل فانه دخل الشين متسكرا
 وصار يدور في الخانات والمغازات ويستعلم مقادير الاثمان حذرا من الغش حتى تحقق
 ذلك لديه ثم أعلن نفسه وأحضر شاه الهندرو قال اني نديم العادل قد أرساني لاحضار
 متاع العروس لانه هم بزواج ولده محمد وح فاستبشر التاجر بذلك الخبر وأخذته الى حضرة
 ملك الشين وعرض عليه ذلك الامر فلاح السرور على وجهه وأكرم عقيل لا أحسن
 اكرام وأحضر كاتبه وحرر كلاما عقيل مشتراه وقال تستلم هذه الامتعة والحلي بعد
 أربعة أشهر حتى تنسخ الاقشة ويصاغ الحلي على حسب الرغبة وتقرر الشرط على ذلك
 فقال عقيل سأجعل اقامتي سياحة في ارياف الشين لسماع نوادرهم ومشاهدة أخلاقهم
 فخرج من المملكة وصار يقصد الضواحي فكان ذات ليلة يتفرج في الازقة فقدم عليه
 الكتاب المهودي ففرضه وتلاه فاذا فيه الاسف ثم الأسف أيها النديم الحقيقي والمخلص
 الصديق فيما حل بنا وهو ان ولدي العزيز خرج الى الصيد فشرده الجواد وغلبه العنان
 وانساب ذلك الفرس العنيد الى ضيعة حراسها عبيد وأنت تعلم بظلمه اياهم بالحبس
 والضرب بلا جرم فاغتموا فرصة الانتقام وأغلب ظني انهم أخذوه وشرده مع البعض
 منهم الى بلادهم لاني اهتممت في البحث عنه أياما ولم أدركه خيرا ولم أزل أثره فامري ان
 ترد على المال والرجال وتخرج أنت متسكرا الى بلاد السودان فعمسى ان تلقاه ولا تعد الى الا
 به فلما فهم النديم مضمون الكتاب ضاقت عليه الدنيا فخرج الى الفضاء الممتد وصر يحنو
 التراب على رأسه ويلطم على وجهه حتى مضى الليل وطلع النهار فقام وغسل وجهه وتأمل
 في مضمون الامر وقال مستغربا ان كان فجع في عزيزه هذه الفجعة الشنيعة فكيف
 يذهب ففكره الى طلب المال وعنده اضعاف وأما الولد فلم يكن له سواه ليمت شعري أجن
 من هذه المصيبة أم هذه النكبة دسيسة ومكيدة من الخائنين صريه فوالله لا أرد له
 مالا ولا أنيله منالا حتى أقف على حقيقة الحال وكان معه عشرة من الرجال فجهرهم الى
 بغداد وقال اني سألني بكم بعد ان تمام ما موريتني على حسب أمر الملك فتوجهت الرجال
 وصار هو يبحث في انحاء الجبال على مغارة حتى وجدها وحضر فيها حفرة حتى أغارها واتي

بالصندوق على بعير وأتزل به ذيل الجبل وصرف البعير بصاحبه واحتال هو بنفسه أياما
 حتى ألقاه في تلك الحفرة وحتى عليه التراب وخرج يقول تبالك يادهر ما أسرك بالغدر *
 وما أجدرك بالقهر * قد حرم عليك يا نفسي الغبوق والصبوح * حتى تلاقى طلعة مدوح *
 وما زال يكرر النعي * ويياشر السهاد والسعي * وهو تارة ينسكب بالانحاء * وتارة يصيح
 بالبكاء * حتى وصل بلاد العبيد وكان قد أحضر معه صبغا يلون البياض بالسواد وأحضر
 معه جرابين مملوءين بعقودا نازوا سورة العاج والخواتم الفضة ولما رحل حتى دخل بلاد
 السودان أذاب ذلك الصمغ وطلب به جسمه فصارع عبدا نوبيا واستوى على صخرة
 فر عليه السودان فلما رأوه أحاطوا به وصاروا يحيطونه بلغاتهم * ويسألونه عن حالهم *
 فقال الحقوني بأميركم * ومتعوني بروية كبيركم * فأركبوه ثورا عظيما وساقوه حتى أدخلوه
 على ذلك الكبير وهو جالس على عنق ربه وإمامه قصعة العصيدة وجنوده جاثون على
 ركبهم حفاة مدهوني الرأس فتأمل عقيل في هيئة المجلس ووحشة منظره وتذكر كيفية
 محفل العادل وبهجة انسه فزال يبكي ويتخبط حتى رقت له تلك الوحوش وصاروا
 يرشونه بالمياه المطينة * ويلطفونه بشعوم للصروع معينة * حتى أفاق وأمسك عن البكاء
 فسأله كبيرهم عن حاله فقال خطفتني التركة وأنا صغير وقد طال أسرى لديهم وكأبت
 وحقت كل كرب مر يب وطالت سلطة البيض علينا * وساقوا كل ذل النساء * فكأ إذا
 اجتمعنا أنا وأولاد عمي نتضجرون بكى ونوح * ونندب ونشكرو ونبوح * لشدة ما تابنا
 من جورهم القطيع * وفعلهم الشنيع * ونأسف على كرتنا * وذلنا في غربتنا * فأليت
 على نفسي أني إذا رددت إلى بلادى * وبلغت أُملى ومرادى * أن لا أسمع بزول أبيض
 إلا سميت لحلته * ومتعت نفسي بذل غربته * وجعلت لكل من داني على أحد منه تحفة
 من هذه النفائس التي بالجرب فسر القوم بهذه الرشوة وفرحوا * وتجاروا إلى على
 البحث وسرحوا * وكل ما وجدوا شخصا أبيض تسابقوا بإبشارته * وأخذوه لرؤيته *
 وصاروا ينتقلون به من بلد إلى بلد حتى لم يبق أحد إلا رآه وداركادار معه الزمان مدة
 أعوام في تلك البلدان فلم يقف لمدوح على أثر * ولم يسمع في نوادرهم بذلك الخبر * فلما تبس
 تحقق أنهم أديسة فكر راجعوا وما زال يجد في السير حتى خرج من حدود الزنج ففاجأه
 الخبر بموت العادل فطامش في الجبال بالنهي والضييق وكف عن الزاد والشراب وزادت
 عليه الهموم وصار يقول حاق مكر المنافقين بالوالد والولد فوحقهما لا أدخل المدن بعدها
 ولا أخاط الناس أبدا حتى الحق بهما وقصدرؤس الجبال * وصار ينعي الاثنين ويعبد
 المتعال * وكلما غلب عليه الحزن والضييق * ينتقل من كتيب إلى كتيب * ولا يدرى إلى
 أي واد ساقه المير * وإلى أي بلاد رفعه الزفير * وكان يقتات بالحشائش وأحيانا من
 صدقة القوافل التي تمر عليه فكان ذات ليلة يبعث على ماء إحدى المغارات ليتوصأ منه
 حيث أنه لم ير ماء جاريا وكلماءه بغارة يصغي على بابها يسمع إذ سمع صوت هزير الماء وبينما

هو كذلك في إحدى المغارات فأنعم الأصغاء فإذا هو بصوت عابد يعلن المناجاة فقال ياله
من عابد * وطوبى له من زاهد * قد دخل الغار وقال السلام عليك أيها الصالح * والعبد
الرايح * عظمي في السالك واقنى من وجد يعاندي * وكرب يصادمني * فأقبل عليه ذلك
العابد وهو كأنه كخيال * قد صيره ذلك كأنه كاللؤلؤ * فأتى الله الذي أرسله إلى
لتداني على طلي * وتبلغني شاطئ أربي * قال عقيل إن كان في الأماكن فعل العبد والرأس
ولكن أتم بحرفي هذه الغيا في فقال لا أدري ولكني أريده لا ضروري فعلم عقيل أنه
يريد البحر لتجديد الغسل والوضوء فقام بهم رول واندفع يجري يمينا وشمالا حتى بعد عن
الجبل فسمع تلاطم الأمواج فسر بذلك السمع وصعد على شجرة وصار يتفرس بالنظر
حتى رأى يرق الماء في ضوء القمر فعاد مسرعا إلى العابد وقال سيدي وجدت البحر لكن
لست أدري أفرات أم اجاج قال العابد جزاك الله عنى خيرا ولا حاجة لي بمعاونه ومصره فقاما
وجعل عقيل يؤمه حتى وقف على شاطئ ذلك البحر فتقدم العابد وتوضأ وصلى ركعتين
وقال اللهم يا أخي انك ستلقاني الآن غريبا فارجو لك من فضلك ان تأخذ رمتي وتلدها
لتسهرها بالتراب وارجو المغفرة لهذه الروح الشقية فلما سمع عقيل ذلك القول انكب
على اقدامه وقال قد يتك أنطخى العباد * ونعصى الرب الزهاد * ألم يقل في تزيله ولا تلقوا
بأيديكم إلى الهلاك فما الذي دهاك * وإلى هذا الطغيان اداك * قال العابد ناشدتك الله
أن تكتم سرى بعد موتى ولا تفضح جيفتى قال عقيل أن تفوهت بسرى لغيرك برئت من
دينى وذمتى * وصاحب شفائى * قال العابد مسدا قمت انك لا تبج بسرى * فأتانا ابن
العدل ممدوح المنسربل بذلى وضرى * فلما سمع عقيل ذلك القيل * صاح بقوله وأنا
عبدك عقيل * فشبهق الغلام وتعلق بعنقه فضمه عقيل وسقطا على الأرض وغابا عن
الوجود ومازالا في غشيتهم حتى اشتدت حرارة الشمس فانتبه عقيل وحمل مولا إلى
الغار وارقد فيه وعاد إلى البحر وملا الجراب ماء وذلك جسمه بدهن النفط واغتسل
في البحر حتى زال سواده ثم أخذ الجراب ودخل الغار وصار يصبه على مولا حتى أفاق
وصار يدلكه حتى جرى الدم في عروقه فتكلم فقام عقيل وسجد لله سكرًا وقبل عليه
فتأمل فيه ممدوح وقال يا ذخر والذى وذخيرة تالدى كنت أراك عبدا نوبيا * والآن
رايتك شهما عربيا * أكانت غشوة في بصرى * أم غشوة في نظرى * قال عقيل عزيزى
أفق واستفق أنا أحسد لك بما جرى وتقرر * وفي لوح القضاء تقدر * فأراد ممدوح
الجلوس فلم يقدر على أن يستوى جالسًا لضعفه من الجوع فقال اثم شئ يؤكل فقام عقيل
وخرج إلى الصحراء فاذا بقافلة قد أتاحت أبها للراحة فصار يسألهم فنوا عليه بالزاد
والحليب فرجع على الفور وسقاه اللبن وصار يلصقه بيده كالطفل من ذلك الزاد حتى
اكتفى واستوى جالسًا وقال حدثني أيها الصديق بما لاقيته من العبر * في الحضر والسفر *
فأنامه عقيل على تحذره * وبأدبه بالحديث من أوله * وصار يسليه * وبالنوادر يلهيه *

ومكث مدة حتى تروحت روحه بالزاد وبالانس وكان عقيل ينتظر برهة نوم سيده فيخرج
ويسأل الناس المارين عليه ويأتي بما استحصل ويطعمه وان لم يجد شيئا لقوته نصيبه
بعض السمك وكان يحذر كل الحذر على الخبز ولا يذوق منه شيئا وان سأله بمدوح في
الاكل معه يقول ان رأى السيد يعفون عبده لان لي موافقت معينة لئلا كل ان تناولت
شيئا في غيرها أضرتني وكان يكتبني بالاثمار وما يفضل من أكل سيده فلما تقوى مدوح
قال له النديم أكلت مولاي وان لم يكن لي حذر في هذه الجسارة اذوافق ارادته ان يسمع
عبده ماجرى للسيد بعد عزيمته العبد على بغداد وكيف كان خروج العزيز من سرير
سلطنته بين العباد قال فهدرت دموع مدوح * وقال من كبد مجروح * والله منسذ
سرفي المنان بمشاهدة طلعتك أريد ان أبسط هذا المقال لديك * واقص خبري عليك *
ولكن يمنعني النخل لما سبق مني اليك من وقاحة الجهل والجنون * وقد أدركت مبادئ
النفاق بعد ما هدمت اساس النفي والفتون * فسمع النديم دموعه بكفه وأشار عليه
باعتراضه عن المذرة وكفه * وأبدي اليه البشاشة قائلا لا قعد جدك * ولا انعط
سعدك * عزيزي لو علمت أنت بما فعلته بنفس والدي من العيوب * وما ارتكبه لتمشية
قصدي من كباثر الذنوب * لم تر ما كان منك حسنا بالنسبة اليه * وفعلا جيسلا اذ اقبس
عليه * فسكنتم بكل منافق وجعلته على رغم والدي عين مناني * وكتم ولعت بكل
فاسق وانفقت عليه مال اجدادى وأبائى * فانت لطيب عنصره العالى ترى هفواتك
عيوبا * ومن جلالة طبعك السامى تاقى تلك النكت ذنوبا * فاناسا عرض عليك بعد سمعي
ذالك الحديث ما أجزيت من الجرائم وأنا حديث * فطابت نفس مدوح وانبش قائلا

الفصل الثاني

اعلم أيها الشفيق انى بعد عزيمتك أنت والوزير قال لي الخائن ان بعد السهرة عنك
أقوى علامة لاصلاحك وأنا غارق في بحور جهلى * غائص في لجج طيش عقلى * لم أدر ان
الخبور لهما * والذل نصيبى * وان الفوز بالسعادة قرينهما * والخوان قرينى وقريبي * فلم
يمض شهر الا وشكى والذى صباحا واشتد الكرب عليه في الغروب فدخل مخدع نومه
وأرسل الى فخصرت ودخلت عليه فلم يخاطبني بل ضمنى الى صدره وصار يقبلني ويتلف
يمينا وشمالا الى جهة الشين وايران فعلم الخائن ان لسانه قد انعقد وهو في حالة التزع
فاخذاني منه بعنف وانالم أدر شيئا وساقاني الى بحيرة صغيرة ومنعاني عن احضار الاطباء
بخداعهم ما وأجلساني بتلك البحيرة وقام انحوه ورجعوا الى وقالوا انه نام ثم ذهب اليه بسرعة
فقفوتهما ولم أتجاسر على الدخول خوفا منهما وسرت استرق النظر من النظارة فاذا بهما
ينزعان خاتمه من يده ثم حلاهما من خصره وأخرجا ما فيه من الجواهر الثمينة وتقاسما
وأنا راها ولم أعقل ما يفعله لانه بل كنت كالمعتوه من شدة حزني ووهي عليه ثم خرجا

فسبقتهم الى الخيرة فدخلوا على وأخبراني بموته ثم أتت الحديث كما ذكر وقال ثم أخذاني
 وأسكناني بميدان المدينة وعيناي اثنين من خدمهما ليخدماني واستقلا بتمهيد المملكة
 لهما وأتانا أعلم شيئا سوى قطبعتي وخزني ووجدني في كنت أياما أتقلب في دنار أخزاني *
 ولم أجسد من يواسي أشجاني * وكانا يأتيا نازلي يارقي كل أسبوعين مرة فعالت نفسي بالصبر
 حتى حضر فأنكبت على أقدامهما وكان أول انكبابي على الأقدام وقلت دجلا كما ان
 تنقذاني من هذا الضيق وفرجاني هذا السجن فإطاعة لي به ولا سعة لي في كتمان الصب
 والمصباح وأذناني ان أخرج الى الجبال وأصبح واندب تاج دواني * ومصباح غربي * لاني
 قد أشرفت على الهلاك فاداهلكت فافادة سياستكما * ومثمرة غيائتكما * فهزأ
 رؤسهما المستنزاع بكلامي وقالان تخرجك ليلة الجمعة كما كنت تخرج لايك ولم يقولا
 سيدنا ولا الملك فصرت أنتظر الميعاد * كمواسم الأعياد * فلما كانت تلك الليلة حضرا
 الى واخرجاني من باب السرو وسلماني الى عبيد زنجيين بينهما دابة فكاني عليها ووجدنا
 في المسير حتى دخلنا الفيافي القفار ثم أنزلاني ببقعة موحشة * وأرض مدهشة *
 فاقعداني على التراب وبادراني باللوم والخط وقال لم خنت سيدك وسرقت متاعهما
 ولم تكف بذلك حتى أردت ان تحمال في قنارهما وهما اشترياك بالنقود فهزأ لأطعت
 سيدك وعصيت جهلك فعلمت انهما ادعيا على بهذه الخيانة * ورمياني بهذه الجناية *
 وسلماني للعبيد ليقتلاني فكانت أول مكيدة رصيت بها من المنافقين وأول ندم ذهيت
 بل أول مادي فرقي المصاب * وأوجبني ان أحتو عليه التراب * فغلبني البكاء على
 ما كان مني لكل صديق ناصح فرضيت بالقتل ولم أرض ان أقول لست بعبد ولا أن
 أي العادل واهتك حرمة ملوكية والدي ولو بعد موته فقلت اعذراني كاذبا لجهل ان
 يكون جنونا وافعل ما أمرت به فأسفعا على العبدان وحناء على بكائي وظننا ان البكاء
 على فقد جاني فلا والله ما كان نحيبي الا على ما كان مني من الجهل وما لحقني من خيانة
 الخداع فقام العبدان الى الجبل وذبحا دبا وتلوا بدمائه وقالوا لي انما قدر جناش بابك
 وأعتقناك من الموت فانخرج واقصد اذيال الجبال في سيرك وإياك ان تظهر فلعناك بقافلة
 يتخذك أميرها أجيرا واعلم انك ان ظهرت في هذه المدينة أو بالقرب منها قتلتا
 فكما رجناك ارجنا وكان بكائي الثاني أصعب من الاول لوجود شتي حيث اني ما كنت
 أرى أسود الا أمرت بضربه وحبس به وقد صرت أسيرهم واعتاق روي بجمانة قلوبهم
 واتهممت في المريعة ورميت ساحتي العفيفة بالسرقة والقتل وهم من البكاثر
 وأنا بري منهم ما وكنيت أنف ان أسمع بهذا الارتكاب ولو في المثل وكيف أسجن بلا جرم
 ويكون اخراجي من السجن الى القتل بلا ريب وكيف أكون أجيرا * بعد كوني للمسلمين
 أمير * ولكن ما حييتي اذا مل اقبالي وبان ادباري وقادني اليه ارتكاب جهلي وغروري *
 وحكم القدر بصيبي ودحوري * فاهملت لا مرر بي حيث انه بالمرصاد لكل طالم وهو

ثم قال لي كيف افرارك أيها الفتى بما جنيت قلت أعز الله أمر السلطان لو لم أكن رميمت
بالزنا ولي أمل بتخليص روح بريئة من الريب لقبلت الجناية وأقررت بهم إلا أني أشتي
الموت اعلم يا ولي أنهم بلادك وعبادك أني وحق من قللك حقوق عباده لم أدخل منزل
تلك الحزينة * ولم أجلس على دست هاتيك المسكينة * إلا غائثها بالساعة في تخليص
ولدها من تهمة هو بري منها وهذا المسطوراً كبر شاهد والله خير الشاهدين وأخرجت
العرض وسلمته اليه ففضه وقرأه وصار يضرب على نكته لما فهم معناه * وقد أخرجت
عيناه * وطاش غضبا وقال بصوت عال على بالسلام فأحضره وهو يرجف فلاطفه
بالخطاب وقرره في الجواب فلم يختلف قول الفتى عن ما بالقيم بحرف واحد فامر الملاك
بحضور انضمامه وشد وثاقهم وانساقوا الى السجن مكانه وطيب خاطره وعينه مكان
أبيه ثم التفت الى وقال لم تشتهي أيها الفتى الموت وأنت في سن الشباب أبك ندامة
أم لك حاجة قلت أيها الله الملاك بتأييد سلطنته ليكوني غريباً ورميت بالزنا فقال لا بأس
عليك وأمر لي بمائتي دينار فأخذتها ورجعت بالغلام الى أمه فاذا به أصبح بالبكاء وتقول
ربي أنت شاهد عدل أبحرق ذلك الفتى ظمأ بتاري * وهو عن كسل عيب عاري *
فدخلت عليها * وسلمت ولدها اليها * وشرحت لديم القصة فقيلتني قبل ولدها
وناولتني صرة فيها خمسة دنانير أفرجعت الى سيدي وقلت مولاي هالك ثمن الذي
اشتريتني به وهذه الخمسة دنانير في مقابلة ما صرفته على في طعام وشراب وملابس
ولك الفضل في السيادة فقال وأين تذهب أنت فقلت حيث ما وجهني الذي أوجدني
وخرجت فرحاً بعثقي من الأسر فدخل حرمه وأخبر زوجته فسمعت ابنته فصاحت قائلة
ان لم أتزوج به قتلت نفسي لان حبه ملا صدري وكنت أنا ماراً من تحت الطاقة فسمعت
يصيح على غلمانة ويقول الحقوا ذاك الخاسر واحضروا به فاسرعت بالجري حتى لاقتني
شجرة شاهقة فصعدتها حتى دخل الليل فتزلت عنها وصرت أبجي حتى خرجت من المدينة
فاذا بأبالمفتشين على يدورون بتلك النواحي فضاقت على الأرض فرأيت اخذوداً بجانب
التل فالقيت نفسي فيه فانت العصبة وجلست بجانبه وصاروا يقولون ما أكفر هذا
العبد ماذا عليه لو تمتع بالصبي والمال وماذا يكون جزاؤه اذا وجد فقال أحدهم حبسه
حتى يموت فكانت كبريتي من سماع هذا الحديث أكبر غمة علي وكانت العسقارب
تلدغني ولم أقدر ان أنفوه بحرف واذا أعني على أفقت من ألم لدغته أخرى فإزات بذلك
الاخذود حتى مضى الليل ونهاره وأقبلت الليلة القابلة فخرجت أمشي وأقع وكانت
شدة الألم تساعدني على السير فاغاثني الله بجبل فاخفيت بغارة فيه فارقدني السم
ثلاث ليال بياهما ولم يغتنى الموت الذي هو منيتي وأشهي بغيتي وأنا في حالة ما كنت في
المنام أراها * ولم أتخيل أني يوم الحساب ألقاها * فلم يخرجني إلا العطش الذي أحرق
كبدى * وصرت كالاطفال أحبوا على ركبتى لقله جهدي * حتى وصلت البصر وشربت

منه واغتسلت واحتلت في قطع عكازين من شجرة لا توكلهم ما وصرت أمشي بالليل
 وأخفتي بالنهار * وأنقوت تارة من الأشجار وتارة من ورق الأشجار * وما زلت على
 هذه الحال حتى خرجت من الاقطار * وقد تكون عندي مغص شديد من عدم أكل
 الخبز فبينما أنا ذات يوم على الجبل اذ سمعت رائحة خبز كنت أنشفه في حال سروري على
 الاقران فخفق قلبي * وطار ابي * شوفا تلك الرائحة فسرحت نظري يميناً وشمالاً فرأيت
 محلاً يصعد منه الدخان فالتحدرت من أعلى الجبل بسرعة وكانت تلك الرائحة تجذبني اليها *
 وتدفعني الاشواق اليها * حتى دخلت ذلك المكان * فاذا هو تنور لفران * فلم أطق
 ان أ منع نفسي من السؤال فوقفت بالباب وقلت أسى ادى شيئاً لله فأتاني صاحب الفرن
 برغيف محرق فأنخذته بكل شغف * وصرت أتناوله بكل لهف * فلما دب الخبز في جوفي
 ارتاحت نفسي وسكن خفق قلبي فغلبني النوم فميت يومى كله فأيقظني الفران وقال ان
 كنت مريضاً فالحق باهلك لئلا تموت عندي وأصير مسؤولاً عنك فقلت سيدي ليس بي
 مرض ولا أهمل لي واني غريب فقال ما غريبتك عن بقعة أوطانك * وتربة أقرانك *
 الانجية طبعك * وخسافة عقلك * قلت نعم أنا مقر بذلك فهددك شئت وسب * وانخط
 وانهر واضرب * فصار يضطك ويقول كفاك بمعرفة خبيثتك اهانة فهل لك أن
 تكون عندي أجيراً وأجرتك قوتك قلت نعم ولك الفضل فاستخدمني مدة بالقوت
 فكنت آكل ما أفضله هو وأولاده هذا مع قولي لنفسي هذا جزاؤك أتذكرك من مذ كنت
 تأنفين من مائدة جالس عليها أحد قبلك وتأمرين برميها الى الكلاب فليتك كنت كلباً
 منها فكيف حالك وفضلة ما أكل الفران وأولاده فطوبى لمن بالادراك اشهر * وبجالت
 اعتبر * فكان نومي على باب الفرن ووسادتي عتيته وكنت ألحف بقطعة من جلد البقر
 تجلس عليها الصغار بالنهار والحق بهم في الليل فتبالي من دهش بالغرور * وتقاد بالأكبر
 والنفور * والانجية ثم الانجية من طواع خداع المنافق * وتجنب سير كل مخلص وصادق *
 فن أطاع سلطان جهله * أباد خاقان عزه * فن أراد التأمل في ما أبداه الدهر من العبر *
 فها قصتي مرآة لكل معتبر * لقد أمسيت مما جئت بهدمير السلطنة على تراب
 الندامة أجول * وأصحت في اخدود المذلة على ما فرطته أندب حالي وأقول *
 حوادث الدهر للانسان مرآت * مصقولة كم بهم الدهر عبرات
 فن رأى خطه تهذيب زخرفه * بكل زين نبت عنه المسرات
 لا تلتفت ليهج راق منظره * وخلفه السم وارته المداواة
 وهذب الخلق مهمات استطع ليري * وجه الملاحه حفته النضارات
 وارفع عصا به ذى العقلات عن بصر * حتى ترى ما أساءته المواراة
 فن القلب أباد الوجوه مهيبة * وبددت كبده الريان زفرات
 أضفى خفوقاً بصدر الذل ليس به * من حرما يلتسقى الاشرارات

ترى تعود له امنيسة سلفت * وأخلفتها بكهف الروح حشرات
 فهل اكسر زجاج الكأس منجبر * من بعد ما كثرت منه الجذازات
 فلما رأتني امرأت الفران أشفت على وصارت تأتيني بفضلة طعامهم فاسمع وأدعولها
 ولينتها بالعمار وكان لها ولد كبير لكنه كسول عن الشغل ولم ينزل نائما عنده أما أنا
 فكنت أفعل كل اجتهادي في الخدمة وأسهر ليلي في نزع تراب الفرن وتنظيفه فقال لي
 الفران وكسائي ثوبا من القماش وقدمني عن ولده في الاخذ والعطاء حتى صار مدار
 اشغال الفرن علي ان كان الفران غائبا أو حاضر افشاط ولده غيظا وصار يشكو الي أمه
 قالت غيت عني وبغضتني وشجرت مع زوجها من أجل خروجي من الفرن فقال لها يخرج
 ولدك عديم النفع وهذا أنفع لي عنه فلما بدت منه احتالت علي بحيل النساء وكنت
 ذات غداة يوم قاعد ابياب الفرن فرت علي عجوز في طرفها اقراص تتصدق به علي روح
 ولدها فلما رأتني بكيت وانجبت وصارت تقول ما أشبهك بولدي وناولتني منه ثلاثة اقراص
 فاكلت قرصة منها فلذلي الا كل لحرماني من كل شيء لذيذ فتناولت الاثنين أيضا وقرأت
 ما تيسر من القرآن علي روجه فغشيتني النوم بعد ذلك الا كل فمت وقت من النوم معتوها
 ولم أدر من أنا ولا أهي ما أقول لان تلك الاقراص كانت من خيرة فيها نبات يذهب العقل
 فلما رآني الفران تأسف علي ما أصابني وسلمني الي قيم البيمارستان فاحضوني وربطني في
 الشباك علي حسب عادة المجانين وكان القيم يخرجني في بعض الاحيان الي السهراشم
 الهواء وكنا كثيرا فسلط الله علي شاب من أولاد الامراء فكان يفتح الاولاد ببعض الدراهم
 فيعذبونني بضرب الاحجار وأنا أصبح بصوت مزعج وهو يضحك مثل ما كنت أفعل فأسفي
 علي تكبري وطغياني اللذان أوقعاني بحب شداوني وهواني * فاتفق ان القيم أخرجنا
 ذات يوم للتريض علي حسب العادة وكان ذلك اليوم عيد الاضحي وربطني بشجرة
 بجانب حفرة قد أعد لها الجزارون لدماء الذبائح وقد تراكت فيها دماء كثيرة فصارت كل
 ماء صف الهواء تنموج تلك الدماء فيعجنني لونها حين التموج وكان حيلي طويلا لا تخشى قلبه لا
 فزقت ملاسبي في الحبال وتجردت منها وألقيت نفسي بتلك الحفرة وصرت أتدلك بتلك
 الدماء فجاء القيم ورأني علي تلك الحالة فحوقل ثم جذبني بعنف حتى أخرجني ونمر بني
 ضربا موحعا وتعبني ودار في الفلاة يبحث علي ماء ليغسلني منه والصغار تجري وراني
 وتعبت في وأنا علي ذلك الحال الشنيع حتى أدركني الله بماء من صخرة كبيرة
 فقدمني القيم وصار يداكني حتى غساني من ذلك الماء غسلا جيدا فوقع مغشيا
 علي ومازلت في غشيتي حتى حان المساء وانسأفت المجانين فأيقظني القيم بجذبتة فتممت
 وقد زال حكم ذلك النبات وندمت كما كنت فتنظرت لحالتي وتذكرت أبعالي السابقة
 فقلت هل من حبيب فينقذني * هل من جاهل يراني فيعته برحمتي * هل من مغرور
 ينظرني فيراجع نفسه قبل ان يرمي بعقوبي هل من طائش يتيقظ من غفلته بعصيتي

ثم التفت الى القيم وقلت له ان رأيت ان تحصل عقالي فاني عقلت قال قد قرب شفاؤك ان شاء الله تعالى فالمجنون اذا قرب شفاؤه يحضره العقل تارة ويغيب أخرى وأخشى ان يغيب فتشرد مني وتسيء الناس وأنا المسؤول وأعادو بطي في الشباك فكنيت اسبوعا وأنا به قلى أنظر ما يفعل بالمجانين وبي وكان ذلك الاسبوع يعدل كمالا قية من الكرب فناشدت القيم بالله أن يحصل وثاقى فاني شفيت فاني بجمه ورر من الاطباء وصار كل منهم يسألني أسئلة وأنا أجابه باحسن جواب فشهدوا بشفاي وأطاعوني فخرجت واغتسلت وتوضأت وأديت صلاة الشكر ثم رقدت في ناحية من المسجدار تاح من الكرب الذي كنت فيه فخلصت رجال بجاني وصاروا يقولون أعيانا البحث على ذلك المملوك وابنة الجندی أشرفت على الهلاك فعلمت انهم يقصدونني فقممت ساترا رأسي بكسائي وخرجت هار بافقيتي تلك الجوزي جمع من الهسائر وهي تقول مررت بالمارستان فقال القيم انه عقل وأطاعته فاعقمتوها أنا الا أن أريد ان أدهشه بوجه آخر حتى لا يعرف الطريق فالقاء فاحذوه وأربطه عند صاحبه معتموها بالثاني وأخذ منها جعلى فضاقت على الدنيا وصرت أجري ليلالونهارا حتى خرجت من ذلك القطر بدون طعام وشراب فوقع في بحر فرت على قافلة فاخرجوني ونصددقوا على بعض من الطعام فرق لي أمير القافلة وطرحني على جبل كالاموات فرقدت أياما أدرأسار وأأم مكثوا حتى انتهت بعد أيام فوجدتهم نازلين ليلا فتصدقوا على الطعام فاكلت كفايتي وقت اقضاء حاجة ققسام القوم وتركوني فرجعت فلم أجده أحد افصرت على وجهي أدور في القفار حتى وهنت قوتي وكرهت حيايتي فعزمت أن أقذف نفسي في البحر حيث لا راحة لي الا بالموت ولم يكن لي قدرة على البحث عن وجود البحر فسألت الله ان يرسل لي من يدلني فسألك الله لي وهذا حديثي واندفع بيكر وعقبل بيكر معه ثم قام عقيل وغسل وجهه مولا له ونثر عليه قليلا من الطيب وطيب خاطره بالمسامرة وصار يبشره بعواقب الصبر ويقول له لا تجل بالهلاله * وامتثل لامر مولاك * وما قبلت الامثال * الا لاستحضار الامثال * ألم يقل لا تؤلم بالحزن قلبك والعين * وانظر ترى اليسر بعد عسرين * ولا تضجر لطول الشدة * فانما التهذيبك عده * أطال الله بقاء عمرك * ومتعك ببشار صبرك * شعر لا تجزع من الشدائد والقها * بالصبر والتقوى فانما لها فباك سيدي والضجر * فالحر يحمل ما لا يحمله العنصر * وتذكر سيدي ما قبل نظاما ما ذقت مر تجاد في شدة * الا وشهد ختامها بقمي حلا فليست سيدي وضيعة في العنصر * ولا مست الدناءة شرفك الرفيع الا طهر * فلا تسرع بالخطا طعز منك وشهامتك * ولا تسمت الاعداء باظهار أسفك وندامتك * فلا تكون رجلا الا باقناذك الشدة لكف التجاد كره * ولا تنال المقام الا رفع في المرواة الا بالصبر على الامور المكدودة * وما زال يطايبه بمثل هذا الحديث ويسكن لوعة ذلك الحبيب

حتى تام على نغذه وصار عقيل يتأمل في عزة جماله التي محيت بذل الادبار ويبتكر ويقول
 انفسه يا عقيل لا تكون رجلا الابعوا ساة نجل مولاك * وبصدق خدمتك نطيفة من
 اعمالك واغنالك * فهذا الوقت محل تجارب الصداقة * ومحك معرفة الجهد والطاقة *
 قال صواب ان أجديه العزيمة الى الدين * واتصفه بذخ ذلك الصندوق المدفون * فتقيم
 في صرفه الى الطعام والشراب واللباس انما لا بد ان اكرم عنه امر الدفينة حتى اتوصل
 اليها واحضرها بين يديه * فلربما يكون ادبارها أضاع تلك الخبية * وصيرها للصوم
 لقيه * فيتعاطم كربه * وينفطر لبه * لان الجاهل بجول على مراده * فاذا أصابه هام
 نشاط وتصدر * واذا أخطاه ضجر وأضجر * والكامل يتأني لمراده فاذا أصابه شكر *
 واذا أخطاه صبر * وصمم على هذا الرأي فلما كانت الغداة قال مولاي ان استحسننت
 السباحة فلنبادر بالعزيمة فلعلمنا نخطى بالفوز قال مدوح نصوحى أنت الخير وأنا المسير
 فصار عقيل يدعه في ذلك الغار ويذهب ويسأل من مر من القوافل حتى اذخر ما يكثرى
 به ويقتات منه فلما حان وقت مسير القوافل الى الدين اكرى جملا وركب مع سيده وسارا
 وكان اثناء الطريق يتخف امراء القافلة بحسن النكت والنوادر وهم يتفقون بالانعام
 كالنقود والملابس فمرفهم انه قد أقسم ان لا يلبس خامة أحد لنادرة حصلت له وليس
 ذلك كذلك بل انه لم يرد ان يلبس مدوحا خالص الناس فصاروا يعطونه قطع من الاقشة
 فيأخذها ويتأمل في تفاصيل الاقشة ويفصل مثلها ويخيطها ويلبسها جديدا حتى وصل
 حدود الدين فصار يلاحظ ذلك الجبل المعهود لانه قد كان خارجا عن البلد فلما صر على ذلك
 المغار وجد ان العنكبوت خيم عليه تخيما ثقيلا فلم انه مصون ففرح فرحا شديدا وقال ان
 كان اقبله مقبلا نتحصل عليه ويتمتع بمافيها فلما دخل المدينة واستراح بها أياما ومهد
 عقيل محل تشيده وجعل له فيه سريرا من الجريد لنومه واذخر ما استطاع من الطعام
 قال مولاي أسست اذنك في المغيب اسبوعا وداعيه في لما كنت هنا سابقا كنت أعرف
 رجلا من سكان الصوامع بحجاب الدعوة فان وجدته حيا أسأله الدعاء لحل مشكلتنا
 ففرح مدوح وقال لك الامر انما أرجو ان لا تطيل المكث عن ما قلت لاني في ضيقك
 ولا أطيق البعد عنك فلما كان الليل ظهرت زلزلة عظيمة وهدمت كثير من البيوت
 والربوع ومكثت ساعات ثم سكنت فصارت الناس تنهي من سلم وتلحد من مات تحت
 الهدم فلما مضى ثلاثة أيام واهتدت الناس خرج عقيل قاصدا تلك المغارة حتى وصل
 اليها فاذا بالجبل قد انصدع من شدة الزلزال وانفصلت من مغارة صخرة عظيمة فطبقت
 تلك المغارة واستقرت بجوفها فنام هيكل ما حل بعقيل * من اليأس الطويل * واليأس
 الثقيل * فصار يندب ذخ ذلك المغار * وقلبه اعصار فيه نار * ثم استغفرو تاب * وخر
 راكعا وأتاب * وحمد الله على عدم افشاء هذا الامر ومدوح وقال ان اخراج هذا الدفين
 لا يكون الا بعدة رجال * وان حضرت الرجال وتوضح الحال * ساقوا المال الى الملك

وساقوني الى الحبس لا قوم من أين عرفت موضع الدفين والنقود كلها باسم العادل لان كل
ملك يضرب سكة نقوده على اسمه فلا يمكنني الاقرار ولا أنمكن من الازوار فالامر
الى الله ثم رجعت بالنيابة والياس الى مولاه وقال وجدت الرجل قد لحقت التراب
وان لنا بشار الصبر لاني وحسن ما تب ثم التفت عقيل الى أسباب التعيش فلم يجد
سببا الا مسامرة الامر او مؤانسة الاكارلانه لم يكن محبة ترفقتذكر ان هذا الامر
يعسر على سيده لانه كان نديم أبيه فتركه واتخذ حرفة المنجمين فصارت يجلس في الارقة
ويبسط ماله فتقصده ارباب الحاجات فيسره رزقه ويحضر عنده الغروب باحسن
طعام وبأكلان معاً ثم يسامرهم حتى ينسام فتكث مدة من الايام بالشين وعقيل
يسعدرك حيلة لاجراخ الدفين فلا يمكنه وقد ثقلت الاهوية على مدوح فتشكى اليه
وعزم على السفر وسلم العنان لكف القدر وكانا يقتاتان بتلك الحرفة المخترة حتى
قدما العراق وكانت من عمالك العادل في كذابها آيا ما حتى استراحا من مشقة السفر
ووجد مدوح في نفسه نشاطا الموافقة الهواة فقام يتفرج في شوارع المدينة واذ بالعمال
منهم مكين في بناء قلعة عظيمة فتذكر مدوح قلعة أبيه فسأل هل هدمت قلعة العادل حتى
يجددونها فلما سمع العمال ذلك القول بكوا وانحبوا وقالوا لا تذكر أيها الفتي هذا
الاسم العزيز فبقبك ما أصاب غيرك من الاهانة فقال ممن يصيبني قالوا من المالكين
الذين بينان هذه القلعة وصدر أمرهم أنه عند انتهاء هذه القلعة يحضران لتزين
المدينة لا نشاء القلعة الجديدة ويمدمان تلك القلعة القديمة وهما يعاقبان كل من ذكر
اسمه باسم واعقاب (قالت) وكان هذا الخبر أول سماع ذكرهما عند مدوح وبراءة استهلال
مكائدهما وأول خيانتهم ما فارتجت فرائص مدوح وتلجج لسانه وهدرت دموعه فتأبطه
عقيل ومشى به فصار الناس يسألونه بقولهم ما الذي دهاه فيقول من صغر سنه وهو بعل
الصرعة تعترية أحيانا وصار به الى البحر وما زال يصب عليه الماء البارد حتى سكن
ما جاش به فتأمل في عقيل وقال ما أهنا الموت للخائب الخاسر فقال له عقيل ما أحلى
حسن العواقب للصابر الشاكر فلا شيء تنهر نفسك فدعه ما يجددان لك القلاع
ويهدان لك البقاع والله ما ننج منافع ولا ربح مخادع والامر والحق بكم بعون الله عائد
لصاحبه ومولاه وأخذهم واركبه وصار به الى حجرتهم فمضى مدوح اسبوعا وما زال
النديم يبسطه بالمسامرة ويسليه حتى فاق وصار عقيل يذهب الى حرفته في يوم من ذات
الايام صعد مدوح الى السطح لانتشاق الهواء فسمع ضجة عظيمة ودق مدافع ورأى رايات
السرور قد رفعت وعاقبت مصابيح البشائر فارتجف واسودت عيناه وقال ويلك يا نفس
تري ما الذي ترينه في هذا اليوم من المكائد وأي شؤم عليك عائد فنزل من السطح وخرج
حتى التقى بالناس فسألهم فقالوا ولد للملك دشنام ولدوا لعمادهم مدوحا ورسى البشارة كما
جرت عادات الملوك فخر مدوح ساقطا على الارض وكان عقيل في حرفته فلما سمع ذلك الخبر

علم بما يلحق سيده وأسرع الى محل سكنه فوجده بنلك الحالة فحمل الى حجرته وما زال
يعالجه حتى نقه فقَالَ نَصُوْحِي بِحَبْلِكَ وَحُبِّ وَالِدِي لَا أَنْ تَسْلَمْنِي فِي ذَرْفِ نَفْسِي
وترضى براحتي من هذه العيشة أيسمخ خاطرك بنجدي في كل يوم بمكيدة أحر من أختها
فأخشى أن أصاب بعلة ويطول عمري فأناظي بتعاقب المصائب فوق ما بي من المرض
فلا ترضى شفقتك ولا تقبل رافتك مكابدة هذه الشدائد وتنادي سدة فوق شدة
قال عقيل منذ من الله علي بملاقاتك وأنا أحفظ في صدري حديثا غريبا وخبرا عجيبا
وهو ادى ان اتخفك به لاعتبر بحسن عواقب الصبر وتأمل في مسك ختام نتيجة الامر
فان استحسننت براءة استهلاله خذه الى آخره والا فافعل ما تريد فاقبل قولي بحق رفعتك
ومتعني بحسن قبول من رافتك قال بمدوح ان لم يكن حديثك محمودا عند الخواص
مامالت اليه أفئدة العام والخاص فاسمعي ذلك الحديث وانعشني بسمرك أيم
الانيس قال عقيل أبتدي باسم الله الحبيب ثم الصلاة على النبي الحبيب

الفصل الثالث

اعلم سيدي انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والوان رجل بصري يسمى مرهاد
وكان من أكبر التجار ذا ثروة في التجارة قد سلم السلام بضاعته من الخسارة وكان له
جار يسمى بهرام كان قصيرا الكف عن الارباح لا طائل له في الفلاح وكان من الصلاح
على جانب عظيم وكان له من الزوجات أربع وهن صداقة وبلاغة وحيلة وسطارة
وله أيضا شقيقة تسمى شعوسة وهو ساكن برواق يازاء منزل دالة التاجر المشهور وكان
منزله مشيدا الارض كان رفيع البنيان وكان له زوجتان احدهما سمها خديجة
والثانية اسمها شراسة وله شقيقة تسمى سعادة وكانت تجارتها من البضائع الثمينة
كالخلى والاقشة وأما بهرام فكان يتاجر في التمع والمخ وكان أغلب أيامه صائما وأكثر
لياليه قائما وكان رأس ماله مائة دينار فيجتهد كل عامه في تحري ماله وضبط تجارتها
ودفع الزكاة وتحصيل قوت العيال ويحفظ نفسه من التبذير اقتداء بقوله تعالى ان
المبشرين كانوا اخوان الشياطين ولم ينزل يجتهد في مطابقة الحق بالحق حتى يعود الخول
ويريد تجديد البضاعة فلم يجد خلاف ذلك العدد المذكور ويكون قد تحصل عليه بعد
نصب وتعب ولم يدري عدم الارباح ما السبب وأما مرهاد فكان منهم كافي لذات نفسه
من سماع الآلات والحضور بمحافل الانبساط مع التعاطي للكاسات في الحانات
وكان بهرام يذهب لزيارته أحيانا ليؤدي حقوق الجوار فيجد الكتاب يقيدون بضرته
أرباح ذلك العام في الدفاتر بالعدد الكثير فيغبطه في نفسه قائلا لو لم يكن لي سريرة
مخلصا مائلا هذا النيل الوافر ويحصن أرباحه بالرقية من اصابه عينه ويرجع الى رواه
أسفا كثيرا لم يجد سوى النصيب مجيبا فصبر ذات يوم وقال الى متى عن التقاعد لا أحول

وفي بحث الارباح بالاسفار لا أجول فان جاري عازم على السفر الى الهند فلو اتبعته في
 السفر ربحا يفتح الله علي ويسوق من فضله الارباح الى واستصوب هذا الخطا
 وتأهب للسفر وأخذ شقيقته نخوسة وانتخب من الزوجات صداقة وكان له صديق
 مرشد حقيق يسمى الصبر فدخل عليه ورأى ما هو عليه من التأهب فقال الى أين
 يا أخي فقال بهرام قد خرجت من الخيبة وأنا قاطن فعزمت على السفر مع جاري اعلى
 أفوز بالكسب وأخذت الصداقة معي والشقيقة وأنت خليف على الباقين حتى أعود
 فقال الصبر أعلم يا أخي ان الارباح والخبور في كل حرفة قدر مقدور ومتى ما كنت
 ملازما للنخوسة فلا تتعب نفسك بالنصب فلا تكسب من السياحة الا كرب الغربة
 ومشقة السفر ولو كانت بضاعتك من المسك الاذفر قال رأى عندي أن لا زمني حتى
 يعموم لازمك اياها الاله ويعيثك بيشارة قوله تعالى وما النصر الا من عند الله قال
 بهرام ألم يقل وهو أصدق القائلين ربي الشكور فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه
 واليه النشور ألم تعلم أن لي أربعة من الزوجات ولكل علامة بشرى من العلامات
 فلا الأربعة تغاب الواحد ولا ينفك شأن الصداقة وما فيها من خلاصة النصين
 فأتمسك به والله المعين فتبسم الصبر وقال اسمع يا أخي ما أقول شعر

ان كان جدك بالسعود مساعدا * لم تلق بمن قد اقبل معاندا

أخي لو ساعدتك السعادة أغنتك عن البعد ولم تحوجك بلهد انما على الصبح ولاك
 الخيار وأنت في التجربة فاعل مختار فنهض بهرام وأخذ النخوسة والصداقة وترك
 الصبر وباقي الزوجات بالرواق وتوكل على الواحد الخلاق وعزم أن يستبضع السكر
 النبات وذلك باستشارة النخوسة لانه حلوا المذاق وهو لكل عليل درياق فاشتري بتلك
 المائة قنطارا وحمل وساق مقته ديا باطمان جاره حتى دخل الهند فدخل فرهادوا كثرى
 خانا كاملا وأدخل صناديق الامتعة ومهد لها به واصطفى قصر الشقيقة وقصر النخوسة
 فذهب اليه بهرام وحياه وبالسلاسل هناه وقال سيدي أملى من حق الجيرة ان
 تسكنني بمخزن من عندك يليق بحالتي من المساكن السفاية لتأهمني بمنتك اصواب في
 الاخذ والعطاء لاني لم أتعب أبدا فأعطاء مخزنا في أسفل الخان وكان بابيه من الخارج وبه
 حجرة لقنوده وقرر أجرته عليه فسكره وأدخل الحرم والشقيقة والبضاعة فلما أصبح
 الصباح قدمت التجار على فرهادوا وحيوه فسألهم عن أساليب ملكهم فقالوا ان ملكا
 ذو عدل وعناية اذا قدمت التجار عليه نأبدهم الى ضيافته ثلاثة أيام ويباسرهم بكل
 ترحاب وكرام ثم يطلب بضائعهم فيودون الى خاناتهم ويأخذون دفاتر البضائع
 ويعرضونها عليه فينتخب ما يريد منها ثم يقسم ما بقى على التجار ويرسل الرجال مع الدواب
 لحمل المذاع من دون تعب لاهله ويسوق لهم المال مع الارباح ويتحفهم بما يليق فسر
 فرهاد بهذا النسق الجميد وقام معهم الى الملك وبهرام يتبعهم حتى دخلوا عليه فقابلهم

بأحسن بشاشة وكان بهرام جالسا في آخر الحفل فناداه الملك وسأله عن متاعه فقال أعز
 الله مولانا اني فقير وليس لي الا شيء يسير من القند فقال الملك من طرفه نعم البضاعة
 لان القند عزيز في بلادنا وأرباحه خزيلة فخرج بهرام وقبيل الارض تشكرا فانتاظ
 فرهاد وقال في نفسه سينزل المطر ويمحيه جميعه ووجد الملك في اكرامهما وصاريا كل
 معهما او يوصي خدمه بخدمتهما حتى مضت أيام الضيافة وطابت منهما ادقار البضاعة
 فأقبلوا على خاناتهما وأخذ فرهاد دقاره وبهرام تذكرة وزن سكره وعزموا على سرية
 الملك فلما قربوا منها سمعوا بها ضجيجا وصياحا فاسرعوا بالسير فاذا الامراء يمزقون الملابس
 والوكلاء يضربون الوجوه ولم يكن أحد على افاقة حتى يسأله عن الخبر فصعد الى
 القصر فاذا بالملك يضرب كفيه حزنا وفزعافا فتجف بهرام وقبيل الارض قائلا حفظ الله
 المولى عما أراه فبه فالتفت اليه وقال اعلم يا أخي ان لي ولدا واحدا ودار ملكي عليه
 وما آله اليه وليس لي خليفة سواه ولم أجدي من زينة البنين الا ابا وقد اعترته علة
 بامعائه في صغره فعوج وشفى وقالت اطباء ان اعترته بعد البلوغ لم يكن له خلاص منها
 الا بعصير شجرة الخاوص والمنصوص ان تلك الشجرة لا تنبت باقطارنا ولا بالقرب
 منها ومنذ سمعت بهذا الخبر وأنا أرسل كل عام عدة نفوس الى أقصى المداين للبحث عليها
 وأعدهم بكل انعام غير التكليف والمصاريف فثم من يرجع خائبا ومنهم من لم يرجع الى
 الآن وقالت اطباء انه يتحمل هذا الداء سنة ثم يموت فاعذروني في عدم أخذ البضاعة
 والتفت الى وزيره وقال اعطى كلا منهما ألف دينار ولانهم ما يخرجان من عندنا خائبين
 وقالت لهم فسلم الوزير لكل واحد منهما ألف دينار فأخذ المبلغين ورجعا الى الخمان فتس
 بهرام الخبر على صدقة فالزمته بالبحث على تلك الثمرة وقص فرهاد الخبر على خيانه
 فأحاطته على السبب في موت الملك الكبير وتخلي الخت الى ملكهم فخرج بهرام بقصد
 الثمرة وفرهاد بقصد السم وصارا يدوران في الفيافي فكان بهرام ذات ليلة يجدي البحث
 فالتقى بفرهاد فظن ان البحث واحد فقَالَ مولاى كن أنت في الجانب الغربي وأنا في
 الجانب الشرقي والدلالة على الله قال فرهاد وما الذي تستدل عليه قال الثمرة قال دعني من
 البحث على الثمرة وانك فيما هو أهم قال وما هو الا هم قال فرهاد ان الملك لم يكن له
 خلاف هذا الولد وقد أشرف على الهلاك فاذ ماتت عجلا على أبيه بالحاقه ثم نرسل الى
 ملكنا ونعلمه بسعيينا ونشترط عليه الوزارة فيأتى ويسلم هذا البحث من دون حرب
 وضرب ونكون وزراءه وقد تقر بنا من السلطنة فان راعانا كان لنا الامر والا لحقناه
 بهما بباقي السم وقد وصفت لي حية توجد في هذه الاقطار بنابها سم عظيم وخاصيته انه
 يقتل بغتة كموت الفجأة ولا يتوهم منه ان الذي مات به مات مسموما فها أنا أدور على تلك
 الحية لا عجل بالحاق الولد ويأتى ملكنا فان سلما زمام المملكة كان به والا لحقناه
 بهما قال بهرام لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كف نفسك فروعته وخذ سوابغ

عيشه فما يكون الجواب الى الله في غده عند السؤال يوم توضع الموازين ونحذر عن
 نفع المال والبنين قال فرهاد سبحان من جعلك حيوانا وصورك انسانا قال بهرام
 دعني حيوان ولا اتقلد بهذا العصيان وذهب كلا منهما يبحث عن مقصده فاما بهرام
 فانه ساح في الوديان والقفار وغاب عن المنازل والديار وصار ينام من خوف الوحش
 والحذر على رؤس الشجر فكان ذات ليلة على شجرة شاهقة فاذا بانه من قطاع
 الطريق قد ماوجاس امر تكنين على تلك الشجرة يتعد ثمان فرذ كراين الملك المبطون
 فتأسف عليه لعدل أبيه فقال أحدهما أرى دواءه قريبا ولكن والده لم يجد صديقا
 حبيبا فسمع بهرام ذلك المبشر فنزل عليهم ولم يكثر بتجريد أوقنسله وخر على أقدام
 القائل قائلا اني دخيل همتك وأرجوك أن تهديني الى دواء قال ثمرة الشفا قال بهرام
 وأنا أدور عليها فاكسب أجرى وثواب شفاؤه ودعاء والده قال الاصل اعلم يا هذا ان كسبي
 في هذه السفرة ألف دينار فان قطعت طريقى وما شيتك لادلك عليها فاقتنى نصيبى
 فانظرنى حتى أقضى أربى وأعود قال بهرام مولاي هالك الالف دينار ولا أنتظر قال
 البدوى نعم السبب فقم معى ثم ان البدوى ودع أخاه وأخذ الالف دينار من بهرام وسلمها
 الى رفيقه وسار رفيقه على طريقه وسار هو مع بهرام فطالت المسافة فقال البدوى
 أخى أنت السائر بى ويلزمك طعامى وشرا بى قال بهرام لو قلت لى عنه وأنا فى المدينة لانت
 بما يكفينى لانه لم يكن معى خلاف ذلك المبلغ وهذا الزاد قد نفذ قال أقرضك حتى نذهب
 ونعود وتؤديه الى فقرج بهرام وقال نعم وأقسم له ايمانا غلاظا وصار البدوى ينفق كلها
 احتاجا اليه ويحسبه على بهرام حتى وصلا الى مدينة الزهرة فقال البدوى اذهب
 واستأذن الملك وها هو البسنان وأنا أنتظره هنا حتى نعود فان قبلت الشرط فقم
 المطلوب والا فلا امر لله فأقبل بهرام حتى دخل على الملك وقبل الارض وصار يبرغ وجهه
 على التراب ويتضرع ففرقه الملك وقال أيها الغريب ماذا تريد قال بهرام زهرة واحدة
 من شجرة الشفا فتبسم الملك قائلا كم مثلك أتوا حاضرين متضرعين فلما سمعوا بالشرط
 تحووا ولو اراجعين قال بهرام وما الشرط قال الملك الزهرة بروح فكيف تسمع بروحك
 قال بهرام يطيب لى أن أفدى ذلك الشاب العزيز بروحى قال الملك سبحان الله لا يدع
 قال هو واحد خليفة ووارث ملك فاذا رأيت أن تمهلنى حتى أؤتيها اليه وأرى شفاؤه
 ونشاط أبيه ثم ارجع الى أعتابك فافعل بى ما تريد يكون لك الاجر والثواب قال أو ترجع
 الى المهلاك قال ابعث من تثق به معى وعلى تكاليفه حتى يحصل أربى ويرجع بى اليك
 واكتب على وثيقة بانى أسيرك فلا يقدر أحد أن يمنعنى عن الرجوع فقبل الملك ذلك
 وكتب عليه الوثيقة وبعث معه من يثق به وأحضر الثمرة من البستان وعصرها فى حق
 وناولهاياه وقال يشرب به بمعرفة الحكيم فأخذ بهرام فرحاً مسروراً وصار مع رفيقه الجديد
 حتى التقى برفيقه القديم وأخذوا فى السير حتى وصلوا الى المدينة ودخل بهرام داره وسلم

الحق لنحوسه وقال سدى فيه بقماش حر يرحى أغتسل وأخذته إلى الملك ودخل هو
ليغتسل فسدت ووضعت في الطافة فاتفق أن فرهاد وجد الحية وأخذته ثم حضر
إلى منزله بثوبها وقال للسعادة سدى فيه سدا وثيقا حتى أغير ملابسي وأخذته فسدت
ووضعت في طافة أخرى وكان فرهاد اتفق مع أحد الأطباء على وضعه في باع المالك
الكبير وأما ولده فتربت مدته لأن العام ناهض النفاذ فخرج فرهاد مسرعا وطالب حقه
فقالت له السعادة في الطافة وكانت طافة حق بهرام أقرب إليه من الأخرى فأخذ حق
بهرام وسار إلى السراية فلما اعتدلى بهرام وخرج سأل النحوسة فقالت لديك في الطافة
فأخذ حق فرهاد وخرج وقال لرفيقه انظر انى حتى أعود وان دفع عشي وكنان فرهاد
وصل السراية وجلس بجانب الملك وكان المنجمون والرمالون ينظرون في طالع النادمين
على الدوام ويبحثون على قدوم آت يأتى بذلك العصير لأن الملك أرسل في عامه عنده
نفوس فصاح أحد الرمالين البشرى البشرى أيها الملك السعيد قد حضر لئلا رجل غريب
بعصير تلك الثمرة فسمع فرهاد وقال في نفسه ان كان بالرمال وجود حق العصير فلا شك
انه يرى في الاستخراج حق السم فليس لي الا الهروب قبل أن يظهره وقام مسرعا فالتفت
الرمال فتعاقب بأذياله وقال هذا هو الشخص الذي تعين لي في القحت فاحتاطت به الامراء
والوزراء فلم يجدوا من اظهاره وقال نعم أتيت به ولكن لم أتحقق أهوه هذا العصير أم لا
ومرادى عرضه على من يفهمه فانتهطفوه منه وأسرعوا إلى محل العايل وسقطوه منه
قدرا من عينا فقال الدم في جسمه وتحرك ثم أعادوا السقيفا فاستوى جالسا وسقى من ساعده
ودقت طبول الهنا ورفعت رايات السرور وأجلس الملك فرهاد على الصحت بجانبه
وأغدقت عليه الجوائز والعطايا من كل جانب واذا بهرام قد أقبل ورأى ما رأى من البشر
والسرور ووجد صاحبه بجانب الملك وقد تراكت الجوائز أمامه فسأل الحاضرين عن
الخبر فأعلموه فاستغرب وقال في نفسه جل الذي أصح نيتته وأبدل الشر بالخير فويل لوجود
حديقة غير التي كنت بها وهل يفدى فرهاد ابن الملك بنفسه بعد ما سمعت منه ما سمعت
ثم تقدم بهرام وهذا الملك بحصة ولده فرأى الحق الذي كانت به الثمرة قال سبحان الله
ما أشبه به هذا الحق بحق ثم خرج من الحفل وأخرج القدر الذي معه فاذا به ليس قدحه
فكر راجع إلى منزله وقال لنحوسة ما فعلت بقدر حتى قالت ربطته ووضعت في الطافة
قال ليس هذا هو ومن أبدله وكانت خيانة تنظر من الرونس فقالت هذا قدر زوجي
فرهاد لقد غلط في أخذه فاستغرب بهرام هذا النصادف وحمد الله على حكمة ابن الملك
ثم رجع إلى منزله وباع قدره وأعطى السدى حقه وأخذ هو جانباً وترك للحرم البقية
وهو ما يوصله إلى بلده ورجع إلى صاحب الحديقة لتسايم روحه وما زال سائرا حتى وصل
ودخل عليه فرآه مدهوشا فخصك رب الحديقة وقال دهشك تعلمي بدمك على حياتك
قال بهرام لا وحق من أبدل ذلك بهم ذاق قص عليه الخبر فتعجب الملك وقال الله يحى عنك

هذه النخوسة اعلم يا أخي ان هذه الشجرة تسقى بماء الورد وهي غرس أجدادى ولها
مصاريف عجيبة وطالماسأهدت الملوكة أشوه خبائة من أقرب صديق لهم فصاروا
يوصون واحدا بعد واحد ان هذه الثمرة لا تعطى الا لخالص الصداقة ويصونونها عن
كل ناس فلم يسعنى اثبات الصداقة الا هذا الشرط وطالماسأنتنى من ذلك الملك أناس
كثيرة لطلبها ومتى سمعوا بالشرط يتخوون الطلاب ولها خاصية أخرى لا يعلم بها أحد
وهو ان الثمرة اذا بلغت حدة الاستواء ونشفت على غصنها تقطف وتصل فادامصرع
أحد وسحقت وشربها المصروع يرى من عاتقه لوقته فهالك انين واذهب سالما حفظ الله
روحك أيها الصادق ومحامدك فعدالة بهرام وتوجهه حتى لحق بمنزله وقد نفذت
الدراهم فقال لا صالح في المكث والى صغرا لكفين فصار متفكرا في أمره ولم ير
من يعرفه سوى فرهاد فدخل عليه وقبل راحته وقال من فضلك أسألك أن تهبنى شأ
مما أعطاك الله حتى أتوصل به الى منزلى قال فرهاد لا حاجة لله بهمة وسرمع قافلتى وأنا
أتصدق عليك حتى أوصاك فشكر فضله وما زال حتى وصل الى بابه ودخل منزله وجلس
في ركنه المعهود لا متاع ولا تقود فدخل عليه صاحبه الصبر وقال كيف كان السعي
يا أخا النخوسة لا منال ولا رأس مال وأين يا أخي مزية الصداقة حيث لا سعد ولا وفاقه
ألم أترك بقولى ان السعادة ليست بسعيك والتوفيق ليس فى كتمان وعيك فن قال
أجد بالجهد وأحف بالعناية بقدر فضل سبل الهداية أخى مادمت فى خيمة لادبار وحومة
ازورار الاقدار فعقدت فعمك محمول وحسام سعيك بالخسارة مفلول فاجعنى لعدلتك
أنيسا ولو حدثك جليسا فن ذا الذى نال بعزمه مناه وأين الذى بلغ بسعيه ما ترجاه
أخى خالفت نصيى فى الذى لا قيمته من الما وعدت عن مسالك ربحى فساو عيت من
الهما لكنى ألقاك فى مخالفتى معذورا وفى انحرافك عن طاعتى مجبورا لان ادبارك
لم يكتف بماعليك جنى وقد شب لتضاعف المسقة والعنا بسودك الى سوق التجارة
وخيبته رجعتك بالخسارة فقد قطعت حناتى عليك أوصل كبدى وهرقت شفقتى
عليك حبوس جلدى ثم أجرى الصبر المدامع مشفوعة الزفرات والنحب حتى انجرححت
الاجفان بذالك العارض الصيب فسمع الصبر دمعه بكفه ووارى لوعاته عن الخصم
بطرفه وطفاه ليهيه بزلاله وطيب خاطره بماله فلما سمع مدوح هذا الحديث الغريب
تأمل فى معانيه وتعجب من مجاريه وقال مستفهما أو عاش بهرام بعد هذا وتلذذ
بالشراب والطعام قال نعم بموانسة الصبر ومجانسة ومجانسة الا منال لعلمه بالقول
اليقين ان الله مع الصابرين فكيف يعنى هذا القول من كان مؤمنا ويصبر ويسخط
روحه بالباس وينهر اذا تحقق الخلق ان الامر للحالق واليه وليس يرى الا ما قدره الله
عليه فكيف يتقابل أمر ربه بالعصيان ويطارز مشيئته بالطغيان وقد نهى عنه فى
القرآن وبشر الصابرين باحلى به ان قال مدوح نعم نعم ما قال الجليل ولكن أين النجاة

يا عقيل قال عقيل اذا تأمل النيل فيما سلف من النكت الجيبة والنوادير الغريبة
 وميزت اول الاحوال في انتقال المصون والمهان من حال الى حال هان عليه ما يلقاه
 وانتظر بشائر عقباه قال عمودح قد اذكر تنى بافظ الانتقال ان رايت أن تنتقل من هذا
 الوادي المنقطع لانه غير ذي زرع ونستبدل له بارض مهيبة النسيم لنروح الروح
 فيه يسيرا وقد كنت بنعشة التريض خبيرا قال عقيل الامر لولاى حيث مل من
 الاقامة فليس لي الاطى بساط الاقاله اطاعة لامره وعزم على السفر ونحساع أنفه
 لانه وجد الراحة في انقطاعه عن الناس واطمان على مولاه من سماع الاخبار المسببة
 فسار يطويان الفيافي ويتربعان كل لطف خافي وعمودح يجدف في نفسه نشاطا في
 مروره على الحدائق والياض فترعرع جسمه وازدهى لونه فتأمل فيه عقيل وبكى
 وتأوه في سره واشتكى وقال في نفسه وأسفاه ان لاحظ نشاطه الادبار ساق اليه كل
 مكيدته ولاقاه بكل نكتة عنيدة فصار الا في السير حتى وصلا الى حدود بندر من البنادر
 فالتفت عقيل الى مولاه وقال سيدى تتخذ في هذه البقعة مقعدا مشيدا لتكون عن
 الناس بعيدا قال عمودح الراى فيما استحسنته انما أشتهى أن أكون في العمار حبا
 في سماع النكات والاسمار وقد ابتهجت مذقلت رجائى في الانتقال وأملى من شفقتك
 رضاك بدخولنا الى هذه المدينة انرى ما فيها من الزخرف والزينة فانظروا لب عقيل
 من تذله في الخطاب بعد ذلك الامر المحباب فلم يسمعه الا الامتثال فدخلا المدينة
 واكثرى شجرة في بعض الربوع وصار يخرجان الى الأزقة ويجلسان في المغارات وكانت
 تلك المدينة من مدائن العادل قطابهم المكث لمودح وصار يدور في فواحيها حتى
 تعارف بأهلها فكان ذات يوم يمشى بساحل البحر مع التجار للتريض فادب سفينته
 أقبلت وهى في أعلى زخرف وصارت تدق المدافع للسلام فردت عليها عساكر المدينة
 بمدافع النخبة والترحاب وأقبلت عليها الاهالى والامراء فخرج اليهم المبشر قائلاً
 البشارة يا ولاية الاماره قد ولد للملك الثانى ولد وسماه العادل فاطهروا لبشر والبشاشه
 وهو ابن زخرفه المدينة وأمر الزعيم برفع الرايات وتعليق السرج ثلاثة أيام وكانت عادتهم
 ان المنادى يطوف بكافة الأزقة وينادى بالبشارة كل ليلة حتى تنتهى أيام الزينة وأما
 عمودح فانه ارتعد من أول مدفع ولكن تجلد بالهبر وتقوى بالجبر فلما سمع قول المبشر
 ولد الملك العادل انفجرت حشاشته غيظا وخرنا فخر مغشياً عليه وكان عقيل يسمع ذلك
 انداف صار يطوى الارض حتى لحق بالساحل وصار يتفقد مولاه حتى وجد بين أرجل
 الرجال فحمله وأنزله صندلا صغيرا وقال للاح توجه بنا ناحية الجبل فلما وصلهم حمله
 أيضا وأدخله مغارة وأرقده وصار يعالجه حتى أفاق فقابلته بالبشاشة التامة وصار يدأوى
 جراح فؤاده بمراهم الانس وكان مراده من ادخاله الغار بعدد من سماع النداء فلما
 انقضت ليالى الزينة اكثرى بهير أو أركبه عليه وخرج به من تلك الاقطار قال عمودح

شفيقي رأيت لك حقاً كبيراً في أسكانك أباي في القفار لأن سكني في العمار قد حرم على
 وحبب القدر توحشني إلى واندفق الدمع على خدي وانهطر قلب النديم عليه فجفع إلى
 تسكير لوعته فبادره بقوله عزيزي أعرضت عن سماع حديث غريبك بهرام ولم تسأل
 عن مآل فيه وبأي وجه حصل تلاقيه قال مدوح هذه أوقات الأسعاف بحديثه فهو أشبه
 اتحاف لا طفي به هذا اللهيب الخافي قال عقيل مازال بهرام يتقلب في لهيب افتقاره
 ويتلظى في جذوة احتقاره والصبر يظهر ذلك التلويث بالمسامرة والاحاديث
 حتى انتهى العام وطاب السفر والقيام وخرجت الدواب بالركاب وصفت السفن
 للسفار ووسق فرهاد متاعه إلى الشام فخرج بهرام ورأى ذلك الاستعداد
 فاشتاق نفسه للسفر وهام قلبه لرؤية ذلك الوادي المطهر فعزم على السفر بالبلاغة
 وقال أنها مدوحة في كل حال مشكورة في كل مآل وهم بالتأهب فقال له الصبر
 أراك أخى قد عزمتم على تكرار المشقة بلا حدود فهل فارقت النخوسة يا أبا السعد
 قال بهرام كيف ذلك وهي شقيقتي فحول الصبر وقال الأمر لله والتوكل على الله وهو
 القائل لحبيبه انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء غير أني لم أجد عندك
 وجود النقود وقد سافرت في الساقفة بالقدس والعين ورجعت صفر الكفين فكيف
 حالك وأنت خالي قال بهرام ان أوجد لي المان رزقاً شكري والافركن التجلة اعتصمت
 وبات بهرام تلك الليلة يداول الفكر ولم يرو وسيلة إلا القرض فقال ليس لي أقرب من
 جاري فصار إليه وأحب أن يختبر الأمر فقبل يده وقال سيدي أحب أن أكون في ظل
 مسابرك بأمرك فالتفت عنه فرهاد وقال الطريق أمامك ليس برك وأما الصدقة
 فلغيرك فرجع خائباً وكان أمير البلد قد خصص دواباً وزاد الفقراء السائرين مع القوافل
 من باب الصدقة فالحق بهم بهرام وسار على دواب الصدقة مع الحرم حتى دخلوا الشام
 فاكترى فرهاد منزلاً عظيماً وأدخل أمتعته فيه فغاب بهرام وهناك بالسلامة وقال أوجد
 مكان صغير في أسفل الدار لسكني محسوبك ودفع الأجرة قال فرهاد أبليت بك فلا
 كانت جيرتك فسأل الغلمان فقال أحدهم عندنا حاصل لازم له عندنا قال فرهاد
 ادخله فيه واشترط عليه الأجرة فأخذ الغلام وأراه ذلك الحاصل وقال لا تحزن أنا أدفع
 عنك القيمة فشكره بهرام على حسن صنيعه وكان له باب من الخارج فأدخل الحرم
 منه وسد بابه الداخلي وصار هو يتردد إلى مغارات التجار فسمع من بعض المتسببين أنهم
 يخرجون إلى الضواحي ويأتون ببضائع وضعية في الأثمان فيبيعونها بأرباح فافترض
 بهرام درهماً من صاحبه الغلام وخرج معهم وكانت دابته بطيئة السير فسبقت الركاب
 فضل هو عن الطريق فأداه المسير إلى بركة موحشة وقد طلع عليه النهار واشتدت حرارة
 الشمس فصار يتلفت يمينا وشمالاً فرأى قبة على بعد قصدها ليس تظلمها فاذا هي بيت
 من خشب جديد فدخل فيه وجلس برهة فاذا هو بضجة عظيمة وناس يبعون

ويصيحون وقد احتاطوا بجواد عليه شيخ مكفوف البصر وهم بقصد من البيت الذي
هو فيه فقام بهرام واختفى بركته فقدموا حتى أدخلوا ذلك الشيخ ورجعوا يضربون
وجوههم وصار الشيخ يريد إغواء إيه بهرام وحياءه وسأله عن الكيفية فبكى الشيخ وقال
اعلم يا ولدي أنه ظهر شخص من المتوحشين منذ ثلاثة أعوام تارة ثم يرايكون ظهوره
وتارة ليلاً وهو يعلو الجبل ويقول بصوت من عجم ابعثوا من يفهم خطابي ويرد جوابي
والاهجمت عليكم وهشمتكم فان أجابني خلعت سبيلك وسبيلكم ولم أعدوا لهشمتك
واكتفيت به وسلمت مني فصاروا كلما ظهر يفترون وكل من خرجت القرعة باسمه يأتون
به إلى هذا البيت فإذا سأله لم يعرف الجواب من دهشته فيصيحون فيلقونه عظاماً وقد
أكل لحمه وقد خرجت القرعة على "وأنا امام الملك والذين يبيكون هم أبائي واحزادي
والأمر لله فقام بهرام وكر راجعاً إلى المدينة بدلالة الماشين ودخل على فرهاد وقبل يديه
وقال أوصيك بالحرم خيراً فإذا أنام أرجع فأوصلهم لدارهم بصدقة فقال فرهاد أجالك
رسول الممات يستأذنك في قبض روحك قال لا وقص عليه القصة قال وما مرادك قال
بهرام انقاذ الامام من الموت قال وتموت أنت بالنيابة عنه قال الله معني ومعينه قال
اذهب وانقذه وابني لك قصر في الجنة فودعه بهرام ولحق بالشيخ وقد قرب نصف الليل
فدخل عليه وقال قم سيدي وتواري وأنا أجاب عنك قال الامام معاذ الله يا ولدي أن
أرميك بصيبي وأنا أسن منك فقبل بهرام أقدامه وأقسم عليه بأيمان وثيقة فامتنع
العالم وصحبه بهرام إلى الداخل وجلس هو بباب القبلة فإذا بالوحش ظهر بهيئة من رجة
وقال من يفهم كلامي يظهر امامي فحضر اليه بهرام ثابت العقل والجنان وقال هات
سؤالك فاستعظمه الوحش وقال ما اسمك قال بهرام ليس لك الأرجل مجيب قال من
أبوك الذي تسبب في وجودك قال بهرام أوجدني من هذقوى الظالم وشدة نزع المطاوم
فتراد استعظامه لدى الوحش فاقتلع الوحش شجرة وقتلها بقوة فتبسم بهرام ونظر إلى
السماء ثم اقتلع شعيرات من لحية ونسفها في الهواء فقال الوحش

بفضائل شهدت بعلمك داني * وافصح عن المكنون واعلم انني
حرصاً أجوب البيد عمري لم أجد * نيلاً كما يرجو الفسؤاد يسرني
وقصدت روعك للدلالة راجياً * أهني البقاع فجذب فضلك واهدني
﴿فقهره بهرام وقال مستغرباً﴾

يا أيها الشيخ الفقيه الزيلعي * ما أنت الا في البراعة مدعي
مالي أرى كالخ قولك بارداً * لو كنت تدري سر قولك أوتعي
فاتظر لرآة التأمل كي ترى * وكفالك في ذا الف قول الاصمعي
﴿قال الاصمعي﴾

أطيب الارض ما للنفس فيه هدى * سم الحياط لدى الاحباب ميدان

وأخبرت الأرض ما للنفس فيه أذى * خضر الجنان مع العذال نيران
 فاطرق الوحش مليا وقال شهدت لك انك أفقه علماء هذه البلدة واشهد على اني لا أعود
 اليها مادمت حيا وعليك مني السلام فدخل بهرام على العالم وهناه بالسلامة فصار يقبله
 ويحبكي من المسرة ثم قال هيا بنا يا عزيزي الى حضرة الملك لتأخذ ما يليق بفضلك من
 الجوائز قال بهرام قد أحاط علمك استاذي بتعبي منذ أمس ولم أفدر على المثنى فدعني أستريح
 بالنوم ثم ألق بك ومراده ان يتيأ بملابس تليق بمقابلة الملوك وقام كأنه يريد النوم
 وخرج من القبة وجد في السير حتى دخل منزله وأخبر فرهاد بفوزة ثم ونحوه فأشارت
 عليه ببيع قرط زوجته وشراء ملابس تليق بالعلم فأخذ القرط وباعه واشترى
 مارام ورام ان يغتسل من الرثاء فدخل الحمام واغتسل وخرج فاذا بملابسه الجديدة قد
 سرفت والقديعة وهو غريب لا يعرف أحدا حتى يستعير منه فانغمى عليه من شدة حزنه
 فانطرح على الأرض وما زال مطروحا حتى خرج من الحمام بفخاء الجماعي وجذبه بعنف
 وقال قم الى منزلك فالنوم يطيب لك فيه فليس هذا خان الغرباء انما هو جسام فقام بهرام
 وقال سيدي قد سرق ملابسني فكيف أخرج عريانا فارق له البلان واعطاه ازارا قديما
 فاستتر به وخرج فاذا الذي سرق ملابس به جالس في احد الحوانيت وهو يلبسها وعلامه
 يلبس كسوة بهرام القديعة فقال له بهرام وقد تقدم اليه وصار يساره الحديث خوفا من
 الفضيحة أيحك لك أن تأخذ كسوتي وتركني عريانا كما ترى فصاح الرجل أيها الناس
 اسمعوا ثم ههنا الغريب النصاب وقبض عليه فقام اليه من بالسوق فقال ههنا
 الغريب يتهمني اني سرفت كسوته فأقبلوا باللوم على بهرام ويقولون ما جالك على أن
 تكون غريبا نصابا قال والله ههنا ملابسني اغتسلت وخرجت فلم أجدها وسرتني
 البلان بهذا الازار وهو أكبر شاهيد على صدقي قالوا تبال لك من نصاب بخود ههنا
 ملابس قطرنا وانت لست منا فكيف تكون لك قال اشتريتها من بلدكم قالوا تستزيا
 بملابسنا وتنتصب كما نشاء ثم شدوا وثاقه وأخذوه الى ديوان الحكيم وأما العالم فانه قام
 يسعى بكل سرور حتى التقى بأحد المارين فأخذه وأخذ بيده الى السراية وقص الخبر
 فقال الملك دعه يستريح حتى نحضر له الديوان ونأتي به في موكب عظيم فامر بترتيب ذلك
 وأرسل اليه موكبا عظيما * وكان فرهاد قد أرق تلك الليلة فلما أصبح أشارت اليه
 السمادة بالخروج الى الرياض فقام وركب وخرج فشر دمه الجواد ولم يتمالك ان يضبط
 العنان وما زال حتى وقف الجواد بازاء تلك القبة وقد تعب فرهاد فترل عنه ودخل القبة
 وافتش قباهه ونام يستريح فتمت الركاب بالموكب وتقدم الوزير ودخل القبة مع الخف
 فائق الشيخ نائما فصار يحس به جسا خفيفا فانتبه فرهاد فرأى ما رأى من الموكب فمطن
 للقصة فنهض قائما فقبل الوزير يديه وأركبه وصار بالموكب حتى أقبل على الملك فاستقبله
 بالترحاب والتعظيم وشكر فضله وكرمه وجسارته وأنعم عليه بألف دينار وأنحفه كل

من كان بالمجلس حتى شهن صندوقا وكان فرهاد غير مطمئن ويخشى اقدام بهرام خشية من القضية وحذرا على المال وكلما سأله أحد عن السؤال والجواب يقول لاحاجة في افشاء الاسرار ويأدر بحديث آخر وكان أقصى مراده ان يخرج بتخفنه قبل انضاح الامر فبينما هو في الحذر والترقب وجع التحف واذا بهرام أقبل مكنوفا فاطمأن فرهاد وتهلل بالفرح فقدموه الى الحكم وقصوا قصته على الملك فسبحان من غير من حال الى حال ولم يتغير عليه أحوال فقال الملك هذا يوم مشهود ولم أرض ان أعاقب أحدا فيه وأمر بحل كتافه واطلاقه وأنعم عليه بمائة درهم فرجع بهرام الى أهله غضبان أسفا وفرهاد بكل نشاط ومنال فأخذ بهرام الشقيقة والزوجة وكررا جعا الى بلده وهو يصرف من تلك الدراهم حتى دخل داره فوجد الصاحب والحرم في انتطاره والدمع يسيل من آماقه فقال الصبر أخى لا تجزع فان الشدة عده فهو ن عليك ما لقيت وسترى السلامة بقولى اذا اقتديت قد خضت الايام بالتداول وحفب الاحوال بالتداول وطالما لاقت أمثالك من الادبار صروفا في الليالى السود ثم انجلي صبحا قبائلها وحفب بالسود لمحمود أخى ليس اديارك نادر الوجود فالسعد يذهب ويعود وعادة الدهر في العلوم لديك ان يومالك ويوم عليك فإى شهر لم ترفيه طاعة البدر وأى عام لم تكن فيه ليللة القدر فلا تزدأملك بالياس ملالا ولا تحمل نفسك بالكدر العاقل فوق ما بها اعتلالا وتأمل في أمثال التيمورية حيث قالت

مهما سميت بمنية مذكنت في * ادبار وقت فهي عين منية

ولها أيضا

نلت المنان ساعد السعد القدر * فاجهد والا كلما نسى هدر

فكن معى حتى ينقاب الطالع وارض بما تاق ولا تمنع وتأمل في سالف الدهور فكم أبكت ضحوكا وكم أقبرت ملوكا وما زال الصبر يدبر له من النصيح كاسات المواساة حتى أسكن لوعاته وأنجز فراته فكف بهرام عن الجهد والجد عامين عاطلا عن التجارة فاعدا على حصير الخسارة فلما سمع مدوح ذلك القول ألزم نفسه بالسكوت والاقامة حتى يسمح السعد له بسلامة وقال لعقيل قد مثلت بنفسى بهرام الغريق ومثلتك بالصبر الصديق ومازالا ما كنين ببيتعتهما أياما وعقيل يحضربا قوت لسيده وتأمل الفتى حالته ذات يوم ولا م نفسه قائلا الى متى يسعى هذا النهو ح في جلب القوت وأنا أتناول كالمعتوه المصاب ألم يكفى منه افراج كربي بحسن مسامحته وتلطيف شدتي بطرف منادمتة فأين الحساسة وأين انصاف الرياسة كيف لا أساعده بالكدفوا أسفى على عنصري الذى غاب وعزى الذى غاب وعاب فنظر اليه عقيل فرآه متغيرا فسأله عن الداعي فأخبره مع الخجل والاسف فكاد عقيل أن يرقص طربا وقال وحق نعمة أباك وجدك ان احساسك بشرى بقرب محوسعدك ففرح بمدوح وطابت نفسه وتحدثا

رهة ثم قام عقيل وقصد المدينة وقام الفتى يمشى في الفضاحتى دخل غابة كثيرة الاشجار
 فاستراح لنسيها وجلس يستظل تحت الاغصان فاذا بصداة تصيح وتحوم بالطيران
 على شجرة كأنها تريد القرار عليها فيمنعها مانع وكلما رامت القرار نفرت بسرعة وصاحت
 فعلم مدوح بالفراسة ان لها أفراسين أفنان تلك الشجرة وقد رأت ماها لها بعشهم فلا
 تستطيع القرار ولا يمكنها الترك لحفانتهم عليهم فقال سبحان من ساقنى لحل مشكل هذا
 الطائر فنفض وصعد الشجرة حتى وصل الى عشها فرأى بين أفرانها جوهرًا عظيمًا قد أصفته
 الشمس فاشتد بريقه وهى تحوم على رأسه كأنها تستجير به فاخذته فاذا هو خاتم ملوكى وقد
 خالته الطيرة نارا مشعلة لشد لمعانه فلما أخذه دخلت على الافراخ بسرعة وخيمت عليهم
 فنزل الفتى والخاتم يمينه وقال سأقصده المدينة لانهش عقيل بلقطتى وأحقق بشراه فلما
 زالا يمشى حتى دخلها وكان لا يدري محل اقامته فصار يبحث عليه فسمع مناديا يقول يا أهل
 البلد اخرجوا الى ذيل الجبل لتروا قتل الخائنين فقد مضت مدة امهاله والامر لله
 فسأل الفتى المنادى من هما وما جرمهما قال غلامان سرقا خاتم الملك وهما ملوكا كان له
 وأمهلهما السبوعا وقد انتهى الاسبوع فقال مدوح اسرع بى اليه فاعل الله يجعلنى سبيبا
 لا نقاذهما فخذ المنادى فى السير مع الفتى وتبعه من بالسوق حتى دخل على الملك وحياء
 بالخط لافه وأخرج الخاتم وقال هدا ما صاع منك قال الملك نعم وأنى لك به وأنت غريب
 فقص عليه الخبر فاستغرب الملك وقال حفظ الله فراستك وصداقتك قد أجرت بوقاة
 دم الرجلين وأنتك مذنتى من ارتكاب الظلم اعلم يا ولدى انى كنت فى بستانى ولم يكن معى
 خلافة ما فترعت الخاتم وسلمته لهما الجلالة ثم طلبته منهما فقالا انه ضاع ولم يكن فى البستان
 غيرى وغيرهما فلم أشك فى انه ما طمعا فيه وسرقاه ولم يخطر ببالى ان الغراب يخطف
 الجوهر أو الخدأة ثم دعاهما الملك وطيب خاطرهما بالانعام وناول الفتى صرة فيها خمسمائة
 دينار وخرج مدوح مسرورا بنيله يقول فى نفسه سأعطيها لعقيل لينفق منها ويستريح
 من الكد فى الطعام والشراب حتى تنفذ وخرج من المحفل بهذا الامل وكان الناس قد
 اجتمعوا لسماع تلك النادرة الغريبة وقد حان وقت الغروب فأسرع مدوح ليحضر منزله
 لان عقيل كان يحضر فى الغروب بالعشاء فصادفته فأكهه كان يشتتها منذ أيام ولم يرض
 أن يكاف عقيلًا بشرائها حذرًا من عدم وجود النقود فسر بها وأراد أن يشتريها فأدخل
 يده فى جيبه ليخرج الصرة فاذا بالجيب قد شقه النشال وأخذ الصرة فغاب عليه الغم
 فجاءه فأغاث نفسه بالتأمل فى نصائح عقيل فلما وصل المنزل وجد عقيلًا فى انتظاره فقام
 واستقبله وقال أين كنت سيدى الى الآن حتى تعبت وتغير لونك فخذ الراحة فى الجلوس
 وأنا أنحكفك بما سمعته اليوم فبسملى الى الطعام وتسل بالحديث وانظر الى لطف المولى
 الغريب وكرمه الجيب فالذى أنقذ ذنبك الرجلين من الموت قادر على انقاذك وردك
 الى تحتك قال مدوح ومن الرجلان قال عقيل رجلان اتهمهما بسرقة خاتم الملك وأنقذهما

الله يا هذا الغريب والناس تمدح فراسته فتبسم مدوح وقال أنت تحدثني أم أنا أحدثك
 وحديثك ما كان ذلك الغريب إلا ابن العادل وقص عليه الخبر وأراه شرط الجيب فبادره
 عقيل بالبشارة قائلا يا هذا ما بشارتك قال مدوح ما هي البشارة هل طفيل أنا فتلاهميني
 قال مولاي ما ضاع منك فهو بشارتك أقبال همة سعدك أوجدت سيدي منذ خرجت من
 ملك أسبك ما يسرك قال لا قال أدخلت محفل ملكك أودعك في ملكك قال لا قال أحطيت
 بشهرة أو ثناء قال لا قال أمدحت بحسن فراسته قال لا قال كيف لا تستبشر بوقوع هذا
 كله في يوم واحد قال مدوح فاقول لك في سوء الختام قال عزيزي لو لم يكن أخذ منك ذلك
 لقلت قرب أحل خصمك ولم أقل أحلك تأدي بالان السرور إذا تعدد فجأدا لا يكون مصيره
 إلى الخلد فإذا اشتعل الأقبال بغتة لمن تلبس بالأدبار يكون قرين لاختداد دفعة فاسمع
 ما قالت له التيمورية في المثل إذا باغ الخط غايه تمامه فهو دليل على قرب انصرامه
 فليس بعد التمام زيادة ولا بعد الموت عيادة حفظ الله فراستك من الغفلة أرأيت
 كيف كانت تلك الطيرة تحوم بفزعها وتصيح بجزعها حتى أغاثها الله بك فسادك
 عنها ودخلت عشها واستقرت واطمأنت برؤية أفرانها وسرت فهذا تلهمج إشارة
 تعود عليك وحسن بشارتك تساق إليك فالشجرة ملكتك والعش تحتك والفرخ
 رعيتك وأنت تلك الطيرة آتظن ما فعله الخائن مضره بك بل هو مسرة لك كما
 كانت الطيرة تظن أن الجوهر نار فسمي ذلك الله من فضله عن يطهر ملكك منهما ويساب
 عز تحتك عنهما بغير علمك دون تعب منك حتى يجلسك عليه من دون نصب كما حامت
 هي في اللوح وصاحت من روعها بالروح فلما أمدها الله بأمانتك دخلت مسكنها
 ولم يكن به أدنى خلل وسعدت صدق قولي بالمشيئة عند جلوسك على التخت كما رأيت وتثبت
 حديثي كما ادعيت وعند ذلك امتلاء الفتى بالسروور وتأقت نفسه للطعام وتناول بشهية
 فائقة وتسامر بفكرة رائقة ثم قال لعقيل أكلت شغبي بحديث بهرام وماتم له بعد
 التقاء من المرام قال أسمع الله مولاي كل خير لما مكث عامين كافعا عن التجارة حذرا
 من الكساد ولم يرض أن يتسبب بحال غيره خوفا من الفساد كاد أن يموت من شح
 الزمان والقوت فدخلت عليه حيلة وقالت يا بول انتين فهل لك في الثالثة فالا حتيال
 لا ينكر فخذني وتوكل قال دعيني يا حبيبه إلى أين أذهب وأين النقود التي بها أتسبب
 وقد مال ظل النخوسة على وساق كل كساد إلى فسمعت نخوسة فتصدعت وتضررت
 وقالت قل ما شئت فالله قادر على بعدى عنك وتجنبي منك ولكن حيث كان القول
 منسوب إلى وأنا أسعي في وجود النخوسة من جارنا الأمير فان رأفته تسبح لي كل حقير
 وأفترض لك عشرين دينارا بشرط أن تأخذني معك فالبهرام أن جاديا قرص فلذلك ذلك
 فتهيأت نخوسة وقدمت على بيت فرهادر كار أول أقدامه إلى الباب وانتظوت حتى نزل من
 الحرم وصارت تحته بارق حديث من وراء الستاره وقالت يقبل أقدامك وقد توسل

يا حسنك فأرسلني ألتبس عشرين دينارا قرصة لوجه الله وأملني أن لا تخيب رجائي قال
 عليه السلام صوتهما وقال من أخوك قالت محسوبك بهرام قال لو تدرين بسوء ادراكه
 وخسة عقله لعذرتيني في شئني عليه لقد تصدقت عليه هزارا ومائتا درهم الأبرامة
 وحوذي وقد جددت عمة فضلي وسافر ولم يستأذني ولكن لا ترضي رأفتي ان أردك خائبة
 وناول غلامه عشرين دينارا وأعطاهما إياها فأخذتهما وعادت إلى بهرام وهي تقول ياله من
 سيد جيد فكيف تسكر انعامه وتطلب احسانه فأخذ بهرام الدنانير وتأهب للسفر
 فجاء الصبر وقال ما الخبر فأرقتك الحسارة حتى همت بالجسارة قال كيف وهي التي
 نسبت في النقود من عند أصيل الجدود فاستبشر الصبر وقال أدخلت عليه قال لا
 لكنهم اتفقت بيباه وأسميته حسديثم وسمعت لطيف خطابه قال الصبر وددت لو انها
 دخلت عليه بلا حجاب أو متجردة من الثياب ولقد شعرت بالبشر قليلا انما حيث ان
 القرض بيد هافل اربح فيه فاردده وارتاح واعلم ان سبب النخوسة ليس فيه ارباح قال
 بهرام قد اخذت نفقت في هذه الحجرة ولا طاقة لي بدفع الاجرة قال الصبر أخى ان ساعدك
 السعد طاب لك الوعد أخى القدر لا يعاند والمقدور لا يراد وطور الناس نخسة
 أجناس سعدك ونحسكاه ومنه تارة نحس وتارة سعد ومنه سعد أوله ونحس
 آخره ومنه نحس أوله وسعد آخره ومنه المنوسط وهو خيرها لا سعد بارق ولا
 نحس فاتك والسعد كله لا يخلو عن نكت النحس أحيانا والنحس كله لا يخلو عن بارقة
 السعد أحيانا وقد أقر الطالع من ثم بتقليبه في دورانه وأنزل الجليل آية التداول في
 قرآنه وإنى أراك لم تحف بسعد الى الآن وأملني بانك ستقرن به في القابل من الزمان
 فاصبر وما صبرك الا بالله والافلاك الامر فتوكل على الله فقام بهرام وودع الصبر وخرج
 الى السوق يشتري بضاعة على قدر رأس ماله فرأى ازدهاما عظيما فقال في نفسه
 ما اجتمعت الناس الا على خير متاع ودخل ذلك المحفل فادبر حبل تعلقت التجار به قائلين
 لا تبرح حتى تؤدي كل ذى حق حقه فسأل بهرام عن الخبر فقالوا له رجل مديون ولم يكن
 له سوى صندوق مختص بالصباغة وهو غير متبول عندهم لانه عديم الرواج فسألهم كم عليه
 قالوا عشرون دينارا فقدم ودفع المبلغ وخاض الرجل وأخذ هو الصندوق وقال سبب لي
 خلاصه من الذل أحسن سبب وكان بهرام يحسن صناعة الصباغة وكان علق بها في صغره
 لوجود الالوان المفرحة وكان مغرما بالتشكل فصار محترفا بتلك الصناعة فلما اشتراه قدم
 به الى الساحل فرأى سفينة تحل المراسى الى السند فاكترى به الحجرة صغيرة وأدخل بها
 الصندوق وذهب وأتى بالحرموص - اروا على وجه الماء أياما وهو يبيع أمير السفينة
 بالمساهرة ويقفات من عنده هو والحرم فاشتهت الريح عليهم ذات يوم وغلبت الملاحين
 وساقطهم كانهوى وصارت بهم خمسة أيام فلما سكنت وأفاق نفوسهم ودقوا المراسى
 وخرجوا الى الروا تلك الارض ويستدلوا على وجهتهم وخرج بهرام معهم وصار يتمنى على

الساحل حتى بعد عنهم فحاسب يستريح فاذا بصندل مقبل من جوف البحر وهو من
 خشب البنوس وله رايتان من حرر أسود وفيه عشرة رجال بينهم فتى كالخيال والحزن
 يلوح في نواصيهم لسقم ذلك الفتى فتقدموا الى الساحل وربطوا صندلهم وقام الغلام
 بين رجلين يرتكن عليهما حتى وصلا الى الساحل وصعدا به الى الجبل فانزلاه في مغارة
 ورجعا من غيرهما يتأسفان وعادا الى الصندل وتركا الغلام وحيدا فصب على بهرام
 وحيدة الغلام وقام ودخل عليه المغارة وصار يصني لما يقول فاذا به يقول يا من رد
 يوسف على يعقوب ويا من كشف البلاء عن أيوب فرج كربى بحرصة النبي الحبيب
 ودلنى على من هو لدائى طبيب قد أحاط علمك بدائى فامتن بشفاى ودوائى فدخل
 عليه بهرام وقال السلام عليك قد ساقى المنان اليك فاشرح حالك وعرفنى بليلتك
 فتمسك الفتى بأذياله وصار يقبل يديه وقال اعلم ياسيدي انى ابن ملك الجزائر وكنت
 فى دراية العلوم على جانب عظيم فلما بلغت الحلم وهم والذى بزواجى وأمر الوزير ان يعرض
 بصورة كل صبية فريدة الجمال من أبناء الملوك والوزراء وما أشبه ذلك فصار الوزير يابسا
 فى هذا البحث حتى استحصل على عدد كثير وعرضهم على فلم يقل نفسى الى احدها هن أبدا
 فأغم والذى وصار يمدنى ويكدرنى وكلمأ أمانى اليهم لم ازددا لانفورا فقال وزيره اعلم
 سيدى ان تضيئه عن المبل الى هذه العذارى لم يكن الا امر يعمله الله فدع التهديد واهمله
 حتى يروم التأهل من نفسه فكف عنى الملك ومن خطا بى فحسر على ذلك ولعبت بى
 الافكار وزاد بى الاسف فكنت ذات ليلة أتأمل فى تلك التصاوير وأشوق نفسى اليهم
 لعلها تشغف باحداهن فغلب على النوم فرأيت فى المنام عذراء تخاطبني بقولها يا تاج الدين
 لو كنت أنا من يميل الى الرجال لكنت أهلا لك فانتبهت وقد أخذ حبا عجميا مع قاي وخيالها
 يتثنى أمامى وأنا أحسن صنعة التصوير فصورتها على حسب ما رأيت وصرت أسندل لها
 من السياحين حتى عرفها أحدهم وقال هذه ابنة ملك الشين ومن أخلاقها انها تكره
 الرجال وقد عرفت أباها بذلك وقالت له ان زوجنى بالرغم عنى قتلت نفسى فتحقق عمدى
 ذلك من قولها لو كنت أميل الى الرجال فاسودت الدنيا فى وجهى ولم يسعنى الا الكتمان
 لاني لو أشرت والذى لجئت طامها وان هى لم تقباني كيف تكون شهرتى بين الملوك الذين
 عرضوا على صور بناتهم وكيف يكون تشمت تلك العذارى فى عدم قابليتها لاي فتكتمت
 سرى عن الجميع وصرت أرجو الله الذى قدر حبا على ان يرسل لى من أشكو اليه لوتى
 ويواسى بتدبيره جراح شدى فأرسلك الى قال بهرام اعلم يا ولدى ان لى شيخا من رجال الله
 مقبول الدعوة مهمما قال طال غما كيف يرضى والدك بانفرادك فى هذا الغار قال الفتى
 ان هذه المدينة ليست لنا وانما هى الشين مدينة والد الصبية ولى أعوام أسوح بالبلدار
 ووالدى يأذن لى لشدة مرضى ولم أجدر احنى الا فى هذه المدينة لكونها موطنها فلعلى
 أراها أو أرى من يراها وأمر غنخدى فى أرضها وألتم تراها والرجلان اللذان

أدخلاني الى ههناها وزير أبي وأنا أرجوهما في انفرادي احيانا في هذا المغار يومين أو ثلاثة
للاستغاثه وأنا بعيد عنهم احذر ان يطلعوا على حالي أو يسمعا قولي ثم يأتيان فامضي
معهما الى الصندل ويجوبانني في تلك البحار وهذه حالي قال بهرام لا بأس عليك وأمل
ارتهاقي ستة أشهر ثم عد الى ههنا تحظى برادك ان شاء الله ثم ودعه بهرام وقام الى السفينة
وأخرج الحرم والصندوق ودخل بهما الى الخان المتعلق بالصدقة وجد في البحث على
مراكز ابنت الملك حتى اهتدى الى بستان لها تعريض فيه فلبس ملابس النساء الزهاد
ودخل البستان وهي فيه وجلس بجانب نهر وأعلى صوته بالذكرو التهليل فسمعه الصبية
فأقبلت عليه وهو ملثم لم تر الا عينيه فقبلت يديه وقالت أسألك أيتها الزاهدة العابدة
ان تدعي لوالدي بالنصر ثم بصرف فكره عن زواجي قالت الزاهدة كيف ذلك أضرك
بدعائي قالت الصبية اني لم أقبل الرجال قالت عرفني الاسباب حتى أقنع بعدوك قالت
الصبية اعلمي يا والدتي اني مغرمة بالسياحة لكنني أجوب في حالة التذكر لرفع التكليف
ومداخلة الناس وتفقه أخلاقهم فقدمت في أحد الاسفار على مدينة وقد رست سفينتنا
على ساحلها فرأيت صبية تصيح بالسؤال وتبكي بكل حنانة فأرسلت من أتى بها وأدخلها
عندي وسألتها عن حالها وقلت كيف اباح أهلك اباحه الجمال لذل السؤال فاشتد
بكائها وقالت لو لم أخش الاشاعة لاطلعتك على أسرارى فاسمعت لها بآء ان وثيقة
اني لم أتفق بها لا حدا بدا قالت سيدتي اني ابنت شاه بنسدر تجار العراق وعمي شاه بنسدر
تجار بغداد وله ولده هو مغرم بي وأنا مغرمة به وقد اتفقت الباء على تزويجنا ببعضنا
عند رشادنا ولما حان الوقت وهم الابوان بالزفاف جاء مكتوب الى والدي من أخيه يقول
ان ولدي بلي بعله الرعشة ولم يضبط نفسه وقد وصفت له الحكماء صهراء في اليمن اذا دفن
في رمالها شفي وية تقوت بالابن والافلا براءة له وقد بعثته والده الى تلك الاقطار والله
الشافي فلما سمعت بذلك غلب على الغرام وقلت لا وسعة لي في الاقامة بل أسافر اليه فاذا
مات قتلت نفسي وان شفي عدت معه الى أقطار عمي فاحذت لباس زفافي والحلي
وخرجت آتقة من عند والدي حتى دخلت اليمن وقدمت عليه وقد ضجرت الخدمة منه
فعرفتهم اني امرأة وهبت نفسي لخدمة المرضى والغرباء منذ أعوام فشكروا وفضلوا
وسلموه الى وصاروا كل أسبوع يأتون بزاد لي ويعودونه وما زلت به حتى نفذ العام وشفي
بغتة وسكن رجفانه فنامت في وجهي وقال ابنت عمي قلت نعم قال وما الذي أتى بك
وكيف رضيتي عمي فقصة ما عليه الخبر فأطرق مليا ثم المقت الى وعانقني وقال عزيرني
بأي شيء أكاؤك قلت سلامتك هي أشهي مكافأتي قال من تمام حيلك استحماني وتغيير
ملابسي فقامت به على النهر وغسلته والبسسته قال أروم ان أراك بلباس الزفاف قلت
نعم وأنا أشهي ذلك سرور الشفائك فقامت وترينت وجلسنا مني بعضنا وندنا حتى
طلع النهار ومضى ظلام الليل فقلت من فضلك ان تنيني على صدرك برهة لان لي عاما

أنا مرسكنة على هذه الشجرة وأنت نائم على صدري قال أحب لو ساعدتك المقلة لا تمك
 فيها فلبست قبض نومي وتجردت من الحلي وغت فلم أتبسه الا الشمس قد كوتني حارتم
 فصرت ألتفت اليه فاذا به قد أخذ ملابس زفاني والحلي وأبق به وتركني فعملت اياه
 عشيقه يهواها فانخذمتا عي اليها وعزم ان لا يرجع الى أبيه لانه ان يرجع لا يزوجه بغيري
 فلم أقدر ان أعود الى أهلي ولاني حرفة أتعيش منها فصرت على وجهي أسأل الناس كما ترى
 فلما سمعت حديثها انفطر قلبي عليها فساوولتها صرة فيها ما تستغني به عن السؤال مدة وقد
 نفر قاي من الرجال نفور أشد يداو آليت على نفسي اني لا أتزوج أبدا فقالت الزاهدة
 أي ابنتي اعلمي بانني لم أتزوج الى الآن حذرا من ان أقع في أحد الخائنين منهم ولكن لما
 بلغت سن التفقه وتأملت في كتابه العزيز وجدت البنين أعلى نعمة واشهر منة
 وصرت كلما أرى الصبايا من الامهات يرضعن تلك الاقار وهم يترقصون أمامهن
 كخيمات الامصار تشتعل بالصدر حسرة وبالقلب جرة وقد فات وقت قابليتي للولد
 وعاقني عن حلاوة دالة الامل هذا الصدد فتجردت عما امتلكته ليا سي من البنين
 والبنات حينما أدركت زينة الحياة ووهبت ذلك المتاع لمن تمتع به من الآل والاقارب
 وصرت أجوب القفار كاترين بالذكرفي كل جانب فأنشيت ان تقرن دعوتي بالاجابة ثم
 تعين ما وعيته فتسخطين على وعلى ساعتي التي فيها دعيت فالصواب ان استرحم من خلق
 الظل والحرور ان يحوم من قبلك هذا النفور ثم ناوت الصبية مائة دينار وقالت
 نصديقي بولادتي من الزبارة وقد تشوقت الى وجدان الولد فقالت لم تقل الزاهدة
 ما قالته الا عن بصيرة ولكن رمانى النفور بيد قصيره فقام بهرام من وقته وصار يجتهد
 في البحث على روضة مشكورة وبقعة عن أعين الناس مستورة حتى وجد قطعة
 أرض بين الجبل والبحر وأحضر العمال وبنى بها بيتا يحتمى على سبع مقاصير ثم أسرع
 في البناء حتى انتهى في أقرب وقت فلما انصرفت العمال أتى بذلك الصندوق وصار
 ينقش على حيطان كل مقصورة ما اصطفاه من الرسوم والصور ويكتب تحته معناه خطأ
 حتى أتى الى المقصورة السابعة فنقش في أول حائط صورة ابن التاجر والصبية نائمة على
 صدره وعلى الحائط الثاني مشركا من عباد الاوثان وهو يخاطب ابن التاجر بهتديد عظيم
 وأعاد رسم المشرك في الحائط الثالث والفتى يتدل بين يديه ويمرغ خده في الثرى وكأنه
 لا يقبل منه قولا وعلى الحائط الرابع ذلك المشرك يسحب الفتى بعنف وهو لا لبس تلك
 الملابس ومترين بذلك الحلي في زى النساء وكان الفتى خالي العذار والصبية نائمة تحت
 الشجرة التي هي ابنت عمه وهو قد لبس ملابسها وحليها وكتب تحت الصورة ان هذه
 الصبية خدمت هذا الفتى عاما واحدا وهذا المشرك يريد ان يأخذها ليدبحها قربانا للصنم
 جديدا بدعه ملكهم وقد ظهر له والصبية نائمة وقال اني أجوب القفار مدة على صبية مثل
 هذه لا دبحها قربانا فلم يقع لي أحسن من هذه في الجبال فخل عنها وان لم تخل عنها قتلتك

وأخذ منها بعد موتك لا محالة فتفكر الفتي وقال في نفسه أماموتني فسهل وأماموتها
وأصعب موت لأنها ترى الإهانة حتى تصل إلى بقعة الذبح ثم تذبح فالأحسن أني أفديها
بنفسي وهي تنجو وتنسلي عني بمن يتزوجها غيري ثم قال للشركة حيث لم يكن التخلص
فانتظر حتى أوقفها وأرسلها لك فخذها وافعل كما تريد وأتى هو وأبس لباسها وحلبها وسلم
نفسه إليه ولم يعلم بأشئ فانظروا أيها السامعون في حدود هذه الصداقة حيث كافأ
خدمة عام واحد بعمره العزيز وليت شعري ما الذي تخيلته فيه بعد انتباهها اعلمت ما حل
به فرضيت ورجحت أم خالته خائفاً فسبت وسخطت ثم قفل البيت وأرخت على عينييه
عصابة وأقبل على الملك ودخل عليه وقال له أريد الخلوة بك فقام الملك إلى الخلوة مع بهرام
وقال اعلم سيدي أني مرید لا أحد الا قطاب وقد عسر عليه عدم خلفك وانتقال ملكك إلى
خصمك بنفورا ابتكتك عن الزواج فالتجى بالاقطاب واحد ثوابيتا بين البحر والجبل فرها
بالسير إليه والمكث فيه سبعة أيام ثم تعود إلى السراية واجعل قصداً نزهتها ثم قابلها
واسأل عن كيفية من اجها فله لك تسمع منها ما تريد وتحب وتناول المفتاح وقال تردد على
البيت بعد خروجها فله لك ترى شئني فيه وزخرف البيت بالفراش لانه خال عنه فكاد الملك
ان يطير فرحاً بهذه البشارة وساق كل ما يحتاج اليه البيت من الاثاث وشحنه بجيد الطعام
في أقرب وقت ثم دخل على ابنته بشوشا وقال قرة عيني رأيت بيتا بين البحر والجبل وهو
طلق الهواء خاص النسيم فاحببت ان تمكثي فيه مدة أسبوع لتلقى تلك الاهوية الشافية
ففرحت وقامت بمن تريد من الجوارى وقدمت على ذلك البيت وصارت كل يوم تمكث في
مقصورة وتتأمل في تلك العبر وتتلو معانيها حتى انتهت إلى المقصورة السابعة التي هي
عين المقصود ورأت ما فيها وتلت معانيها فغاب عقلها وانفطر قلبها وتبدل النور بالرحمة
والشفغ فتذكرت ما قالت الزاهدة في حق البنين فحنت جوارحها إلى شوق الولد
وصارت تدق الكف على فرصة وتقول من لي بنت التاجر حتى أعرفها صحة الامر وصداقة
ذلك الفتي ومن لي بعرفة أبي حناني للولد وميلي إلى الرجال فلما عادت في الغدوة صباحا
دخل عليها والدها وقال ما رأيت عزيرتي من خاصية ذلك البيت المبرور قالت كل حظ
وسرور وقد آليت على نفسي ان لا أخالفك في كل ما تعلق به رضاك قال انك لم تخالفني
أبدا الا في بحث الزواج قالت وهو أيضا قد سلمت الامر فيه فسر الملك وقبل عينيها ونزل
وبشر وزراءه برضاها وأرباب دولته فها هو المفرح وهو ابتزين المدينة فقال نعم انما
أنتظر قدوم الشيخ فاذا من الله على بلقائه ثم سروري فافعلوا كما بد لكم وابقوا الزخرف
للقابلة الشيخ وصار الملك ينتظره كواسم الاعياد * وأما بهرام فانه مكث في منزله ذلك
الاسبوع للاستراحة واقترض دراهم واشترى ملابساً تليق بالمشيخة فلما كان اليوم
التاسع اغتسل وأبس ثم خرج يستنشق الاخبار فوجد البشرى بلوح على الناس وكل
يتكلمون في سرور الملك برضا ابنته بالزواج فرجع وأخبر الشقيقة والزوجة ببشارته

وحسن سمعه وصمم على المسير غدوة لان الوقت عسى فقالت النعوسة عجل وسرفيا يصح
 الصباح الا وانت بجانب الملك ميتة حيا فقام ومشى وكان المحل بعيدا عن البلد فخرجت
 عليه قطاع الطريق نصف الليل وجردوه من الثياب وضربوه بالاسلحة حتى بطلت حركته
 وظنوا انه مات فتركوه طريقا على الارض فلما سمع مدوح استوى قاعدا وقال بشرفي بموته
 وراحته من هذا العيش النكد قال عقيل كيف يكون ذلك البشر بالموت بعد بلوغ المني
 معاذ الله ان يموت المدحور في كهف ادياره لاسيما انه من الصابرين فلا بد من رجعة السعد
 وعود الاقبال فاذا خرج من الظلمات الى النور واستراح في الظل بعد الحروب فقد
 طاب الموت فان الله وانا اليه راجعون * قال مدوح كيف العمل ان طال العمر وترادفت
 الشدائد الثقال قال عقيل يدفعها الصبر والنطوع والامتنان فان اشجاث السريرة
 بصدق الايمان رأت كل مالاقت من شدة ولذة نفس من اليهتان وتقلدت بلائي
 الاجر في التطوع والصبر عزيزي الانسان لا يخرج عن ثلاثة اسماء الاول اسم مولود
 والثاني اسمه المسمى به والثالث جنازة ولا اسم بعده فاد استرشد الانسان وعلم باسمه
 الماضي والحالي صار في انتظار الثالث وهو واقع به لاحالة تحقق ان كل ما كان فيه هو وكل
 ذي روح مقرون بالزوال عند وقوع الثالث فيحقق التامل للدلالة بان العمر لحظة بروق
 وما العيش الا عيش تلك الدار حيث لا نهاية لعيشها الا بدي ولا فناء لنفسها الا زلي
 وايتفقه الانسان في نفسه اذا مر عليه سرور وأعقبه غم أي كثر ذلك السرور مع الغم
 أو عجزه فاذا علم محو ذلك بذلك وعكسه في اللحظة التي هو فيها يصدق في الحال بان كل
 ما كان زائلا فلا يضاعف الغم بالندامة والياس ولا يفترب بالفرح فالارب يب طبيب نفسه
 ومالاث حسه فانشرح صدره ومدوح وصمم على الصبر والرضا وقال لعقيل قد بردت بنصحتك
 حشاشتي وهان علي بقولك ضم شقاوتي وتمسكت بالصبر في كل أمر فتبسم عقيل وقال
 حتى أرى وأتحقق وان كان قول السيد عند العبد ممدقا فأتى الحديث حتى سمعها منجبة
 فنظر عقيل في وجه مدوح فقال مدوح هي ابنا الهيا فلعلك تنف على ما ثبتت قولي لديك
 فقاسما ودخلا المدينة وجلسا عند أحد التجار فاذا ركبان قادمون برأيت البشر وبأيديهم
 رقاع يفرقونها على التجار فناول أحدهم رقعة الى التاجر الذي جلس عقيل ومولاه عنده
 وكان التاجر أميا فأعطى الرقعة لمدوح فاذا هو اعلان ومضمونه نبشركم يا رعايا بابان
 القصور الاربعة قد تم بناؤها على أحسن حال وانهم يحتاج الى الزخرف والزينة فكل من
 كان عنده متاع نادر الوجود يليق بمنازل الملوك فليحضر به والذي لم يكن عنده شيء من
 ذلك فليحضر وائمة حسن الختام وقدرت بها اللذوات الشاهانية قصرين وللانجال
 السلطانية قصرين فجهلوا بالحضور لتماوا الفوز بالجور فكاء عقيل أن يمزق الرقعة
 ويدرسها من شدة أسفه على مولاه وصار يتأمل في وجهه لانه مدوح الرقعة ولم تتغير فيه
 حالة بل أبدى البشاشة قائلا بارك الله فيهم مالا يحاسبهم ما وجعل تمنع نصيبا لاربابهم

فتبدل كرب عقيل بالانيساط ثم أخذ مدوح بيد عقيل وصار الى مخدعهما فلما غابا عن
الناس انكب عقيل على أقدامه قائلاً أحييت عبدك بما أبديته من العفا بعد ان كان
قلبه قد شفا فتبسم الفتى وقال أمامه ذبيبي فنصحتك وأما تأديبي فنحسن خلقك
وحتى أنا ان أوالى هذه القبل لاني ان لم أكن لحقوقك شاكرًا أكن معاذ الله بنعمة
الرب ~~كافرا~~ فضمه عقيل وقال عزيزي وحقك لو أمكنني لجعلت من قلبي غذاءك
وروحى من كل سوء فداءك فصار كلما ينزل المدينة يجد الهممة في اجتماع البضائع الثمينة
الغريبة وتأتى بها أصحابها وتعرضها على مدوح لما رأى واقفه من الحذاقة والمعرفة وهو
يفرزهوا ويقول هذه تليق بقصور الملوك وهذه لقصور الانجال الكرام فيخفق قلب عقيل
خوفاً عليه من تأثير الحرص على متاعه وانحراف صحته من المكاييد وصار يقول في
نفسه الى متى أرضى بمكاييد هذا المصون وان تجلد بالصبر ولازم الامتثال بالجبر فلا
يسعنى الا البعد عن هذه الاقطار ولكن جنس النقود مفقود فكان عقيل متفكراً في
أمره حتى حان الغروب وصار الفتى في منزله ما وتأخر عقيل لجلب الطعام فجلس مدوح
في المخدع ينتظره وكان بجواره خربة فسمع فيها أنيناً فقام واتبع الانين فاذا به فتى مطعون
بالسلمة وهو على آخر رمق فأسرع مدوح بالماء وسقاه وغسل وجهه فاستروح الغلام
وسأله عن خبره فقال أنا ولد سيد قبيلة العربان وكنت ماراً بالليل فلاقى أنخصام أبى
فجردوني وضربوني بالسلاح حتى انقطع نفسي فظنوني ميتاً فتوابنى ورموني في هذه
الخربة فاذا أردت اتمام صنع جيلك فاذهب الى أبى وبشره بحياتي وهو بالوادي الغربي
وبينك وبينه يوم وليمة وان شاء الله سيكافئك بمهر وفك ويأخذني فرجع مدوح الى ماواه
فوجد عقيل قد حضر وهو في انتطاره فقص عليه خبر الغلام فقام معه عقيل الى الخربة
وجلس الغلام وأتى به الى البيت وتركه مع مدوح وذهب هو لوالده وقص عليه خبره فشكر
فضله وقدم اليه بعير يحمل زاداً وأتخذه بمائة دينار وقدم معه بعشرة رجال من قبيلته
وأخذوا له فسر عقيل بالدنانير والزاد والبعر سروراً جزيلاً وقال سيدي قد حفظنا لطف
المعبود وستنال بعونه كل أمل ومقصود قد اشتقت منذ أيام الى ان أنقذك من هذه
الاقطار وما كنت أجد الى ذلك سبيلاً لخلق كفى من كل ما يحتاج اليه من أدوات السفر
قال مدوح أحمده الله الذي ألهك هذا الخياط لاني مشوش الفكر وأخشى أن يزداد على
القهر لما أرى فتري منى علامة انقباض فتغير بعد ان طاب خاطرك بجلادتي على ما لقيت
وانشرح صدرك بجسارتى ورضائي في كل ما رأيت قال عقيل نقصد الساحل في غد وأى
سفينة نزلنا بها التوجه الى أى بندر كان فلما أصبحها جلا بعيرهما وقصدا البحر فاذا بسفينة
عازمة على الشين فسلمار رئيسها أجرتهم ما وتزلا بيعيرهما حتى وصلا الى الشين ودخلا مع
الأصحاب وقطنابين أغراب وأحباب فلما طاب المقر واعمى عناء السفر قال مدوح قد
راق لنا الحال واستقر خاطرنا وقد تركنا بهرام طرياً بحال برية فليت شعري ما تم له قال عقيل

نعم أعرض على المسامع المنبفة انه مازال طريحا جريحا حتى لاح عليه الفجر وحنه الصبا
 بنسبه فانتعشت روحه وانتظم نفسه فاستند الى حجر وصار يسأل المارين عليه في
 شئ يستتر به فحس على دله أحدهم وألبسه ثوبا ورأف به آخر وأركبه حتى أوصله الى منزله
 ودخل ورقد أياما والحرم يبكي عليه وهو ملق لا حراك به فلما حان وقت وفود التجار
 قام قيم الحان بنفسه وبسط فراشه حتى هبأه كما يجب وقدمت التجار من كل حدب
 وكانت نخوسة تتلظى بحب فرهاد فاذا به أقبل مع تجار مصر وكان أعظم قادم فلما سمعت
 به طارت فرحا ودخلت على أخيها وقالت قد شرف أرضنا مولانا فرهاد قال بهرام الحمد
 لله يحضر صلاة جنازتي أحد من أهل وطني ثم يوصلكم الى بلدكم وصار يبكي فقالت
 ما يبكيك قال لو نلت جائزتي ولم أبل بيهذه المصيبة لجعلت لقدومه وليمة في هذه الليلة
 قالت ليس هو محتاجا لوليمتك وصممت ان تدس الخبر اليه لينال هو الجائزة فلما كان
 الصباح تهبأت وقدمت عليه وانتظرت حتى خرج من حرمه وقبلت يديه قال من أنت
 قالت محسوبةك نخوسة أتيت لأعرض عليك نكول أخى ونخذ لانه لقلة ادراكه وعقره
 وتذكر أنت المسئلة لتخطي بما أنت أهل له من النعم وقصت عليه الخبر ثم قالت الراى
 رأيك السيد انما أريد ان تهبأ بلباس الاقطاب وتذهب الى البيت فلا يشك الملك بانك
 هو فيساق اليك الخبير كاه فقهر كاه طمع فرهاد ونمكس حبه امنه وقال نعم قولك لو كان
 أهلا للخير لا خذتها وسلمتها اليه وقلت هذه جائزتك انما هو مشوم بالحركة ومنزوع
 البركة ألم ترى كيفية هتى واكتسابي فان رأي وعزى يسوقاني لسكل نجاح وادراكي
 ورشادي يوالياني لسكل فلاح قالت نعم سيدي أعرف ذلك وأنا وحق ايهتك كرهت
 عيشي معه فان طاب وقته بنفوسك وهبت نفسي لك وصرت بينكما والابتراءت عنه
 ولا زمت خدمتك بالسكينة قال فرهاد وأنا رضيت بهذا الراى فكنت فرهاد أسبوعا حتى
 ارتاح من سفره ثم أمر غلامه أن يذهب ويشتري له كسوة المشيخة فجاءها الغلام
 ونهبأ بها فرأته السعادة فقالت الى أين وما هذه الملابس والهيئة أحامت حولك النخوسة
 وامتلأت لامرها فكيف تخرج بم هذه الهيئة امام خدمك وترضى انحطاط شرفك
 وتقبل خذلان همتك ألم تخش عاقبة أمرك ادا شاعنك هذا وانت غريب فيتجنبك
 كل أريب وقريب لان من غير هيئته أضف هيئته وقد قال زعماء الصواب لم تتغير
 الهيئة الا بارتكاب أخى ما لذي لقيه بهرام الصادق الصديق الخير الشفيق من
 صهيته المنحوسة ومما شاتمها المكوسه ألم تركيف أبطلت عوامل صداقته وبراعته
 وحيلته فعلام تكفر انعم عيشك الرغد وتعاهد تلك المشؤمة بالصحة وتعود ألم تعلم
 اني لم أجمع معها في منزل قط واذا فارقتك تندم على ما فرطت فاغتاف فرهاد وقال
 على ما أئدم وأنى لي الندامه وبكف هتى عمان لرجع والسلامه فاستمن يصى لقول
 العاهرات ويكثر بحديث العاهرات فاذا امثلت كنت لك ولها والا كوني لمن

تسائين وأنا لها فضضكت السعادة وقالت والله ما الطرد والاقعاد يبيدك بل الامر لصاحبه وقد عن لي ان الادبار سيلتفت اليك وستدمغ علامته بين عينيك **في** وقد قالت التيمورية في أمثالها **في**

ان تم امر ما مراقب يافتي * نقصانه عنما قليل وانتظر
أخى ان الفلك برج يدور فلا حزن يدوم ولا سرور فان قدمت عليك النخوسة فعليك منى السلام ومد فارقك وانقطع الكلام ثم قامت الى حجر تم ولم يكثر فرهاد بقولها بل قام بتلك الهيئة وقصد ذلك البيت كما عرفتته نخوسة فوجد مغلو فاجلس على مصطبة وكان الملك يرسل كل يوم من يبحث على وجود الشيخ فجاء أحد الغلمان فرآه جالساً فكر راجعاً وأخبر الملك فقام بنفسه وقدم عليه هو وكلاؤه ووزراؤه وقبله بين عينيه وأخذه الى القلعة وقال سأشكر فضلك ما هب الصبا واستخيرك فيمن ترضاه للصاهرة فضحك الشيخ وقال حتى أفاوض رجال الغيب فتناول صرة فيها ثلاثة آلاف دينار وخاتم من الجواهر مرموق وبطرفها وقال لك مثلها كل عام وهالك مفتاح البيت * وكان فرهاد يجمل بالقيام حذراً من التأمل في وجهه فقال الملك متى تزورنا قال بعد أيام قال وأين مكثك قال بين الجبال والكتبان ثم أخذ الدنانير وخرج يقول أكل هذا الخاتم والصرة يليقار بذلك المكموس فلا يساق الخير الا لاهله وخرج من عنده مسروراً بما لقيه فاجتاز من طريق البحر وعدل عن الطريق خوفاً من ان يراه أحد او يتبعه وكانت مسافته طويلة فجلس يستريح بالساحل فعن له أن يغسل وجهه فتقدم وتناول المياه من البحر فلما طأ طأ وقعت الصرة والخاتم مربوط بها فغاب عقله وطار قلبه وبهت ساعات لما لحقه من النعم والاسف ثم يئس وقام الى منزله خائباً فتسريل بالغمكد وعرض حزناً من شدة طمعه لانه لم يذق قبل ذلك حسرة الخسارة فلما أفاق ونزل من الحرم أتته نخوسة وقالت لا بأس على مولانا كادت روحى ان تغديه لما سمعت بانحراف من ارجه فقص عليه الخبر الذى تسبب في مرضه قالت لعنه الله على خيبة بهرام لحقت سيدي فأدته الى الأسف الشديد وجعل الله تلك الصرة فدية لروحك ومالك

في أول هلول السعادة **في**

وكان فرهاد من دهشته على المال نسي المفتاح في الجيب فلقيه السعادة فاحذته وقدمت به على بيت بهرام ووقفت على بابه حتى مر عليها أحد العواد فقالت سلم على بهرام واعطه هذا المفتاح وهو يعرفه فدخل العائد وأعطاه لياه قال بهرام ليت شعري ماتم للملك حتى فرط فيه فلما أخذ المفتاح صهم على النقل الى ذلك البيت واكثرى دابة وأخذ الحرم وصار اليه وفحه ودخل فاذا فيه اثاث كثير وطعام مدخر فسرمر وراعى ما وانتشق ذلك النسيم الصافي فطابت نفسه وشفيت جراحه فخرج يوماً يستنشق الاخبار فرأى

الاستبشار في الناس وسمع بالثناء على الشيخ حيث رضيت ابنت الملك بالزواج بكرامة فسال
 أحد الممارين فقص عليه المسئلة تفصيلا فاستغرب وصار يقول ترى من صادق ذلك
 السفر الحاضر من السعداء ورجع وأخبر الزوجه فسمعت نحوسة فقالت كفاك هذا
 البيت بما فيه جائزة ولا تسأل عن الظير بما يوجد ذلك السعيد فيأخذ منك البيت أيضا ولم
 يمكنك اثبات نفسك وكان مرادها التحذير عن التفتيش لئلا يتضح كذب فرهاد فيفتضح
 وتؤخذ منه الجواز فقال أبيع البيت وأرحل إلى بلادي قالت حيلة لم يكن لنسابت
 في بلادنا وقد ملكت صحتك فيه قال أأنس صاحبي وأزواجي جياعا وأتنزه أنا فسمعت
 نحوسة فخرنت على فراق فرهاد فسارت إليه وأخبرته وقد خامر قلبه حبها فقال حيث
 ملك صحتك أخشى وجوده في هذا البلاد ولا أريد بمادك عني فانا أحضر صاحبك وحرمة
 لتكوني بينهما وكيف يكون خروجه هو قالت عليك حضورهما وعلى أن أخرجه أنا
 وانفقا على ذلك وصار فرهاد يتأسف على امتلاكه هذا البيت ويقول كان مضاعفه معي
 وخلته وقع مع الصرة فن دال الذي أداها إليه ولكني أحضر له المصاحب والحرم حتى أبيع
 وأتبع وتكوني معي ثم أرسل فرهاد إلى مصر لأحد التجار فجهر بهم وأرسلهم بخاءت
 نحوسة وقالت كم أسعى لكم بخير وأجازي منكم بسوء أخبرت سيدي فرهاد فأمر بإحضار
 الحرم والمصاحب على طرفه نظر الوجود صحتك ففكر فضله فدخل فرهاد حرمة
 وحكى نظيانه وصار يتأسف وتأسف هي معه وتقول من أطل المفتاح لهذا العيس
 فسمعت سعادته فقالت أما تكفي بالدينانير والخطام أنا وجدته وأرسله له لعدم لزومه عندك
 فاعتناظ فرهاد وقال حق لي النفور عنك قالت لا أسف لي على نفورك حيث أتى سعادته
 والأسف لك حيث أن نحوسة مالت إليك قال وما العائد على من نفورك أأهباك
 أموال ومنتاعى الذى استرجعته بكرامة عقلى ورشادى فضحك وقالت طالمساب
 الغرور والكفران أنعم مثلك وستعلم قوة رشادك وثبات عزمك اذا زالت عنك النعم
 وغشيك كرب النقم فلم تمر مدة يسيرة حتى حضر الزوجان والمصاحب وأما البلاغة
 فقد توفيت فدخل عليه الصبر وعانقه ثم جلسا فقال انى أجده نعمة عرف السعادة بوجود
 هذا المنزل ووجدان كل محتاج اليه فقص عليه المسئلة قال قرب وحق صدقك أقبال
 وقتك فلو واحدها لقلت انمى ادبارك وماد لك عليه بعزير فلما دخل بهرام محمل نومه
 جاءت نحوسة إلى شطارة وقالت قد جرب زوجاته في كل أسفاره ولم يعتب بك فلو أخذك وسار
 للحق ابن الملك واعلمه برضاء ابنة الملك معشوقته وأخذ من الجائزة مالا حساب له فدخلت
 عليه الشطارة وقالت لو كنت محسوبة من الروجات لجربتنى مادا عليك لو لحقت ابن
 الملك وأعلمته برضاء محبوبته وتكون لك جائزة نيله قال نعم ما أشرقتى وصمم على ذلك فلما
 كان الصبح أخذها وتوجه إلى الجزائر وترك الحرم والمصاحب في بيته وسارا حتى
 دخل الجزائر فسأل بهرام عن ابن الملك فقبل له قد زاد مرضه فاغلظ على أبيه وخرج إلى

البحر وسافر الى الصين فعلم بهرام انه قد اُحصى مدة وعده اياه فلما حانت لم يمكنه المكت
 وسافر ليلقاه فكري بهرام راجعاً الى الصين ومدة السفر شهران فدخل المدينة وأرسل
 الزوجة الى المنزل وقصده هو ذلك المغار بعشمة انه في انتظاره فوجد بالفضاء مشاعيل
 كثيرة وطبولاً تضرب ووجد اثنين متعانقين فأسرع المثنى حتى تقدم اليهما وأمن
 النظر فاذا هو ابن ملك الجزائر مع صاحبه فرهاذ فهورى الى الارض قاعداً فربه رجل
 فسأله فقال هذا ابن ملك الجزائر صهر ملكنا وهذا شيخنا الاجل الذي تسبب في رضا
 ابنة ملكنا وانتخب له هذا الصهر فزوجه اياه فأسودت الدنيا في وجه بهرام وكان
 السبب في ذلك ان الملك لما باع منساة في رضا ابنته بالزواج آلى على نفسه انه لا يزوجهما
 الا بدلالة الشيخ فلما انقطع الشيخ وطال الانتظار قلق الملك ووزراؤه وكان الشيخ قال له لما
 سأله عن مرأته انه يأوى الى الجبال والقفار فصار يجد في البحث عليه وجعل لكل من
 دله عليه ألف دينار فطاق ينادى في المدينة بذلك فسمع فرهاذ فظن ان بهرام قدم على
 الملك بآب ابن ملك الجزائر وأخبره بحقيقة الحال والبحث عليه للمعاقبة وأخذ الجائزة فدخل
 على السعادة يبكي وقال أغثيني من هذه الفضيحة فقالت وتعرف قدرى قال نعم قالت
 اتسم بسمعة الزهاد وأنا أسوقك لدرك كل مراد فترياً وخرج وهي تسوقه حتى انتهيا الى
 الغار المعهود فقالت اختفى هنا وصارت هي تريض فدخل فرهاذ فاذا هو بآب الملك
 وهو ينتظر شيخه بهرام على حسب الوعد فلما رآه الفتى وقع على أقدامه وقال أغثني
 بهمتك وبشرني بعام من كرامتك فأدرك فرهاذ المسئلة فبادر بقوله يا لها من بشارة
 أيها الصنو العزيز قد رغبت في الزواج وأتيت لاخذك لعقد الاملاك وقال في نفسه أقدم
 به على الملك ويتم سروري لان ذلك المعكوس لم يصل اليه فطابت نفس الفتى وامتلأ
 قلبه سروراً وهمة فأحذه فرهاذ ونزل به الى الصندل واغتسل وتعطر وقدم به على أبي
 العروس فلما دخل به عليه قام الملك على قدميه وقال استاذى أنا أبحث عليك منذ أيام
 لتداني على صهر موافق فضحك فرهاذ وقال قد جئت بك به وهو هذا العزيز ابن ملك الجزائر
 وانما أتيتكرا حذراً من عدم الرضا فاذا وقع التراضي أتى بكل ما لزم من مملكته فعانقه
 الملك وقبل بين عينيه وقال وحق فضل كرامة شيخنا لا كافه بادني شيء بل أقوم أنا بالنيابة
 عنه وأمر برفع رايات الافراح وزفاف العروس اليه ومكث أسبوعاً لا يخرج من الحرم
 وقد رتب الملك موكباً عظيماً صهره فلما خرج لتقبيل يدا والدها أمر الملك بحضور الموكب
 وركب الشيخ والعروس وطافا بؤكهما فلما أداهما المطاف الى ساحة المغارة ذكر ابن
 الملك أيام مكثه فيه وملاقاة شيخه به فترحلاً للاستراحة فصار ابن الملك يعانق فرهاذ
 ويقول بارك لي فيك ربي حيث كنت سبباً لتقاضي فصادف دخول بهرام في تلك
 البرهة فرأى ابن الملك والشيخ متعانقين فسأل أحد الناس فأخبره كما تقدم فصعد على التل
 وصار يحثو التراب على رأسه ويقول واخيبتاه وكانت نحوسة تعزیه في حاله والسطارة

تبعك على خيبتها معه فقال للنخوسة قد ذهبتى صعبتك فذهبتى واذهي عني والسطارة
 أيضا فلا حاجة بهامع وجودك معي وخلياني ألق وعدي وأبت خزي إلى عالم السر
 والخفيات والبيت امامك وأنا أقدم عليك بعد فراغي من شغلي الذي أنا فيه فسارت
 نخوسة وشطارة فقالت شطارة النخوسة قد أبطلت عملنا ونخبت أملنا وظهرنا من
 صعبتك ولم ندرك كيف الخلاص منك فاعتناظت وكانت تقرب وسيلة لتخلصها من بهرام
 ولحقها بفرها فقالت سبحان الله أسعى لكم بكل خير وأنا عندهم كم مذمومة ولم أدر
 ما الذي جبرني على صعبتك وحق جبري لم أعلمه وإني لا أذهب معك ولا أدخل بيت بهرام
 مهـ ما عشت أبداً إلا بآب وسأذهب إلى من يرغب الفتى ويدري بقيمتي وانفصلت منها
 وتوجت نحو فرهاد وكان بكشك البستان مع ابن الملك وبعض من العلماء قد دخلت
 النخوسة عليهم ونادت على فرهاد وأعلمته بالقصة فقال هذا الذي كنت أنماه وعقد عقدها
 عليه في الحال وبعثها إلى بيته وكان قد ترك السعادة في القضاء ولم يسأل عنها لما كان الليل
 صار إلى ذلك القضاء وقال لها اسمعي ما أقول قد ذهبت الزوجة الجديدة إلى منزل زوجها
 فما قولك قالت تفضل قد كنت لك بأمر من أدار الفلك فما قصدت طريقاً إلا وكنت عن
 فيه سلك وقد تم أمرك وأقعدك الدهر عن الأمل وأحبط منك العمل ورقص
 امامك الغرور فأنت في طغيانك معذور وقد قالت التيمورية في أمثالها

مادام دهرى بالسعود يؤمني * فكأل سعدى بالسيادة قد ثبت

وأنا وراه ومقلته امامه * بالوء عتي ان ضل يوماً والتفت

فاذهب فلست لك بعد ذا فان طاب لك الوقت يا حبذا فصارت فرهاد نحو العروس
 وقاده الغرور والخون ولسان حاله يقول وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وأما
 بهرام فصار يبكي غداة ومساء حتى نفذ نفسه فقدمت عليه الصداقة وقالت سيدي لك
 البقاء قد توفيت حيلة في غيبتك وتشاجرت شطارة ونخوسة وقد أقسمت أن لا تدخل بيتنا
 والسطارة تريد طلاقها منك قال وقد فعلت ولم يبق لي من الزوجات خلافاً قالت وأنا
 لا أفارقك إلى الممات قال جزاك الله خيراً ففتوجهي وأنا لاحق بك فصارت إلى البيت
 وتأمل بهرام في حالته وقال ما الداعي إلى هذا العيش النكد فأن الله يعلم بضمي وقهرى
 ويشهد بياسى وعذري وقام مسرعاً إلى البحر وقال اللهم اني أسألك برفعة جاه نبيك
 المخصوص بالسيادة أن تغفر لي وتجعل آخر كلامي الشهادة وقذف نفسه فيه فعلته
 المياه حتى غاب عن وجوده ومكث ما مكث لا يدري ولا يعقل ثم أفاق فاذا هو في سفينة
 عظيمة وحوله ناس كثير ورأسه على فخذي طبيب وهو يقطر له مقطر العنبر فظن مخاطب
 نفسه وقال اني لك يا بهرام بهذا العز والانعام فرام أن يستقيم على قدمه فاذا أعضاؤه
 قد دبست من الغرق فزال الطبيب يابن عروقه بالادھنة حتى لانت وانفك تشنج أياديه
 فوق من كفه فص أزرق كان كبشه مع الرمال فلما رآه الطبيب صاح قائلاً وجسدنا منيتنا

فجزاك الله خيرا وهاج من بالسفينة وخرجوا مع الطبيب الى الساحل وقالوا بهرام
 دونك وما فيها من اللباس والطعام حتى نرجع وصاروا حيث شاءوا فصار وحده فتساند
 وقام يمشي فأحس بثقل شيء في صدره فادخل يده وجسه فاذا هي الصرة التي وقعت من
 فرهاد قد قذفها المياه داخل ملابسه فجلس يتأمل في وجود الصرة ويتفكر في خروج
 أهل السفينة والليل سادل أسناره فاذا بنور بلوح وعطر يفوح وقد بان له عذراء
 مائسة القد عنبرية الند وهي تخاطبه بقولها عزيزي لا راعك الله بهشبه ولا
 أفزعك بوحشه قال سلام عليك مني ملاح القمر وأهيج بنور البشر فقام بهرام على
 قدميه وحباها بأعظم تحية وقال مولاتي أدام الله ظليل سنالك لكل حبيب وأجرى
 رعا عشتقتك على كل غريب ان وافق الارادة أن تنعمي على العبد عن هي السيدة والى
 من تنسب الجيدة فتبسمت وقالت كنت شقيقة لفرهاد واسمى السعادة فلما قدمت
 نحو سستك عليه فارقت وأقبلت عليك حيث انى لم أطأ أرضا غيرت بظلامها ولم أدخل
 روضا أطعم بوجودها وقد جفت لصحبتك بأمر من جلى من الشقاوة لوح ناصيتك
 قال مولاتي وأنا عبد رقيق لك مادمت حيا انتشقى من طيب محبتك أرجو ريا قالت بارك
 الله لك في اقبالى عليك وقرب كل ربح اليك ثم دخلت مقعد السفينة المعبد المحرم
 فتبصر بهرام في حالته وقال كيف أتقرب من أنس سيدتى وأنا بلا بس رثة وقد أجازتني
 خدام السفينة بالتمتع بما فيها فقام ودخل أحد القهمرات فوجد بها الصناديق ففتح
 صندوقا منها وأخذ خلعة عظيمة ثم اغتسل ولبسها وغسل ملابسه ونشرها وقال
 اذا طال بوني بكسوتهم لبست ثيابي وأعطيتهم متاعهم ومكث يستظل بأشوار السعادة
 ثلاثة أيام وكل ما هم بالتوجه الى بيته أمرته السعادة بالانتظار فلما كان اليوم الرابع
 أقبلت خدام السفينة عليه وبينهم رجل افرنكي فترلوا فيها وصاروا افرنكي يقبل يديه
 ويقول بأى مكافأة أقابل حسن صنيعك قد تعلم يا سيدى انى ملك افرنك ومنذ بليت
 بكف البصر وأرشدتني الحكاء أن لا شفاء لعينى بدون هذا الفص وأنا أحرر لكل أرض
 اعلانا للبحث عليه والاطباء يقولون انه يوجد ببقعة من هذا البحر ولى عام في هذه المدينة
 متنكرا انتظر اغاثنى به فلما من على الله بوجودك وأخبرنى الطبيب بانك أشرفت على
 الهلاك حتى تحصلت عليه علمت بالقرينة انك رأيت الاعلان واهتمت فى البحث عليه
 حتى وجدته وقصدت به سفيتى ومازلت قابضا عليه حتى أفقت وسلمته الى الطبيب ولم
 تبدله شيئا لان عقاد لسانك ولعلك انه يدري كيفية الاكتحال به فأرجوك أن تقبل منى هذه
 السفينة بما فيها وهالك ألف دينار ولك كل سنة مثلها ما وانى أستودعك الله ثم قبل بين
 عينيه وصار الى بلاده فقام بهرام وتوضأ وأدى سجدات الشكر وأمر الجماعة بانتظاره
 وتوجه الى منزله فوجد الصاحب فى انتظاره فأخبره بما نال بروحانية وجود السعادة
 فتهلل وجهه بالسرور وقال الحمد لله الذى أبدل عنالك بالهنا وشهدتك بالخافسع الآن

كما تشتهي فان سعيك بالنيل مقرون وبالفوز مشغون قال اني قد عزم على السفر
 قال نعم قال فكن معي انت والصدقة حيث لم يكن لي سواها قال الصبر والله لست
 محتاجا الي غيرها وكان بجواره رجل فقير فاسكنه في بيته بلا مقابل وأوصاه بالاقامة حتى
 يعود وخرج بالصدقة والصبر وحل الراي الى الهند ثم التفت عقيل الى مولاه وقال
 تأمل سيدي في بدائع الاطاف حين اقبل السعد كيف نال بهرام حظه بلا تعب وحسبك
 ان كان يدري أن الفرق يعقبه السلامة أم كان يعلم ببقعة الفص وخاصيته أكان
 يعرف ذلك الا فرنكي أوراى اعلاؤه وعليك التأمل أيضا فيما قاله الا فرنكي وفي فهمه
 حيث ظن انه رأى الاعلان وصار يصيح على الفص ولما وجد قصده السفينة وصار
 قابضا عليه حتى سلمه الى الطبيب والحال أن القبض كان على الرمل من حال الفرق فقديين
 لنا التمييز ان لحظ مساعدة السعادة يبدى كل نجاح ويسوق كل فلاح وقد أحاط علمك
 سيدي بسعيه السالف وكده التالف فسي من بلى بالادبار اديار مركب ولزمه برجمة
 الخيبة باب مجرب قال بمدوح وحق عزتك لقد نلت حظا وافر ايسعد بهرام حتى تحيل لي
 اني أنا هو وكنت أجد بغيري حلاوة عاقبة صبره وتصورت أن سطوة السلطنة ردت الى
 وزال عني الغم والقلق بعناية رب الفلق قال بمدوح أكفك يا نصوح بنديذة من
 حديث ذلك النقط المعرور وهل رأى لما رآه بهرام شيئا من الغيظ والدحور قال عقيل
 أعرض على المسامع المنيفة انه لما صار الى منزله وزعم انه نال المنايا ملاك محبوبته واختلى
 بها أشارت اليه ببيع جميع البضائع وجعلها نقودا خالصة ولما يرجع الى بلده يترهب
 عقار كل مديون وضياح كل مظلوم ومحبون فيأخذها بادي قيمة حتى يصير من أكبر
 الاغنياء وأنقر الامراء ثم ينتقل من درجة الامارة الى رتب الوزارة فيتقرب من
 السلطنة ثم يجذب قلوب الجند بالانعام فيميلون اليه ويتوسلون بوجه يجوز به خلع الملك
 أو موته الى أن يتولى السلطنة فسر بذلك وساعده الخوارج بضاع بصائعه وضم مبالغها
 على نقود جوارحه فتضاعف المال فقالت نحوسة أروم أن أنفج على بلاد لم آرها
 وأنا مشمولة بشرفك وتجعلها تريضاً وسياحة وخرجا على ذلك الراي وأما بهرام فما زال
 على سفره حتى دخل الهند فرآها بنسدر أعظم من خضرة الاشجار ملونة الاثمار عالية
 القصور زاهية السرور لكنها خالية من السكن فكث على ساحلها ينظر مرور
 أحدياً تنس به فلم ير أحدا فلما اقبل الصباح اقبل صياد بصندل فنادى عليه بهرام
 وناولته ديناراً وقال صدى به سمكاً وفرح الصياد وصار يصيده بكل نشاط فقال له
 بهرام ما أطيب مدينتكم غير ان سكانها قليل فضحك الصياد وقال سيدي ان ملكنا ذو
 سياسة ورئاسة وله جواسيس شتى بالمداثن يسترقون السمع ويعرضون عليه الامور
 وقد أخبروه بان قافلة من الجعم قد ساقوا شيئا من الخرج و جاؤ به على سبيل التجارة لياخذ
 منها الملك ثم حاشية دواته ثم تباع للاهالي فيقتل هو وكل من تناول منها شيئا وملاكهم

يتربق الفرصة بجنوده فعند تمام المسئلة يقدم ويأخذ ملكا بدون حرب ولا ضرب
 وصموا على دخولهم ليلية الجمعة فذهب الملك وجنوده الى البر الشرقي منذ أيام وهم
 يحفرون انما ويحشونه بالبارود في عمر تلك القافلة فاذا دخلت ودانت الدواب على ذلك
 اللغم خرجت عليهم النار وأحرقتهم ولم يكن لنا في اتلافهم مدخل لان ملك الجهم ان علم
 معلومية ملكا بدسيسته توصلت العداوة ووجب الحرب فهذه السياسة تم تلك
 أخذنا وتسلم نفوسنا وقد تم اعمال اللغم في هذه الليلة وفي غد ستري العمار كما يجب
 فقال بهرام اللهم سري بسلامتهم فلما كان نصف الليل سمع بهرام صوت البارود وصياح
 الرجال والدواب فقال لا يحق المسكر السبي الا باهله فلما طلع النهار رأى الناس غمرا جاعة
 جماعة ويهني بعضها بعضا بالسلامة فتأهب وصمم على مقابلة الملك وخرج الى الساحل
 ورأى شخصا من الاعاجم وقد تحرقت ملابسه ولحيته واسود وجهه وهو يشرب من
 البحر ويبكي فقال بهرام ان وجدوه قتله فانا أخفيه في السفينة فلحق به وأخذه معه وقال
 لا تخف توار عندي فأنزله عنده وغسل وجهه بيده وتأمل فيه فاذا هو فرهاد فصاح الله
 أكبر مولاي ما الذي قرنت بك قافلة الاعاجم فبكي فرهاد وقال اعلم يا أخي اني رأيت وفرة
 النقود فقلت أترى بالسياسة ثم أعود الى بلدي فدخلت المدينة ليلًا ولم أرى
 البيت خارج البلد خوفا من اللصوص فدخلت فاذا بنارتا جيت من تحت أقدام الدواب
 فاسرعنا بالسير للتخلص منها فكامرنا زاد النأجج وارتفع اللهب حتى احترقت القافلة
 عن آخرها ولم ينج منها الا أنا والحرم ولم يبق لي وحق جبرتك ما أنقوت به ويستعورني
 وتركت الحرم بين الصخور وجئت الشمس القوت واللباس من أهل الخير قال بهرام
 سيدى أنبت الى محلك ومالك وأخذه ودخل القمرة وغسله غسلا جيدا وأطعمه والبسه
 وحكى له ما سمع من الصياد قال فرهاد اعلم يا أخي ان الاعاجم كانت قافلتهم مع قافلتى وهم
 صموا على الدخول ليلية الاحد وأحبوا الاستراحة يومين بالضواحي قال بهرام أنا اذهب
 الى الملك وأعلمه بالمسئلة وأعرفه بظلامتك وأخذك معي فان كان منصفًا عوضك
 الخسارة وان لم يصدقني لجهله بخلقى لاني غريب فهذه الدنانير نصف لي ونصف لك
 وطابت نفس فرهاد ثم صار بهرام الى الملك فقابله باحسن مقابلة وأضافه ثلاثة أيام فلما
 كان اليوم الرابع قال بهرام أحب أن أسمع الملك أصدق الخبر ليحترز على مملكته ويؤجر
 بالشواب فقال الملك وأنا أحب أن أسمع ذلك فقص عليه الخبر وأخبره بدخول الاعاجم
 ليلية الاحد وظلامته فرهاد فتأثر الملك على فرهاد وأمر بحشوا اللغم كما كان فحشوه وردوا
 عليه التراب فلما كان نصف الليل خرج البارود وتأججت النار من بعيد وسمعوا ضجيج
 الاعاجم ففرح بهرام فلما كان الصباح وجدوا بعضهم قد تخلص حيا ونجا من الحريق
 فقبضوا عليه وقرروه فاقرب تلك المكيدة فالتفت الملك الى بهرام وقال جزاك الله يا أخي
 عن خير الان سلامتي وسلامة رعيتي جعلها الله على يدك لا سيما أجرى بتعويض

خسارة ذلك الرجل المظالم وأهداه بأربعة آلاف دينار وقال أتني بذلك التاجر
 لا طيب خاطره بالتعويض فشكروهم رَام احسانه وقدم مسرعا الى السفينة ليشرح
 فرهاد فاذا به قد أخذ كل الدنانير وذهب فخرج بهرام وسأل الملاحين قالوا خرج بهمه
 توجهك بحمل شيئا تحت ابطه ونادى على أحد الصنادل وتوجه الى البر الشرقي ولم يدر
 أين ذهب فتأسف بهرام على حرمانه من التعويض فقال كنت أنا قلت له على ذلك حذرا
 عليه من الفضيحة قالت فسر مدوح سرورا عظيمًا وصار يتأمل في صدقة بهرام وصار
 يستغرب أخبار فرهاد بصدق خبر الاعاجم ونوسط بهرام في التبايخ من دون مشقة
 وأخذ الجائزة وذلك خلوص نيته وحسن سعيه لفرهاد وخيانة المذكور له قال عقيل
 أيده الله مولاي ألم يقل الله في كتابه العزيز فنكت فاعلمنا نكت على نفسه وقال تعالى
 ومن عمل صالحا فلنفسه فيجب على كل من تقلد السعادة أن لا يكثر بفوزها ولا يفتخر
 بعزها بل يجعل انقياده للتواضع وارتباطه بالخضوع ويحسن عماشاته مع الآل
 والاحوان بصدق التودد ويراعى من استحق المرافاة بمواساته من ذويه وجيرانه مع
 اتخاذ الجد وردا وعصا التوكل في الآتاء والاطراف مستندا حتى يتمكن من وداد ذوى
 صميمته ويثبت في أقدتهم مخلص محبته وهو متمسك بعروة الصدقة في القول
 والعمل مسفر عن حقيقة ما جاء في المثل اذ انار مصباح السعادة في أركانك فاجعل
 من ذلك الود الرأفة بجيرانك وخله وديعة لديهم فرعاطفا لريح مصباحك
 واحتجت الهم وقد قبل أيضا

أن أقبل الاقبال فافعل ما ترى • فخطاك والمفوات عين صواب

فالصواب ان يجعل السعيد سعيه في كل ما استحسنه العقول في كل معقول ومنقول
 ويعلم ان الثروة وليمة احبابه كما ان الشدة محك تحارب الازهار فان أدى في وليمة أو في
 الاكرام لمن زار بان له في الشدة اكسير الود خالص العيار فاذا انعكس الطالع جنح
 لمواساته وهو بمساواته وزجر واكل شامت فيه وغدروا بكل من يناويه لان
 الانسان مهما تحلى بحسن الاخلاق لا يخلو عن حاقد وحاسد ولا يسلم من مراقب
 وراصد قال مدوح نعم القول لمن تقلد بالاذعان وتغنى بالعرفان ولكن ان غلب
 الجهل حل عرى هذه الحقيقة وأبدل بالسموم رخاء تلك الحديقة فأسفى على أيام
 سافقت وأنا في أكف الجهل ككرة الاطفال لاسيما انقيادي لنفاذ أخس الرجال فياديه
 عقيل حذر اعليه من حرارة الاسف وخجله فقال سبحان الله يا مولاي أكنت في تلك
 الأيام في سن فرهاد وبهرام ألم تكن حديشامع فوالفعال قال مدوح قد عن لي وحقق ان
 الذي جلي مرآة بهرام بعديا سه قادر على أن يردني الى ملك أبي بقدرته ويريني نكبة
 هذين الخائنين بارادته فهو ذو البطش الشديد الفعال لما يريد وقد رأيت ان أودى
 سجدة الشكر بالنيابة عن بهرام حيث طاب عيشي باطمئنانى عليه وساعدني نسيم هذه

البادة فزكت نعشتي ووافق هواها حتى فان رأيت ان تسمح لي في الغداة ان أسج
 في لجة أسواقها وأمتع العين في غريب اشراقها ليركوص فاء قلبي وينجلي بسماع
 حديثك أثر كربي قال عقيل ان شاء الله وهو الذي يحفظك من كل ما أتوقاه فلما
 كانت الغداة عزما على ما صمماء عليه بالامس ودخلا المدينة فادابها أمتعة غريبة
 الهيات شبيهة الصفات قال بمدوح لو كان لي رأس مال لتبضعت في هذه الامتعة
 وشغلت نفسي عن كل أفكارها وأنعشها بما لا وة المكاسب وأملني بعناية الله وبعين همتك
 الرب وحسن السلوك قال عقيل لك ذلك انما يحتاج الى مدة يسيرة حتى نستوطن بها
 ونتعارف بأهلها فنقترض منهم نقودا ونجعلها رأس مال ثم نتداول في الاخذ والعطاء
 واذا كانت المعاملة بالصدق لا ترمي بالخطا وصار يترددان على التجار ويتعارفان
 بآرباب الخانات حتى تفقهوا في الاسعار وأحسنوا التودد بكل حبيب وأخلصوا اللفة
 لكل صاحب وغريب فكانا ذات ليلة بمفضل من محافل الاصحاب فاغدقت السماء
 بالمطر وزعم صوت الرعد وانهدر السيل كأفواه القرب ثم اشتد البرق والرعد ونزلت
 صاعقة فرجت الارض رجا وصارت الناس في دهش من فرع صوتها ونزلت على رأس
 الجبل فهشمت الاوتاد وقتت بفزعها الاكباد وطغى السيل واتهمر وصاحت الناس
 الله أكبر وما زالت تموج حتى بدا الفجر الصادق فسكنت شيئا بشيا وأخذت في القرار
 وتلا الناس وله ما سكن في الليل والنهار فاسرعت الناس الى منازلها واطمأنت على
 عيالها وأقبلوا على الملائكة منونه بسلامة نفسه وبلده فركبوا القوم حوله حتى وصلوا
 الى بقعة الصاعقة فاذا بها قد هدمت صخرة من رأس الجبل فصادف تلك الصخرة
 والصخرة التي سدت باب مغارة ذخيرة عقيل ففتتها وصارت جدا اذا وانكشف المغار
 المعهود فلما عين عقيل ذلك طار فرحا وأيقن بالفوز وعود السعد الى أصيل الحدود
 وما زال يكتم أمره عن مولاة حتى رجعت الناس واستقرت فكثت تلك الليلة ثم اسأذن
 مولاة في الغيب عنه يوما وليلة فاذن له فصار ويبحث على صندوقه فوجده كما وضعته يده
 فشكر وجده وأبتل حيث كان الادبار غطي على متاعه فلما محأ أوقات الحصار مكثور
 الليل على النهار جعل المصيبة فرجا للضييق والاصابة مخرجا لذكر ذلك الصديق فاحتمل
 يوما وليلة حتى صعبه الى باب المغار واستعان في شيله ببعض الفقراء الممارين للسؤال
 وأمدهم بما يرضيهم وكان البعير حاضر الخملوه وصار الى الخان ودخل به على سيده في
 ضهوة النهار فقبل الارض قائلا الحمد لله الذي من علينا وهذه بضاعتنا ردت إلينا وناولوه
 المفتاح فاخذه بمدوح وفتح الصندوق وهو لا يدري ما هو وما فيه فوجد الاكياس بختم
 والده العادل فاستغرب وقال كيف أقول أسرفت أم تقبعت يا عقيل وهذا الختام يقول ان
 المال مالي وما فيه من النقود من حرام مالي فتي يا شفيق ثملت بسليمان وعقدت
 اللواء على الجان حتى أتوك به من خزينة العادل بلا مطل ولا مقابل فجلس عقيل

على ركبتيه وقص الخبر عليه وقال اعلم ياسيدي اني في يوم عزيتي الى الشين كان
مرادى أخرجه وان اتخفك بما فيه وتنعم في غربتك كما تشتهي وأمسكت عن افشاء سره
اليك حيث كان الادبار شابا في عزمه مكا على يمنه وشؤمه ونخفت أن يكون سرق أو
نقب عليه فتضاعف لوعتك فاكون أنا السبب وأصير كالباعث على حنفيه بظلمه
فاستأذنت منك بداعي مقابلة شيخ فلما وجدته قد سد بالعضرة التي قد فتتها الصاعقة
رجعت خائبا كأبد الزفرات وقلت لك ان الشيخ قد مات وتذكرت ما قيل في المثل

سدت بصلب الصخر ان هي أدبرت * وبدون مس ذاب ان هي أقبلت

فيالها من اشارة نطقت الى مولاي بالبشارة فهذا وحقك أول ظهور اقبالك وهراعاة
صلاح حالك فقام بمدوح وعانق عقيل وقبل لحيته لما قرت عينه بمرآة الاماني وعبر له
عن مخبات المعاني وقال ما قولك يا نصوح في التجارة قال دونك والانتخاب فاي متاع
رغبت فهو عين الصواب قال تقصد انخرم وجود في هذه المدينة وأشهى مقصود لمن
رغب الزخرف والزينة قال عقيل عليك بشاه البندر لتجعله المستشار ونقبيل منه
ما استحسن واختار ثم أدخل الصندوق الى الخزنة وأحكم عليه الاقفال وخرج اقا صدين
خان ذلك المستشار حتى وصل اليه وعرض المسئلة عليه وقال عقيل ان مولاي غريب
وقد اتخذه في غربته خير صديق وحبيب وجمالك لصدق نصيحته خطيبا ولما جاد أمله
محييا وهو يريد الاستبضاع باعلى بضاعة نادرة الوجود في الموجود خفت في الجمل
وثقلت في الثمن لم ير مثله في العراق ولا في اليمن قال الشاه على العين والاحداق
وسياق مني مارام بعناية الخلاق لكني أروم الدراية برأس ماله لا تصور ما يليق بذلك
المقدار وأقوم باعداد ذلك من البحار قال عقيل رأس ماله بعون المعين يكاد أن يكون
معادلا لآخر خزائن الشين فكل متاع انتخبناه باستشارتك لا يخرج من عندك حتى
يساق اليك ثمنه بالتمام على حسب المرام حيث ان الغريب مجهول الانحلاق في
العهد والميثاق قال الشاه معاذ الله ان تقطف من شجرة اخلافا كما غرة الخطا والله
لا عطينكم متاعا لم تحظ به الملوك وهو عندي منذ سنوات متروك فتفضلا الى الخان
الكبير فقاموا معه حتى دخلوا ذلك الخان فتقدم الشاه الى مخزن مختوم بختم ملك
الشين فازاله فاذا فيه خمسة صناديق من حديد محكمة بالوثاق الشديد فبسم
التاجر وحل وثاقها واخرج المحافظ وهي من خشب الآبنوس المحلى بالذهب والفضة
ثم أسفر عن ذلك الجوهر الفريد وعقائد الدر النضيد والاقشة العديدة النظير من
كنخ ولاهور وحرير فلما رآها مدوح أعجب بها وقال تساق الى باسرها فارني أيها
العارف دفاتر الاثمان لا سوق اليك القيمة قال الشاه اعلم يا عزيزي ان هذا المتاع
في حيازة ملكا منذ اذخر عندي ولا يجوز لي ان أقوم فيه بالنصرف وحدي لان
اعداده كان لبوران ابنة ملك الجهم وهي خطيبة بمدوح ابن العادل قتيلا دهر خانهم

وهدم أساس بنيانهم وكانت رسالة العادل الملكا بطابعه بواسطة ندبته عقيل فالتزم
الملك بالتخاذه من اقصى البلاد ومهدده كما ترى فلما حصل ما حل بهم من الفقر لم يجد
من يقوم بدفع أثمانه ولم يمكنه من دفعه فمست الملك قيمته عليه وادها واتخذها ذخرا وجعلني
محافظة عليه فصار عندي الى الآن وكان بعون الله كأنه محفوظ لهذا السيد
السعيد باهر من هو فعال لما يريد فاطرق مدوح حتى كاد ان ينغمى عليه وصار
عقيل ينكئ على يديه كأنه نشط بوجود المتاع ويقول الحمد لله الذي أمدنا به على حسب
رغبتنا وأملنا ان نعرض على الملك مسئلته وتأنيبا لرقاع ونسوق اليك المال ونأخذ
المتاع في غدا ان شاء الله وبإذني القيام وما زال يهله بالبشار حتى وصلنا منزلهما فقال
عقيل لمولاي لم تأثرت الى هذه الدرجة التي أراك بها من وجود مالك الذي يشرك
وجوده بكل سعادة ألم يكن هذا توفيق الله اليك وقد أنعم برده عليك حيث حفظه
الى الآن في خانه وصارت قيمته في المغارة بحيث ان المتاع هو المعين والمال هو المقنن
ألم يكن هذا أغرب لمف منه فبأمل في سعادتك التي أمدك الله بها ومخوضك
التي كنت عليها قال مدوح لم يكن تأثري كفران للنعمة ولا انكار للمنة فحمدوا وشكرا
لله على كل حال وانما تغري لعطلي الذي كنت أشتي ان أنستغل به لاجل ان أتخلي عن
سوء أفكاري فكيف أبيع هذا المتاع وهو معد لعروسي وكيف يهون علي ان يتمنع غيري
وغير تلك المصونة بلبسه ومسه فعدم امكان التجارة به أوقعني في دهشة الافكار حيث
كارهى التسلي بحلاوة المكاسب وقد حبس المال فيه فضحك عقيل وقال تترين به
من هولها ويتمتع بها من هي له ان شاء الله أيسمحيل لديك هذا القول بعد ما رأيت
ما رأيت من غريب الطافه أكنت تدري ان هذا المتاع مازل محفوظا لك أكنت تعلم
ان هذا المال لاحق بك فاحسن سيدي خلوص توكلك واجعل بعناية لطفه توسلك
فلاخاب من توكل عليه ولا خسر من سلم عنان التدبير اليه فلما كانت الغداة أخذ
عقيل الصندوق وحمله على بعيره وقال لا تتعب أنت نفسك وصار به الى خان الشاه فوجد
رقاع المتاع امامه فسلمه المال واسلم المتاع وعاد بالصناديق الى غرفته وصفها امام
سيده ففتح مدوح ذلك المتاع وصار ينأمل في الناج والسوار والعقد الجوهري وهو يقول
أين تلك الجملة والساعد والصدرة فليت شعري من وجد هذا المتاع لها هي على قيد
الحياة أم ورد عليها رسول المات ومن المعلوم ان النفس اذا تخلصت من سجن الاخران
وانسابت من قبيل الاشجان تحركت ثورتها المعهودة وتوهجت جمرتها الموقودة
فان لم يقبض كف العقل عنانها وتمسك بينان الاملاك زمامها ماحت لشوقها المفرط
في فيافي الشهوات كالضرغام وأنشبت اظفار عزمها لكل مرام فالسعيد من عصاها
والكامل من طبعها تخلف عن هواها وترجع لما نحن بصدده ولم أر أي مدوح نظارة
دالك الحلي وتذكر من كانت ستتحلى به سالت مدامعه كماء الغيث على وجنانه وصار

يتنفس الصعداء من زفراته مقام عقيل وأدخل المتاع في صناديقه وبادره بقوله مولاي
 قد ذهبت عن حديث عبدك بهرام حين ما تخلص من أدياره وسلكت مسلك إقباله فقد
 كانت أول همة بناء الجوامع لما دخل بلده بتلك الثروة واكثرى منزلا كبيرا وصارت
 تزوره الاحباب والاصحاب وتخاص له الود وتهنيه بالسعد كما جاء في المثل
 أنت الحبيب اذا ما كنت ذا ذهب * فان فرغت رأيت الحب قد ذهب
 ثم ان بهرام اشترى أرضا وباشرفى بنائها منزلا كبيرا وغانا عظيم البضاعة وبضائع الغرباء
 بلا مقابل وصار في أرغد عيش الى ان مضى العام فلما أقبل العام الجديد اشتاقت نفسه
 الى السفر فقال الصبر عزيزي قد طاب وقت الارباح ورقت لا نتعاش الروح الرياح
 فأجر غليوننا وراودنا السعادة في التبضع فاشارت عليه بالملح لانه مصلح فاستأجر باخرة
 وشحنها ملها ونقل الحرم وعزموا على أقطار اليمن حتى قطعوا نصف المسافة فتأثرت عليهم
 ريح عاصفة وقطعت المراسي وسأقت الباخرة الى وجهة غير المقصودة فهمت الملاحين
 بتجديد الاوتاد فقالت السعادة قل لهم دعوه يسير على وفق اتخاذ الريح فامرهم بذلك
 وقال ان كان قائدنا السعد فقد طاب لنا الوعد فلو هب السعوم لكان ارق من النسيم
 ولوصل العبد لعاد الى الصراط المستقيم فدعوا الرياح تسوقها كما ترى وبمعون الله سبحانه
 السرى فساقتهم الريح أسبوعا كاملا وكانت المسافة التي قطعت بقدر شهر على حسب
 شدة جريانها فلما سكنت اذابهم على ساحل مدينة مسورة بسور من حديد وله باب عظيم
 لكنه قد سد بصخرة كبيرة فتأمل بهرام وقال ما أحسن هذه المدينة وما أقدر ملوكها
 ولا بد لها من عدة أبواب حتى استغنوا عن هذا الباب وسأمر في غد على سورها فالباب
 الذي ألقاه مفتوحا أدخل منه فلما أصبح ركب جوادا وسار حول السور الى المساء فلم يجد
 له بابا خلافاً لذلك الباب فاعياه البحث أياما يسمع أصوات الدواب ومخادثة الرجال من
 داخل الباب فكثرت أسبوعا ينتظر مرور أحد عليه حتى يسأله عن الخبر فلم ير أحدا فاضطر
 وأخرج من بالباخرة فلم يقدر واءلى إزالة الصخرة فحفر وانحتها فما ووضعا فيه بارودا
 وأطلقوا فيه النار فتفتت الصخرة فوجدوا بينا وبين الباب رجالا موتى وبجانهم
 المفتاح فوضعوه على القفل فانفتح الباب ودخل بهرام ومن معه فاذا باهل المدينة قد
 أحاطوا به والمالك بينهم فلما دخل بهرام عانقه المالك وصار يشكر ضيعة ثم أخذوه وسار به
 الى القلعة وزين المدينة وصف المواثيق لهم حتى طعموا وجلس بهرام بجانب المالك فلما وضع
 يده في الطعام لم يجد فيه ملحا فقال في نفسه قد نسي الطباخ فقدم صحن آخر فتناول منه
 فاذا هو مثله فقال المالك أخى أراك لم تأكل بشية ونحن أيضا ملك ولا كنى ساو صحتك
 السبب اعلم ان هذه المدينة تختوى على سبع مدائن والخصب بها كثير والرزق فيها غزير
 وطالما حسدت الملوك أجدادى عليها وصاروا يتحاربون في كل وقت ويتربصون أخذها
 فضجرت أجدادى من الحرب والضرب فقرروا بهم على بناء هذا السور وشرعوا في بنائه

وصار كل ملك يوصي ولي عهده في المهمة في عمله حتى انتهى في مائة سنة وكان اتمامه
في عهد والدي فلما توفي والدي صار الملك الى وصارت المدينة في غاية التحصين ولم يتمكن
الاصحاب من الدخول اليها مائة سنة هذا السور وكان اكبر غلظ الملوك حيث لم يجدوا فيه
الا بابا واحدا وهو الذي فتحته أنت وله سبع حراس وهم الذين وجدتهم موتى ورأيت
عظامهم وكانوا ينفلون ويبيتون خارجة قيساما الى الصباح وكل ليلة يتغيرون ولم يكن
لناداع يحتاجه من الخارج خلاف الملح وكان مبيتهم في الخارج لمناظرة سفن الملح لان
بقعة بحر تهاجمها الا ليلالا فاذا امرت السفن اخرجوا ما فيها ودفعوا عنه وادخلوه
لنا ولم يدخل علينا احد من الخارج حذر من دسائس مكاييد الرجال فترزلت الارض
ذات ليلة وقعت تلك المصخرة من الجبل فسدت الباب ولم يمكن الرجال ازالتهالكبرها
ولم يتمكن من اغاثتهم فكثروا مدة ثم ماتوا جوعا ولنا أعوامنا كل بدون ملح كما رأيت فمن
تمام فضلك ان تسوق اليها تجار الملح ولك خير المكافاة مع الثواب الجزيل فضلك بهرام
وقال أنا هو تاجر الملح ولم يكن في سفينتي خلافة شيء فصاح الملك على أرباب دولته لكم
الشرى قد ساق الله انما بغيتنا واسطة هذا السيد الكريم قد فتح باب رحمتكم وأهداكم
علمكم فصاحوا معلنين بالحمد والشكر وقاموا من وقتهم الى الساحل ودخلوا الباخرة
وصاروا يضعون القطعة منه في الماء كالسكر ويشربونها لاصلاح جوفهم فاخذ الملك
نصف ما في الباخرة وفرقوا نصفه على الرعية ثم ساق الثمن الى بهرام مضاعفا وأنتخبه
بحلي وأقشنة وتعاهد مع الملك بالرسالة السفينة مشحونة بالملح في كل عام وخرج بهرام
يفوق ما أمله من الارباح وعزم على البين حتى دخلها وأقام بها أياما يبيع ويشترى
ويتصدق على المساكين حتى فشا ذكره وصارت تقصده الفقراء فكان ذات ليلة في
الفضاء يشم النسيم فقصده فقير من فقراء البلدة وهو متكئ على عكاز فناول نصيبا من
الصدقة وقال أين دارك أبعيدة أم قريبة عن داري أريد ان تتردد علينا للمساهمة فقال
ليس لي دار لاني غريب وأنا من مصر فإذ رأيت علاوتي على خدمك حتى أصل الى بلدي
بصدقتك تخفق قلب بهرام وأمعن فيه النظر فاذا هو فرها فقال أخى أى شيء دهالك
والى هذه الحال أذاك فانا محسوبك بهرام فصار يبكي ويقبل يديه ويقول سيدي لما
أنعمت على بالذنانير أخذت مناعك ومتاعى وقصدي ان أتا جراك وأتيك بالارباح وأنت
في راحتك لا كافى حسن معروفك فاشارت على الخوصصة بان اشترى قنبرا واقصده به
صهالا لربحه فيها كثير فاشترته وجالته حتى وصلنا هاهنا في السيل علينا ليلالا وما زال
يهدر حتى اذاب جميع السكر وكان السوق عشرين بعيرا فداب عن آخره وكنت لم أدر
حرارة الادبار وطال ما اسألتك بقولي نحو سبتك من عدم ادراكك وكسادك من شر
حماقتك وذلك لغروري وتخيلي بانى لم أدق حسرة النكول أبدا وقد قطعت اسمهم
المدامة ويريد عزمي فاقبل بحق صداقتك عذرى ثم لما طلع النهار طالبتى الاعراب باجرة

الدواب ايرجعوا الى قطعهم فاعطيتهم ما كان معي فلم يقيموا بجزيتهم فاحسنوا ملابسي
وملابس الحرم ثم ضربوني ضربا موجعا وترى بالبادية عريانا فصرت أجوب
الفيافي كالمعتوه وأتمثل بقول التيمورية حيث قالت

لا تفرح من سعدياتنا * فاليدرس يكسف احيانا
والدهر كثير امامانا * وابات الناس منتهيا
لا المال لقيت ولا الجاه * ان لاقت فوزك عيناه
والحجة ما قال الله * تلك الايام نداؤها

فلما صرت أسأل الناس في القوت سمعت بكرا حسنا لك على أمثالي فقصدتك ولم أدر
انك سيدى وصديق ومرشدى المخلص الحقيقي قال بهرام أخى لم يكن لى شئ الاولاك
فيه حق حيث امددتني بالقرض أولا وثانيا ولم أوهك به الى الآن فهون على نفسك
مالقيت ولا تقنط من رجة الله وأنا أذكرك أيضا ما قالته التيمورية في هذا المعنى

لا تجزع لحطوب طالت * لا تفرع لامرور حالت
فاذا حالت واذا هالت * فبعزته ليس هالها
فانبت طوعا واعزم صبرا * واسمع قولاي شفى الصدر
انى معكم أسمع وأرى * فاذا عظمت فالله لها

ثم أخذوه ودخل الى محله والبسه لباسا حسنا واعطاءه مالا جزيلا واقشة غنية وقال
عزيزى استقبضع بما شئت واشحن سفينة وسر على حسدك حتى تصل الى بلدك
فشكر فضله وحمل الاقشة والمال وخرج قاصدا بلده وأما بهرام فبكى ما مكث ثم عاد
الى الشين لوجود منزله بها فلما دخله وبات تلك الليلة بالسفينة قام صبا احاطت به ابلا ملابس
وقال اقصد الملك واسر بمصاهرتة وان لم يعرقى وركب وتوجه الى القلعة فاذا بالحرزن
يسحب اذباله على بابها فارتجفت فرائضه وسأل عن الخبر فقيل له ان ابنة الملك ممتوهة
منذ أربعة شهور وقد أعياها اطباء داوها ولوالد الزوج أثر فاعلى الهلاك من الحزن
فتذكر بهرام تلك الثمرة التى أعطاه الله رب الخديقه فدخل بلاد ستور واجرى العمل
على حسب تعريفة ففاقت الصبية لوقتها وعملت وحسن ادراكها فاحذلولد الزوج
بعانقائه ويقولان ياله من صنع بديع ثم التفت عقيل الى مولاه وقال تبادل عزيزى فى
هذه الاسرار وميز عناية القادر الجبار كيف يسعف بلا تدير وكذا ولا يحتاج مع
فضله لسفر وجد وتذكر سعيه فى سالف الايام مذ كان مقرونا بالادب فى كل مرام
فلما سقى غيث الارادة أغصان سعوده وتقطرند العناية على زهرات مقصوده فاح
بنفحات الكرم زهرها النامى ومحى دابر الادبار بحسن توفيقه السامى قال بمدوح
جل وعلا مقدر الخير والشر المحيط للبحر والبر وقد شاهدت سناء سره المكنون
ونحنى لطفه المصون فيما حل بنفسى ورأيت رآى العين حقا وصدا قبالا منى ولست

الآن ممن يجزع من الشدائد بعد ان صار حديثي من حقه الرقم في الجرائد ولا انس
عواطف نصحك التي داواني عقارها وهدتني في ظلمة الجهل أقمارها لكي لم أر أيت
هذه الامتعة تعلق روحى العليله لرؤية تلك الحليه فان منحتني بالسماح باحياة
الارواح أرجوك في العزيمة الى ايران لاعلم من خبرها ماشان ومازان قال عقيل علام
الغرض على بانور البصر والعبد طوع ارادتك في الإقامة والسفر انما أرى المسافة
بعييده وأيام السفر عديده والوسق ثقيل الاحمال فاملى منك الامهال الى ان
احتمال في نقود توصلنا الى تلك البقاع حيث ان المال حبس في ذلك المتاع قال مدوح
أراؤك منيره وخيرتك هي الخيره قال عقيل نقصد الشاه عميلنا ونقترض منه مائة
دينار ونرهن عنده شيئا يسير من القماش حتى تتداول في البيع والشرا فالقيل
بالصدق مع الاقبال يصير كثير في مدة يسيره فقاما وتوجها الى بيت التجار فقيل انه
توجه الى خارج البلد لاداء نذره لانه كان آلى على نفسه ان باع ذلك المتاع دون خسارة
ان يحى ثلاث ليال بضرىح ولى من أوامير الله في تلك البقعة فقال عقيل مولاي نصير
الى ذلك الضرىح نترى في المسافة ونسهر بالزيارة ونحدث مع صاحبنا في خلوته ثم
قفلا خريبتهما وركبا بعيرهما وعزما على التوجه فصارا يومهما حتى دخل الليل فتركا
البعير معقولا وصعدا على شجرة شاهقة خوفا من اللصوص فاذا برجلين حضرا وجلسا
تحت شجرتهم ما بينهما بدرة يريدان أن يقسماهما فتشاجرا في القسمة وهما بالمضاربة قطعن
أحدهما خصمه فشق بطنه وانهدلت اعماه فقبض المجروح على عنق الجارح بقوة
فخنقه ووقعه على الارض ميتين وتخلصت البدرة لعقيل ومولاه فنزلا من الشجرة
واراهما بالتراب وأخذ البدرة فاذا فيها ألف دينار فمجد الله شكر اورجعا الى منزلهما
وجلا أحمالهما وسافرا الى ايران فلما دخلاها وقابلتها الاعاجم فسألهم مدوح عن حال
ملكهم وكيفية مقابله للفقراء والغرباء قالوا كان سيدا كريما بشوشا حلما انما
منذ حل به ما حل لازم العزلة ولم يقابل أحدا والوزراء تقوم بالحكم والسياسة قال
مدوح معاذ الله ما الذي حل به قالوا فرقة قرية عينه وخبيثة سره وجهه وهي ابنته
التي كان خطبها العادل لولده وعقد املا كهاعليه بواسطة وزيره مالك فلما حل بهم
ما حل وسعت بفقد العادل وضياع مدوح بعد فقد أبيه دخلت على أبيها محاولة الشعور
مختلة الشعور ووقعت على اقدامه قائلة

أقول عزيزى والدموع هوامع * وقابى كما ترضى لامرئ طائع
مولاي وتاج فرقى ومالك زمام رقى قد لوث الدهر مرآة طالعي بعد الجلا ورعى بحجب
الاخران طالعي بعد العلا وصب سراب الحسرة فى أكواب عيشى وملا وطلا بسواد
الشامة ناصية اقبالى فلاحول ولا وأثبت بالعدوان شامتى واصابنى بالهتان عين
جنابى والبسنى بالرغم ثوب تدامتى وطع المقدور على جبينى ثم هوانى وذانى فالتمس

من رأفتك مسامحتي في العزلة عن الخلق حتى يظهر لي خبر من ملك قاي واستغرق
واسترحم من رأفتك محواسمي من رقايع الاتراب واثباته في رقيم كل عذراء توارت
بالتراب فاذا رد الله ضالتي رجعت لطبيب حياتي والا لا ازال في عزاتي حتى يحسين
نجاتي فبكم والدها بكاء شديدا وكره أن يكون لها عيدا فسلم اليها أمرها وأقامت بعزاتها
أياما فلما طال المكث تناظرت فؤاده فعمد مجلسا وقال قد ثبت بطول المدة موت عمود
ولاشك فيه فكيف العمل في هذا الحزن الطويل والعزلة مع البكاء والعويل قال
الملاء من قومه مادامت في عزلتها لا يعمى حزنها فاغلق عليها باب الخروج لانها مادامت في
الخلوة لا تنفذ حسرتها أبدا ولا ينجم لها بهاس مرمد بل يطغى شحها ويهاو بين الضلوع
لهبها فتلق به وتتضاعف حسرتك وتعظم بفراقها اندامتك فالرأي ان تشغلها
بالزواج فتتسى ذلك بهذا والاصارت بالحزن جدا اذا فقام الملك وركب الى حجرته ودخل
عليها في عزلتها فرأى ذلك القدر كالخيال وقد أسرقت تلك المحاسن على الاضمحلال
فتفتت كبده وهملت عبرته وضمها الى صدره وقد تقطعت حبال صبره ثم أجلسها على
فخذيه وقال يا حبيبة قلبي وموضع حبي قد سامحتك الى الآن ولم اسمع بان من ضل باب
فان كان لك والد تدانيه وله عليك حق تراعيه فخلي عقد هذه الهموم وأحيي بامتثالك
قلبات بطغيان الغموم فكم فرق الموت من أزواج وتسلمي الحليل أليفه بالزواج
بعدها أقاما في العيش سنوات واوجد ابني وبنات فاحسن طاعتي وانحش غصبي
وبلغيني بحق حقوق أبوي عليك أربي ولا تردى أمرى ولا تأبى ارادتي لراحة سرى
وقد علمت ما انتخبته لك من سن صغرك من أشرف الاقارب وهو ابن أخي الاحق بك
من الاجانب فلما سمعت الصبية ذلك الانتخاب التهب صدرها وتسعر قلبها ولم تجد بدا
من اظهار الطاعة حيث انه سألها بحقوق الابوة عدم رد أمره فقالت لا اراد لامرك
ولا عصيان لقولك غير اني التمس منك الرخصة في امهالي اسبوعين لا تربض بالخروج
كل ليلة الى خارج البيت وانتشق النسيم فلهذا يعيد مني ويقوى بنيتي فالق الناس
بعض من القابلية التي كنت عليها لانهم اذا راوا حالتني هذه عزوني على ما حل بي فيزداد
كربي ثم لك الامر فاقض ما أنت قاض ففرح والدها فرح شديدا وقبل عينيها وركب
الى قصره فلما مضت المدة ساق اليها موكب عظيم وزخرف لها هودجا مرصعا ومضى
الجماعة به وأقام الوالد في الانتظار فرجع ذلك الهودج خاليا والموكب بالحزن باليا
فارتجفت اعضاء الملك وأظلمت عيناه وصاح أين سيدة الركب فتقدم اليه الوزير مع
الاسف الكثير وقال قد مننا فوجدنا خادمتها بشوشة في انتظارنا فقلت أعرضي على
مولانا حضور الموكب وانتظار الوالد فدخلت وغابت برهة وعادت فرعة بأكبه وقالت
بحثت كل البعث فلم أجدها ومنذ أمرها الملك بالتحلي عن العزلة وهي تترى كل ليلة
بالخروج الى البستان الذي بقرينا وتعود وتركني احفظ الباب وتقول مرادى ان

يتزعزع جسمي حتى يسري والدي وتارة تخرج قبيل الصبح لاستنشاق الصبا وقد أمرتني
 بالامس ان أتم يا به هذه الملابس وأخرجت هي ملابس فاخرات وأحضرتهم مع بعض
 من الجواهر فدخلت الآن فلم أجد ملابس ولا جواهر ولا انسانا فصاح المالك وانحيبتاه
 لحقت بمدوح كما يعلم الله فحيث كانت هذه النكبة مني ليس منها فانا أحق بالعرلة بدلا
 عنها حتى أراها أو أرى من ألقها ثم التفت الى أرباب دوائه وقال أسأتم الاشارة
 وأنتم الاداره فلا طاقة لي بملاقاتكم ولا رأي لي في اداراتكم وقد عينت الوزير
 بالنيابة عني وعليكم التأمل في الادارة كما يرضى الله والنظر في أمر الرعية والسلوك بكل
 عدل وعناية ثم دخل معزلا وتوارى فيه وهي تلك الحجرة التي كانت فيها ابنته وتجنب
 عن الناس فلا يظهر لاحد ولا ينظر لهزل ولا جد فنظر عقيل الى مدوح فراه كأنما يلي
 بعلة اليرقان فأسرع بالقيام وعدل عن تلك البقعة حتى لحق بواد غير مسكون وقد التهمت
 حشاشة مدوح بالميل والحب وصار يتلظى من الوجد لما سمع ما قالته الصبية لوالدها
 وما حل بها أخيرا وصار عقيل يلهيه بنوادر تسليه وهو لا يلتفت لها ولا يتسل بها وانقطع
 عن الطعام والشراب وعن سماع المسامرة والخطاب فتضاءف كرب عقيل وقلق قلعا
 شديدا ومع ذلك صار يحمد الله حيث كانت لوعة مولا حبا ولم تكن كربا من الكروب
 التي مرت ولا يخفى السامع ان لوعة الحب مصحوبة بالتعزل والخلاوات في الرياض وسماع
 الاوتار وتلاوة الاشعار على حسب قابلية العاشق فيجب على المصاحب ان يتفرس في
 حالته ويساهره من عين مرامه ان كان في فراق أو مطلق أو بشري بقاء أو صدم من
 المحبوب فصار عقيل عاشيه على حسب شغفه ما استطاع وقد علق مدوح بالخلاوة وتنحي
 عن المسامرة فشق ذلك على عقيل فتجاهل نفوره منه وقال أعرض على مولاى ما أضرم
 فوادى من الحزن وهو انى أرى اعراض المولى عن مسامرتي وتخصيه عني وذلك لم يكن
 الا عن زلة بانى منى أو هفوة نقلت اليه عني قال مدوح استغفر الله أن يكون ارشادك الى
 مقرونا بخذلان وحاشا أن يكون سعيك مشوبا بخسران انما أردت راحتك وأحببت
 استراحتك فطالما تعبت نفسك بالسهر والسمير قال عقيل وحق عزتك راحتي في
 ذلك التعب وقد هجر المولى حديث العبد بن لما هجر عبده قبل ان تتكامل القصة
 عنده ولم يسمع بنكبة بهرام لما انتقل من شدة الكرب الى لذة الحب وتلقب بلقبه
 الجديد لانه كان بهرام المنحوس فصار العاشق المانوس ولا يدري ان لوعة الحب
 للكظوم بشارة هناء وانما اللقب عين مناه قال مدوح كيف ذلك قال عقيل نعم ما دخل
 العشق الحقيقي قلبا الا وحياء وأخلاء عن كل ما سواه الا أثر الممرض وحسرة فقد
 الولد فانهم ما يحوان ما دون ذلك غير المتكونة منه والناشئة عنه فهو اماراة الخلوص
 الشفاف وعلامة السعادة والعفاف قال مدوح هذا ان كان ممتعا بطوبه مشاهدا
 لرغوبه قال عقيل ان وجد المألوب دون تعب فلما ذا يوصف العاشق بطول النصب

فان لم يذق العاشق مرارة الفراق أنى يدري حلاوة التلاق فما كابد عاشق في الياس
 حسرة ولا اطفأ بالصبير جرة الا ومحت زفيره راحات الاماني وانجلي صدره ببشائر
 القرب والتداني فاستروح وحت روح محمدوح وقال على بحديثه قال عقيل كداتركاه بين
 الزوج والصيبة ووالدها فلما عقلت وفاقت اشتهرت فضائل الشيخ وكراماته وأحسن
 الوالد والزوج جوارثه وانساق البشائر الى والدها فقدم وأهداه بحال خزيل ورتب له
 كل عام ألف دينار وملاك الشين أيضا مثلها ما فكث معهما ما أنما ثم قد عد الرجوع الى
 أوطانه فسلمه الملك رقاع ضياع أهداهما اليه وخرجت الملوك تودعه حتى أقسم عليهم
 وأعادهم فبينما هم في التماس الدعاء من الشيخ اذ وقف الموكب فاذا هم بجماعة من
 الفلاحين يأتون بلص مكتوفاهم يقولون تم سرورنا ببركة الشيخ قد وجدنا لاص الخائن
 بعد ان هلكنا عليه طول العام فقال الملك خيبة الله عليه أفاطما أم غريبا قالوا غريب
 وقد موه الى الملك وبهرام بين المسكين فاذا به فرهاد فانقبض قلب بهرام وقال ايها الملك
 السعيد هبه الى ولا تكن على حذر منه لاني على سفروا اخذهم معي قال هولك حيث
 لم تكني تخالفك فامر بهرام بحمل وثاقه وأخذوه ونزل به الى السفينة وقال أخي
 لا أقول لك ما الذي حصل بك وعلمي بنحوسهتك يكفيني انما فرج عن نفسك بالحديث
 وهون صدمة اديارك الخبيث فانه عن قليل يعمى باذن الله وما ذلك بعزير على الله
 وكفالك في عبرة لدفع غمك وازالة همك قال فرهاد لا عد منك شقوفا ولا اصاعب
 الايام لك حقوقا اعلم سيدي انك لما عذبت على بالاحسان توجهت شاكر الفلك ومادحا
 اسمعك وخلصت ان الايام تساعدني كما كان دهرى يعاودني ولم أدرا به جدد وغرني
 ثم عند وما زلت ساثر بسفينتي حتى مررت على روضة كنت أعهد لها قبل الحسرا
 وطالماتريضت فيها قبل مع الاخوان فخرجت من السفينة وعزمت على الإقامة فيها
 يومى ولياقي للتستره وكانت بعبدية عن البحر مسافة قليلة قد دخلتها ووجدت فيها بعض
 الاصحاب فبادرنا بالطعام والشراب ودارت بيننا الاكواب وطاب الخط وصفا فقممت
 أتمشى بين الأشجار فغلبني العسقار وطرحني على الثرى وما زلت مطروحا وأنا لا أعتل
 حتى انتصف الليل ورجعت العصابة الى منازلهم وطموا الى توجهت قبلهم فلما انكث
 عقالي من قيد السكر تلقت يمينا وشمالا فلم أر أحدا قممت أختبط في السير حتى وصلت
 سفيني قبل الفجر فاذا أنا بالملاحين مقتولين مطروحين على الساحل ولم أجدهم أحدا
 فدخلتها فلم أجدهم شيئا من المتاع فعلمت ان الله وصى قتلهم وأخذوا الاموال وقتلوا
 الزوجات أيضا ولم ينج منهم الا نحوسة لانهم سادرت بالهرب الى الساحل واخفت بين
 الاحجار فذهنتي المصيبة وطاش عقلي فلحقني النحوسة وقالت عليك بالسرعة وراءهم
 فلهالك باقيهم فتصيح على الخفراء فيقبضوا عليهم يرد اليك مالك واسلاك من هذ
 الطريق لانهم ساروا من هنا فقصدت الطريق على حسب تزييفها وصرت أجرى

فوقعت في جب غائر كالبحر وكان فيه مستورا بالتراب فوقعت فيه وأنغى على برهة ثم
انتهت على ضجيج من خارجه فسمعت أصوات رجال فاستغثت بهم فاذا بهم يلعنوني
ويسبونني بقولهم لا أنقذك الله أيها الناس قد أحرمتنا من أرياح حرثنا في هذا العام
فطالما تمثلت بالشيطان حتى وقعت في جب الطغيان وكتم سرقت محصورا لنا ونهبت
أرزاقنا ثم أخرجوني وشدوا وثاقى وساروا بي الى ديوان الحكيم قتلا قينا بموكبك السعيد
ورأيتني كما رأيت وكانوا أحدثوا لك الجلب لاص تعود على سرقة أرزاقهم فاوقعني فيه
قدري ولم يبق عثري حذري فلم يكن ذلك اليوم مقرونا بفضلك بالفلاح لقتلت
بظلم الفلاح قال بهرام أخى قدمضى ماضى وليس لك الا الصبر والرضا فطالما
سعت أنا في الزمان السالف وتعلم أنت بشرحى الطويل وطالما اجتهدت في كل مهمة
وخاب في النتيجة أملى الجميل فاجعاني مرآة لتظرك وتظارة لبصرك وكف نفسك
عن الكد والتعب والسعي والنصب حتى ينفك عنك عقد الادبار بارادة مكنور الليل
على النهار فهنا أنا عازم على مصر فان رأيت ان تكون معي حتى نصل اليها ونجمل ان
البضاعة بضاعتك وتدخلتني قيماء عليها وتظهر أنت للناس الزهد والتجرد والخلوص
والتعبد والحمد لله يبتك مشحون بالخير والخيرة والامتنعة الكثيرة فتعزل عن قيل
وقال حتى يعنى نحوستك المتعال فان رضيت بإشارتي فلك الخير والافضل من عندي
ما تحب وتختار واعلم انه مع النخوسة عديم الاوعذاب الخيبة أليم قال فرهاذا الامر لله
والخير فيما اختاره الله قد سمعت نصحك ورضيت بقولك فاكرى بهرام له سفينة
صغيرة ووضع فيها من الزاد ما يوصله وقال عجل أنت قبلى الى البلد وانشر ما اتفقنا عليه
وعرفهم ان البضاعة ستحضر مع قيماء ثم ودعه ورجع الى سفينته فاذا بقافلة تسير على
الساحل فامسك بهرام عن السير حتى غمر القافلة فر عليه الهودج الذى هو معه سيد
الركب وهو من العاج مصفح بالذهب نصارى يتأمل فى حسن صنعه وقد رفعت ستوره
أيدي النسيم فكأنما زالت سحبا غشى سنا بدر افوق نظير بهرام عليها وناهيك لمع الجباه
تحت الطرر ورشق سهام مقل اكتحل بالخور فيا لها نظرة فتتأ كبادا وطغنت
بتلك السهام فؤادا فلم يشفق ذلك الواثق من هجموعه الا وجذوة الحب تشتمل بين
ضلوعه فرام ان يعيد نظره ويمتدع بذالك الحسن بصره فر الهودج قبل ارتداد الطرف
اليه وصب الحرمان لهيب الالهف عليه فقاب بهرام عن وجوده ولم يدرك على الماء هو
أم على التراب أم حمله الهوى على قطع السحاب وصار يذرى المدامع عينا وشمالا
ونطق بالقرىض ارتجالا فقال

يا ناظرى لما أرسلت ما سحرا * بالرغم عنى الى الانسان انسانا
أوقعتماني لظى قاي فاحرقه * وكان قبل الهوى العذرى ريانا
قيدتماه ولم تعلم جنايته * بحبل أشجانه ظلماء وعدوانا

أرىتماء بظلم عند قولك * هذا الغرام فعش بالعشق ولها
فيها اللحظة أضنت جوائحه * وليت تكرارها قد نال امكانا

فلما قضى من الشـعر أمـله رجـع اسـكونه واستغفر ربه ودخل السفينة قائلاً كيف
أهـبـع في السفينة بقلب كله الغرام وحكم عليه باللوعة الهيام فأرأى ان تسير
السفينة كما هي في البصر وأحتال في استحضار دواب وأسیر أنا على البر فـلـعلـى ألق
بتلك القافلة التي مرت كلح البصر وجعلتني وديعة بين الارق والسهر فوقع في الافكار
كيف يعرض حاله على الجماعة ولا يداع يترك السفينة ويسير على البر بقافلته فصار
يتقلب في فراش الخيرة والحب ولا يرى لجراحه مرهما في الطب فلحظته السعادة
وقالت وقال الله شر الدهشة وكفالك بأس الوحشة مالى أراك مشغول البال والخطاير
أنـخـفـى عـنـى ما جاش بالصـدر وتـصـون سر اقد ضـعـف عـن حـملـه الفؤاد ونطق بسره العـنـم
والسهاد قال مولانا أريد ان أسافر برا لحفة المسير لا أخطى بالوطن في وقت يسير
قالت وما أدى الى ذلك فلم يجدها من اظهار أمرها اليها فقص الخبر عليها مع بسط
أكف الاعتذار فضحكت وقالت لا تعدل أيم السعيد عن الطريق واعلم بان الامل
تحت جناح التوفيق فامتثل بهرام لأمرها وعدل عن مانواه وصار يسافر الصبر على
وجه المياه وكانت أشواقه تشاكل الامواج فتارة تعال وتارة تسفل وطيف الصبية
بغازله بين النوم واليقظة ويغدو ويروح ذاك القوام في كل لحظة وهو يرى ان الوصال
محال وبينه وبين ذلك أهوال وكان مدوح يلقي في هذا الحديث راحه فصار يبسط
لتأني درره الكف والراحة ويقتطف منه أثمار التبصر في القول والعمل ويتربص
للعواقب ليحبنى اطابة الامل وعقيل يعقل ذلك من وجهه فيتخفف بما يقوى العثم في
حديثه لان أول ما على النديم من الواجبات ان تكون مسامحته موافقة لما كنه
الضمير ومطابقة لما حازه الخطاير والخطير والاثقل على المنادم كل ما رواه وأمل
الطبيعة بما أبداه ولو كان حديثه مشوباً بفصاحة حسان وصحاح ككنا هدهد
سليمان فزال مدوح يتمتع براحة حديث عقيل ويروح قلبه بسماع حديث تلك
الاشواق ويسكن لوعته بحكاية ذلك المشتاق وعقيل يعلم ذلك فيزيد في بسطه للقال
ويوسع في فضائل الصبر في كل حال ويقول ما زال بهرام يكابد من الشوق ما يكابد ولم
ينصرف يوماً عن امتثال أمر الصبر ولا يعاند حتى وصلوا الى وطنهم المعتاد وحيث
السلامة سعادته وأحسن الاقبال رجعتهم وأقبلت الاخوان عليه من كل جانب
وهنؤه بمنه الرحمن وغنمة العود الى الاوطان فبادرهم بهرام بحديث صاحبه المبدد
وبسط ماله من الورع والزهد وعدد وذكرانه قد جعله فيما على ماله بالنيابة عنه في
الاخذ والعطا واستر ما كان بآمن غطا فقالوا سبحان من أمده بهم هذه المنة السنية
والمرتبة العلية فكسدهم مقلب القلوب وعلام الغيوب كما والله نكمل من الاسف

ما أثقلنا على نكبتنا التي حامت بدارها في غيبته قال بهرام معاذ الله وما هذه النكبة
قالوا التهمت داره ذات ليلة فاحترقت من الرأس الى الاساس ولا يخفى انه قد نقل كل
متاعه فها قبل سفره فاحترق جميعه حتى صار ترابا لكل مداس فلو كان على خلقه القديم
لمات أسفا وهلاك حرصا ولهمنا قال بهرام وأين اقامة عياله الآن قالوا ابنخان الصدقة
يفتظرون اياه وكل مناعدهم بما استطاع فاعتم بهرام غما شديدا وبات تلك الليلة منهكرا
في أمره ولم يدر ما الذي عاقبه فلما كانت القابلة سار بهرام الى البحر يبحث عليه فاذا به قدم
في أحد السفين وعليه قميص خلق فقال قد غرقنا ونجوت أنا بنحوسى قال بهرام عجبا
الى الخان وكن أنت معي متسكرا حتى نلحق بالمنزل فبعث بها الى أحد الخانات وأخذ
وصار حتى أدخله وألبسه ونخرج هو واشترى له منزلا يوافقه فدخلت عليه الناس
وأخبرته بما صار فقدم بهرام فوجده قد انقطر من الخيب وقد عرق ثوبه من الصبيب
فقال كم أقول لك لا تجزع فان المال عندي موجود فخذه ما تشاء واتجر كما تشتهي قال
فرهسا ولا وحق الحكم الذي بهذا حكم لم أخرج عما قلته لهم بل أكون في حجرة سفليه
مادمت حيا ولم أقل لسي وجهي ما عشت هيا وأعيش بصدقك مادامت النخوسة
قرني وأستغفر الله على ما كان مني وأجد الله الذي محاميا بقلبي من الطغيان وأزال
بإطفائه عنه كل بخود وعصيان فصرت استقل في العقباب نكبتى وقد رفعت أ كف
الضرعة بتوبتي من سوء فعلي وشرارني وتلويت ضميري بخيائتي لاني منذ عقلت وأنا
متسريل بالغرور متقلد بسيف المكائد والشرور فأنا المقرب بما جنيت المصر على
طلب التوبة وهي حل ما عنيت فلا تقسني بك سيدي في عود الاقبال لاني لم اقتدبك
أبدا في صالح الاعمال وقد شاهدت شفقة ضميرك في الشدة والرخا وشهدت لك بكل
صدق في الخلوص والاخا * ونذكرت ما قالته التيمورية في هذا المعنى من طهرت من
الغش سريره تطهرت في الالسن سيرته (ولها) اذا جرت عليك المقادير نقيام الصبر
خير لك من قلاع التدبير (ولها) ليس بعد الصبر طيب ولا مثل حسن الخلق حبيب
وفي هذا المعنى أيضا

اذالم ترض ادبارا * ولم نصبر ولم نخشع

فهالك السيف والترس * فخارب دهرك الابقع

فاعلم سيدي ان مدار عيشي جعله الله عليك والاجر في التصديق على راجع على الدوام
اليك فدعني أعيش باحسانك وليس لي دون ذلك حفظ الله متاعك ومالك نفخرج
بهرام يذرف الدمع على انكساره ورتب له ما يكفيه واعماله وهذام صير كل متكبر
مغرور وعاقبه من ضل سعيه وأمن لمتاع الغرور فصار بهرام يبحث على منزل كبير
لكثرة خدمه وماله فمكت في السفينة اسبوعا والاحباب يجدون في البحث حتى وجد
بيتا كان لاحد الوزراء واسع الرحاب وبه بستان عظيم فاشتراه ونقل اليه متاعه وأعجب

بنضارة منظره ورتب مقاصير الحرم وهما الصداقة والسعادة وكان ذلك البستان كثير
الأشجار وبه حديقة راقية وروضة فاتحة فصار يجول فيها ويتأمل في نواحيها
والغرام يسوقه إلى الطواف فأدرك محلا في جانب الحديقة وبجواره قصر مشرف
عليها وله روشن بديع الصنع فصار يتأمل فيه وهو مفتوح للروح فجاءت ربة القصر
للتفرج على الحديقة فلما عاين بهرام فاذا به أمنيته قد أشرفت من شبك البستان والتقى
الإنسان بالإنسان فخال بهرام أن روحه أريدت بروح أخرى وصار يجمع النظر بذلك
الحسن ويتحري فأسرعت الصبية الرجعة وأرخت الستور فكاد قلب العاشق أن
يطير إلى روشن من الوجد والخفقان فأدركه الصبر وساقه إلى قصره فكث في الاطراق
مليا ثم تفكر في كيفية الاستدلال فقال أخرج إلى باب ذلك القصر واسأل عن صاحبه
فلعل أفوز بمرأى وقام يسعى فرأته السعادة فقالت له لا تجل وتأن قليلا فلم يجد بدا من
الامتنال والصبر يقول له عزيزي اذا دست بساط الهنا فلا تطمع بجلب كل منا فاذا
أسرعت السير زلفت واذا قنعت شاكرار بحت فها أنت اسبوعا بعد ذلك الامتنال الا
وأضافه جاره ونعم الجار وقال سيدي أنا جارك صاحب هذه الدار المظلة على بستانك
وقد سررت بجوارك لما سمعت بحسن سيرتك ولي كريمة حليلة عفيفة سليمة وقد
قدمت بها من مدينة التوكل عازما على زواجها بهم صالح يحسن عنصر نتاجها فلم
أسمع بأطيب من ثناء سيرتك ولم أرمع بالطيب سيرتك فان رأيت قبولها فهي نعم
الزوجه في كل مجال الموافقة في كل حال فغاب بهرام في لجة الاستعراب عن الجواب
لسدة تعجبه من وجدان هذا الما من دون كدوعنا ثم أدرك نفسه بالفطنة وقال
فديتك من سيد أدى لعبده مناه قبل ان يعرض عليه التماسه ورحاه فتمنى شرف
معرفة اسماء تقلدت بها الاشراف قال الجار يا حبيبي هي القناعة وأنا العفاف وأخذ
الراحة بالراحة وعقد عقد القناعة ونثر الفوز درر السرور على الجماعه وعاش بهرام
متمتعاً بتلك النجوم النيرات والدراري اللامعات في أطيب عيش بين أهله
وأحبابه وأشهى حياة بين اخوانه وأترابه وقطع دابر الشدائد بالسعود وتلاشت
تلك النوائب بساوغ المقصود ونسى ما قد سلف حتى كأنه ما رآه ولازم عصبية الاررار
ما شاء الله متع الله بحسن العواقب أمة الحبيب وجعل استاد الصبر لكل مؤمن
طبيب قال فانك كشفت غمة مدوح وطلبت جراحه بمرهم هذه العبر ودب قلبه عشم
الامل وطابت أوقاته ونجحت زفراته وقد انتهت حدود أقطار الاعجام على أحاديث
بهرام وقد سما على قضاء واسع الرحاب قد اشتمل على طرق شتى وبه تتجمع الطاعنون
ويمكثون حتى يستريحوا ثم يتوحد كل فوج إلى طريق قصده فدخل عقيل بسيد
ومكثا بينهم وكان بازا لهم جبل شاهق والماس تصعد عليه أفواجا ثم يعودون ويصعد
غيرهم فسأل عقيل عصبته التي هو بينهم ما بالهم يصعدون وينحدرون

الفصل الرابع

قالوا وجدت هناك نظارة بذروة الجبل بها تصاوير وعلى دائرتها اسطور بحروف لا تقرى ولا تعلم أحرف هي أم نقوش فقال ممدوح قم نصوحى تتفرج عليها قال عقيل حتى تنفذ المتفرجون فلعنه خير فلما تخلى الجبل عن صعود الناس قاما وصعدا عليه بكل صعوبة وعنا فاذا بهما نظارة من حديد وبوسطها زجاجة النظر فتقدم ممدوح وتظرف فيا ثم ثلاث الحروف فاذا هي أياها صاحب * لهذا الشكل والتصوير

أعنت أرض العراق تجدد * بهاماته التدبير

فلما تلا ممدوح هذا الشعر تأمل في التصوير الكائن في جوف النظارة فاذا به هو بعينه ووجد نفسه في داخل النظارة فارتجف فضمه عقيل فقال دعني أياها النديم وتأمل في النظارة فتقدم عقيل فرأى مولاة في جوفها قال سيدي أما التصوير فهو أنت وأما النقوش فلا أدري ما هي قال ممدوح هذه الأحرف التي تراها هي من اختراع الوزير مالك لو الذي كان يكتبه بها في المهمات السرية إذا كان بعيدا عنه وكان قد علمني أياها وحذرنى عن افشاها وقال ان مدار أسرار صون حكومة أيبك منوطا بهذه الأحرف فادخرها في خزانة قلبك ولا تخاطب بها الا والداك وولدك فقال عقيل فديتك أعنتي بالمعاني فقصها عليه فتهايل عقيل وقال مولاى انى لاجدر يحج مالك فجعل سيدي بالعزيمة الى العراق وصار ممدوح يقول ليت شعري أأعيش حتى أرى هذا التدبير وشوق الصبية يلتهب بأحشائه وقد زادت اللوعة لوعة أخرى وهو شغفه برؤية الوزير واطلاعه على صدق التدبير فعاد الى انقطاعه من الزاد فضعف جسمه وصار يقول لا تعشم أياها الندم بتحملي هذه الشدة وحقق فقدي في هذه المدة لان المسافة بعيدة والافكار بالشغف شديدة قال عقيل مولاى لا تكن عجولا واسمع منى ما أقول ان طول العمر ليس منوطا بكثرة الراحة ولا باستقامة الصحة فطالما انقطع الامل من المصاب وطاب وأبهرج بالعافية الآل والاصحاب وطالما أمل المرء بعزم قوته نبيل الامانى فخاب وجع بفتحها ففقد من حضرو ومن غاب وكم أبدع الرب حكما يحجز عن تعريفها اللسان وكم أبدى عبرالم يحل سرها في الجنان وأأكد قولى لك وان كنت أعلم بالصواب منى وأدري بالحقيقة عنى انه كان في عهد لقمان رجل حراث وله ابنة قدر باها يتيمه ولم يكن له من زينة الدنيا سواها فصار يخدمها بكل حنانة ويحتفي في كسوتها وطعامها ما استطاع حتى أخذت في النمو فقامت بحوائج بيته واستعدت لخدمته في كل ما يحتاج اليه وكانت هي ربة داره وخبيثة أسرارها فلما حلت بمناطق الشباب وصارت تعد من الكتاب اعترتها علة كثيفه مهاكة غنيمة فطرحتها على الوساد فهدم الحزن قوه والدها وصار يحملها ويدور في البلدان على الأطباء حتى وصف له لقمان فحملها وصار اليه وطرحها بين

يديه وأكب على قدميه فصار الطبيب يحس في أعضائها ويكشف على داعشائها
 حتى شخص العلة وعلم أنها قاتلة لا محالة فدق الكفوف بأسا حيث لم يجد من المراهم ولا
 الجرعة ما يؤدي إلى الشفا ففاضت عبراته وعلت زفراته وقال أوالدها ان عذرا اليأس
 أقبح قول مني اليأس فوالله لو كانت تغدي لغديتها فموتك الله خيرا وألمحك سكوتا
 وصبرا فانفطر قلب الحراث وذاب كبده من الحزن واليأس فحملها ورجع بها إلى
 بقعته وصار يتقلب في جرح حسرتة وكان حرثه بجوار حديقة الوزير فكان يحملها إلى
 تلك الحديقة ويستحسن لها الجلوس بين الرياض ويطرحها تحت ظل الأشجار ويخدم
 حرثه ويعر عليها مرة أو مرتين حتى إذا حان وقت الرواح يأتي ويحملها إلى حجرته وكانت
 ابنة الوزير تخرج للتريض فتراها على هذه الحال فتقول قاتل الله أباك وفقره الذي
 أدلك إلى هذه الحال حيث لم يقدر يغذيك بشهى الطعام ولم يمتع جسمك بلين الملابس ولم
 يسكنك بأعلى المقاصير فلا يزال يطعمك خبز الشعير ويابسك أحسن اللباس ويرقدك
 أسفل المقاعد فوق الحصير حتى أورتك السقام في عنفوان الشباب وصبرك ملقاة على
 الأرض تدعير بالثبور فليتة سلمك إلى فاحسنت مواساتك في الطعام والتمياب وأنقذتك
 بتوجهي والتفاني من قيد العذاب فيتضاعف كرب ابنة الحراث من هذا التعنيف
 وتزداد ضربات قلبها من هذا القول العنيف فصارت تلتبس من أبيها أنه لا يدنهاها
 تلك الحديقة ورضيت بانفرادها في حجرتها حتى يتم عمل حرثه ويعود إليها مكنت أياما
 فزادت آلامها لعدم التروح وذاب قلب الحراث حنانا عليها فصار يحملها ويخرج إلى
 الصحراء ويرفدها تحت ظل شجرة كبيرة للتروح بالنسيم ثم يعود عند الغروب فيحملها إلى
 المخدع فاشتدت عليها حرارة المرض ذات يوم فعذلت عن النوم على جنبها واحتالت حتى
 استلقمت على ظهرها وكشفت صدرها وقد أضربها التعب حيث لا قدرة لها على الحركة
 فأحست بقطرات باردة تقطر على صدرها من ندى الشجرة فصارت تدلك بها صدرها ثم
 تحاول شيئا فشيئا حتى قابلت ذلك التقطير بفمها الشدة عطشها وصارت تتلذذ به لأنه
 كان باردا فتعرت بسكون الضربات فنامت برهة ثم انتهت وبها غثيان شديد وصارت
 تقذف ما في جوفها من الطرفين حتى لم يبق به سوى الأمعاء فغابت عن شعورها فلم
 تدرك بحاسة من حواسها فجاء والدها عند الغروب ووجدها في هذه الحالة لا حراك
 به فلم يشك أنها ماتت فكره أن يحملها بهذا التلويث المكريه فبحث على ماء فوجد ماء يدر
 من خلف صخرة كبيرة وهو جار فجاء وحملها إليه وجرد لها وطرحها تحت مصبه وغسلها
 غسلًا جيدًا ولفها في ردائه وحملها إلى البيت وألبسها ثوبًا نظيفًا وصار يحثو التراب على
 رأسه لانه قد هاجت لمع الفجر فتحركت الصبية وفتحت عينيها فرأته بهذه الحالة فقالت
 مالي أراك معبر اليأس وصارت يسالك كالأكراب من الماء فقال من ثقل النوم فقالت
 أوجد عند ناشئ للقوت قال لم يكن له سوى قليل خربوب أخضر وجدته بالأمس على

شجرة وقليل من ماء الشعير قالت نعم الغذاء فأتاهاهم - ما فاكات من ذلك الخروب ثم
شربت من الماء حتى اكتفت ونامت نومة عظيمة حتى غربت الشمس وجاء أبوها و قدم
له باقى الخروب وماء الشعير فقالت ساعدنى فى الجاوس فاجلسها وتهلل بالفرح لانهم لم
تجاس منذ شهور فاستوت وأكلت ذلك الزاد وأحست بخفة جسمها فصارت أبوها يحملها
الى ظل تلك الشجرة ولكنهم لم يجدوها ذلك التقطير فأتت اسبوعا الا وهى تمشى على
اقدامها وأنخذ شفاؤها فى النوى يوما فيوما الى ان صارت أحسن مما كانت فكانت ذات
يوم ذاهبة الى حرم امع أبها فصادف الطريق من تحت قصر الوزير فاذا بجارية تنادى
من الطاقة ادخلى يا حراثة انما أيام نبعث على بقتك ولم نجد لها فدخلت الابنة ومكثت
الوالد ينتظرها بالباب فأخذتم الجارية وصعدت بها الى القصر وأدخلتها على ابنة الوزير
فاذا بها تتلوى على قطعة حصير وقد تفتحت عن السرير والفراش الحرير وتجردت عن
الخز والمكشعر من حرارة تلك العلة التى قد كانت بابنة الحراث فنادتها بصوت منخفض
عزيزتى بالذى شفاكى ان تصفى لى ذلك الدواء الذى كان سببا لشفاكى لان اعتراضى عليك
صيرنى لى ما ترى فتأسفت الحراثة وقالت شفانى الله على قطرات شجرة بالفضاء الغربى
فلتبعث السعيدة مع أبى من يجدى البحث ويأتى بذلك التقطير فصاحت الجوارى على
الخصيان وخرجوا الى الحراث بأوانى الذهب والفضة حتى وصلوا الى تلك الشجرة وصعد
الحراث عليها للبحث فاخبرهم الحراث بذلك وصعدت الخصيان وحققت ما قاله ورجعوا
خائبين ومكثت ابنة الوزير أياما ثم ماتت بما هى فيه من الاصابة ولم تفدها سطوة
والدها وكثرة سعادتها فسبحان من لا يعجزه شئ فى كل حال وهو الكبير المتعال فرأى
ثعبانا عظيما قد انحصر بين أفنانها ومات فعلم الحراث انه أراد ان يمر بقوة فالتصعربين
غصنين ولم يتمكن من المرور ولا من الرجوع فمات منحصرا وكانت تلك القطرات هى
امسابه وهى تقطر منه وهو فى سكرات الموت مما يكابده من الاختناق فصارت ذاك السم
بقدره القادر دريا فالعلة الصبية لان القادر اذا أراد قضى المراد فأنشرح صدره مدوح
وغابت أفكاره المؤدية الى الفتور وترك اليأس والتعبت بالامل حتى دخل العراق
ومكث بها أياما يدور بين الازقة والخانات ولم يسمع بذكر شئ يستدل به على مرامه ولم ير
اشارة ترشده على وجود مالك فراجعته القلق وضاق صدره عقيل لما رأى مولاة وقد
أضر به الانتظار والجوى ولوعة الوجد والهوى فقال يوما لعقيل ان لم يغثنى الله بمنيتى
شربت كأس من منيتى لاني كنت هائما بدخول العراق كائنى سأتقى بها مرضى ما لقيته
الصبية من الدرياق وقد ضاق على الحال ويئست من الحياة وعلمت ان ما لكالم يكن
موجودا وسولت لى نفسى انه بت التسديد فالحقه ادبارى فبادره بالفقد قبل ان ألقاه
فلمتنى الحق به قال عقيل مولاى اذا اشتد الكرب هان ولك البشارة فى هذا الاسبوع
لانى رأيت رؤيا تدل على السعادة ولكن لا أفسرها حتى تتفسر بنفسها وصار عقيل

يقصم محافل الرجال ويقول قد أعياني ضعف ولدي ولم أجسده عرافا فقالوا عليك بندي
 اللوح قال ومن هو قالوا راهب في صومعة وهو منجم حاذق ف جاء الى سيده وقال سمعت
 بك منجم وأملى ان تزوره فيأخذ لنا طالع فقال مدوح أمثلك من يرتكن الى قول
 النصراري ما هو الا دجال جعل هذه الحرفة في الصيد النقود قال عقيل نتسلي بقوله
 برهة وماذا علينا لو دفعنا له درهمين وضحكنا عليه ساعة بهما قال مدوح قم بنا اليه فقاما
 وصارا يسألان على حجرته حتى استدلا عليها وكانت مادة عقيل اذا دخل بندرا يعصب
 عيني مدوح بعصاة يسد لها من أعلى جبينه حتى تتوارى عيناه ويتنظر من تحتها حذرا
 من ان يعرفه أحد ويخبر به الاخصام فيلقوه بمكرهم فصار الاساترين حتى دخل على
 الراهب وقد وضع صليبا كبيرا على باب صومعته فتبسم مدوح وقال يا له من اشارة قامت
 بكل بشارة قال عقيل نعم وحقك اني لم أسمع هذا القول منك أبدا فسبحان الناطق على
 كل لسان وان كنت هازئا بقولك فتقدمت جنود الراهب بالصلبان على صدرهم
 فسألهم عقيل عن كيفية استخراجهم قالوا يقرع على اسم الطالب حتى يخرج بيد صاحبه
 فيتأوله كتاب القرعة وكانوا عشرة رجال غلاظ شداد فدخل عقيل وتلاه مولاه فاذا
 الراهب جالس على حصير وكتابه بيمينه فخياه وجلسا أمامه فناولهما مخلاة فيها ما ينوف
 عن ألف اسم من أسماء الرجال والنساء وقال اعرف اسمك يا ولدي فصار الراهب يجبر
 الاوراق من مخلاة أخرى فيها أسماء الكواكب والافلاك ومدوح يصحب من مخلاة
 الاسماء وكان يطيل النظر في اللوح الذي بصدر الراهب وعقيل يستغرب ذلك منه حتى
 نفذت الاسماء باسرها فقال الراهب ألم تجد اسمك في هذه الاسماء قال مدوح لا والذي
 فرق الاديان لم يكن هنا انما أراه فوق اللوح الذي بصدرك قال الراهب وما الذي رأيته
 في اللوح قال أنا ومدوح قال الراهب وأنا عبدك مالك وضمه الى صدره وبهت عقيل برهة
 طويلة ثم كشف الوزير عنه عصابةته وهو يقول

أبدر خلتني أم وجه حي * انفع المسك عطر ربيع قلبي
 أم الايام اهدتني بروح * على روعي فعشت بدون طب
 فراقك والذي أهداك حيا * لعيني قد ضلنا قلبي ولي
 أعز الله ايلافيه يدرى * تجلي نير من لطف ربي

عزيزي فديتك من مصون جعل الله منة لقائه على عبده أكبر احسان بعدما تقلب ذلك
 العبد في دنار الحسرة والهوان عزيزي وحق حقوق أهلك ما أهملت في الخدمة يوما
 ولا تخيلات عن ملاحظة التدبير ساعة من حين ماضيت بخطاب ذينك الخائنين ولا
 صدقت ان الخنا م ختم ببنان العادل انما الوقت لا يسع الحديث وواجبات الشكر قد
 وجبت تأديتها على المملوك لان اللبس قد انتصف وأحب راحتك فبفضل مصحوبا
 بالسلامة الى مأوى استراحتك واتى آتيك صباحا لا عرض قصتي على أعتابك فلعلي أفوز

بالالتفات وأخطى من تهيئتك لتدبيرى بالعنايات قال مدوح أيها الشفيق وعزة
 سرورى بملاقاتك وحبورى بمناجاتك انى لم أطق ان أفارقك لاني كنت أرى هذا
 الوجه البشوش بازاء أبى قلب سمع الزمان بمرآته تخيل لى ان العادل امامى وأنابى النيرين
 فلا تحرمنى من رؤيتك بحق شفقتك قال الوزير وعزتك ان فراقك الآن عندى أشد
 من غمرة السكرات لكل مشرك بالذات انما لم يمكن عندى قصر ولا فراش يليق
 لنومك فيه ولا استعداد طعام يسوغ لى ان آتيك به فقهقه عقييل وقال يصح لى ان أقول
 دهشت أيها الوزير فكلمات مولانا على الثرى وتغذى بخبز الشعير فدق الوزير ركفيه
 وقال الامر منه واليه أظن ذلك قبل ان يلقاك وتلقاه قال عقييل وحقت قبل ذلك
 وبعده قال الوزير لا تسمعنى ذلك الحديث الا ومولانا بعون الله مستوى على تحت قلعة
 بغداد فاختشى ان تنفجر حشاشتى قبل ان أفوز بالمراد ثم قاموا الى البحر وتوضوا وأدوا
 واجبات الشكر وقال تكرم أيها الملك السعيد فى السير الى مخدع وزيرك ومشوا حتى
 لحقوا بذي الجبل ففتح باب مغارة غيرة دهايز منحدر وعند انتهاء الدهليز وجد أرضا
 فسجة محشورة بالمها مات وبها ما ينوف عن مائة رجل فنادى الوزير بأعلى صوته البشر
 البشر يا رجال العادل قد قدم رب الخلافة عليكم فهاسا طائسكم مدوح يبدى السلام عليكم
 فسجدت الرجال شكر الله وحيوا بالخلافة اياه وفرش كل منهم ثوبه وعباءه حتى ارتفع
 الفراش عن الارض وقال الوزير اجلس يا نور العين فجلس الملك واصطففت الرجال أمامه
 على أقدامهم والوزير والنديم على مقاعد من الاحجار حتى طلع النهار فرام الوزير ان
 يطعم مولاة فلم يجد سوى الخبز والماء لانه منذ لاقى ذلك الخطاب عند ما فارق مدينة الهم
 آلى على نفسه أن لا يذوق سواهما ولولا خوفه على انحطاط التدبير لمات جوعا قال
 مدوح شفيق انى لم أطق ان أذوق شيئا لتغذيتى بمسرة لقائك ولو كنت على سماط أبى
 فكنت مدوح والوزير فى أهنى محادثة ثلاثة أيام بلياليها فقال عقييل مولاي أنت ترك متاعنا
 بالخان وليس لنا من نعتد عليه قال الوزير ان رأى المولى أن نذهب معافى غد لارى الدنيا
 أهى كما كانت أعلمها أم تغيرت لاني منذ خرجت من ايران لم أحضر بمحفل ولا برزت الى
 سوق فيه رجال ولا زقاق ولا تساهرت فى غير التدبير مع الرفاق قال مدوح نعم الرأى
 فنادى الوزير على رجاله وأمر أن يتشكل كل عشرة بزي واحد ويخرجوا من المغارة عشرة
 فعشرة وينتثروا فى المدينة وتشكل الوزير بمئة مغربى وخرج مع السيد والنديم
 وأحكا قفل المغار ووضعت العشرة الاخيرة عليه صخرة فسدت بابه وصاروا الى الخان
 حتى دخلوا حجرتهم وجلسوا سويا فقال الوزير اسمع مولاي ما أقول مرادى أن أعلم حد
 ميل الرجال اليما وأختبر حالة العمال أهم ما زالوا على شغف الى العادل أم مالت قلوبهم
 الى الاخصام فقام الوزير ولبس ملابس الغريبة وصار الى عامل العراق فاستقبله
 وعظمه وسأله عن كيفية نقل انى سياح فى حب الله أجوب البلاد وأعبد رب العباد

قال العامل أرشدني بنصحك قال الوزير أول الرشد اطاعتك للملك فهو ولي أمرك
 فتغرغرت عينا العامل وقال كيف يطاع إذا أمر ولي الأمر بالنظم قال من أين تعلم أنه ظلم
 وللملك سياسة يحسب بها الجاهل ظلما قال العامل لما عرفت من عدل العادل السابق
 فقال الوزير لا بد أن ابنه مقتبس من عدل أبيه لأن الولد سر أبيه قال العامل وأين
 ذلك الولد ليمتسه باق قال الوزير أمات قال لا وليكن لا ندري أين هو أمات في غيبته أم لم
 يزل حيا قال سألني بالجد في تلاوة كلامه القديم وآتيك بخبره وليكن هذا قولك وما قول
 باقي الرجال فلعنه أحسن البهم وأسوء قال العامل اعلم أن صدور العباد بحجر أمرار
 العباد وحقل ما من أحد من رجال العادل إلا وهو مفؤد بحسنة يتقلى من ظلم
 الملكين في جبرته قال الوزير لا تتفكر فانا أجتهد في البحث على وجود ذلك الولد الطاهر
 واعتقده حتى باق فقرت عيناه وظهر سروره وقبيل يديه في الحال وقام الوزير من عنده
 مستبشرا مسرورا ورجع إلى مولاه وأعلمه بالخبر وقال سيدي اعلم بشغفك على اقدام
 نيل ملكك فهل لك في الاستراحة أسبوعا لا نتحقق اطمئنانا عليك ثم نباشر العزيمة على
 بغداد لاتمام المراد فأجابه بمدوح على وفق رغبته فسامره عقيق في غيبة بمدوح وقال
 اعلم سيدي أنه منذ رأى متاع عرسه وسمع من الأماجم كذا وكذا وقص عليه الأمر مختصرا
 وهو مشغوف بحبها مشغول بالوقوف على حالها فأملى أن تعدده بحديث ليتسلى به
 قال الوزير نعم ما أشرت فلما كان الليل قال الوزير أرأيت أن أعرض على أعتاب مولاي
 حديث وزيره ومناهج تدبيره قال بمدوح وأنا أشتتني أن أسمع ذلك في طيب هذه
 الاوقات بكل شوق من النقيض إلى القطمير ومن الصغير والكبير والجليل والحقير
 فتقدم الوزير واستفتح بالصلاة على الحبيب وقال اعلم سيدي أيديك الله بنصره ان أول
 تدبير سياستي لولي نعمتي والدك كانت تلك الحروف التي علمتك بها ثم افتتح مخزن أرضي
 بارض خزينته التي بداخل قصر نومه وهو ممتد إلى الكوفة لا ذخار ما بقي بعد مصاريف
 الحكومة ومنتجبات غنائم الغزوات مع ذخائر الاجساد من أنواع الجواهر والدرر
 بشرط أنه لم يطلع أحد على هذا الأمر الا أنا وهو وعالم الاسرار وأما الخزينة التي كانت
 تحت حيازة دشنام فليس بها الا الاموال التي لا تستغنى عنها المملكة وما بها من الامتعة
 كالوجود في أكف الزمان وكافة الامراء والوكلاء لا تعلم الا بها كذلك خزينة السلاح
 التي بيد غدور والاسلحة التي هي عديمة الوجود كانت في الخزينة السرية وفي علمك
 السامي طيب الملك خبير وهو أصدق عبد في الصدق والامانة وأما ما كنت تراه من
 ميله إلى ذينك الخائنين فهو بتعليمي له لانه كان جاسوسا مني عليهما لا قف على كنه
 ضميرهما فلما كنت بآيران وجاءني ذلك الاعلان الاسود وقال فيه أنك قتنت باحد
 بنات الافرنج وأبقت معها لي بسلاطها وأمراني فيه أن أتوجه إلى تلك السلاط للبحث
 عليك فاني لما تلوته واقيت ما لقيت من الفجع والفرع راجعت نفسي وتخليت عن

الذهول وتفطنت فيه فلم أصدق ان هذا قول مولاي وأمره وعن لي انهم مات وان هذه
مكيدة دشنام وغدور فأرسلت من معي الى بغداد على حسب الامر وكنت لاحقا بهم في
حالة التنكر وأقصى مرأى استدلال على وجودك وكيف استقامتك فلما دخلت صرت
أدور بالليل وأختفى بالنهار خوفا أن يعرفني أحد بالذات أو الصوت ولست أخشى على
نفسي وحقتك من الهلاك لكنني أريد بقاءها فاعلمها تتوجه بخدمة فيها لنجدتك ونفعلك
فكنت ذات ليلة أدور كالمعتوه لاستراق السمع فسمعت أنينا فاتبعت الصوت فاذا اثنان
من الزنج موثقان بين الصنوبر وقد تشرحت أجسامهما من الضرب وهما يتلظيان من
العطش فبادرت اليهما بالماء وسقيتهما حتى دريا وغسلت وجوههما وحلات وثاقهما
وكنت ملتصقا بشوب فشققتهم نصفين ولفقتهم به فاستراحا وتكأما فقالا لي انج مولانا
بنفسك جزاك الله عنا خير اقبل أن يرالك أحد فاذا رأك قتلوك ولا شك فقلت وما
جريرتكما التي أدت لئلا أنتم عليه قالوا قد أمرنا القيمان بقتل مولوك لهما قد سرق
أمتعتهم وقتلا غلاما لهما وقالوا انتظر انا نسمع الجبل حتى نأتيكم به فلما أتينا به سلماه اليهما
وقالوا فعلا كما أمرنا كما فخر جنابه الى صحراء المقابر لنقتله ونواريه في أحد القبور فقتلنا
فيه فاذا هو في أحسن صورة وجمال ولم ترض نفوسنا بقتله فقلنا له لما خنت سيدك
وتجاسرت على هذه الجنابة فأطرق مليا وقال النفس والشيطان غلبا على قافلا كما
أمرتما فلما سمعنا ذوبة لسانه لم يهن علينا قتله وتركاه وبحشنا على ذئب وقتلناه وجثنا
بدمه وقامنا للفتى اذهب بروحك وأسرع بالخروج من أقطار بغداد وأياك أن يرالك أحد
فمقتل نحن وأنت ثم أتينا بذلك الدم اليهما وأتحفنا بلباس ونعال حجر وكنا ذات يوم
نتكلم في شأنه سرا فسمعنا أحد غلمانهم فوشى بنا وقال انهم ساءلهم بقتلاه فأحضرنا
ثم قيدنا وقررنا بعباد شديد ونحن مصران على القول باننا قتلناه فأخرجانا من بغداد
وأبعدنا عن الناس وأمر اعمالهم بعبادنا حتى نقرأ ونغوث وكل يوم يأتونا ويضر بونا
ونحن مولعون عطاشا كما رأيت حتى أدركتنا أنت فتأملت في القصة فلم أشك ان ذلك
الفتى سيدي فقلت لعل الله جعل هذين العبدین سببا لنفسي فأول بشارتهم ما اطلاق سيدي
حيما فاجتهدت في انقاذها وسمعت في خلاصهما وقلت عسى أن يحسننا جزاء صنعي معهما
فيكونا متكائلا استدلال على أملي فقلت لهما اني اتخذتكما ابنين لي وسأسعى في نجاتكما
بروحي وصرت أحمل الواحد حتى أبعده عن المكان فأطرحه وألقه بالثاني حتى أدنيه
منه ثم أحمل الاول وهكذا حتى وصلت لقرب فوهة ذلك المخزن الارضي فاختفيهما بين
الصنوبر وأتيت باب المخزن وأزلت التراب عنه وفتحته وسددت الباب الذي منه
الطريق الموصل الى خزينة القصر بالحجار ثم جئت اليهما وقلت وجدت حفرة أظنها
كانت دارا قديمة وعلت عليها الارض وأنا أواريكما فيها وأعالجكما حتى يمن الله بالشفاء فصارا
يدعوان لي بكل جهد ويشكران فضلي ولم تساعد هما الانفاس الا بالصعوبة ثم حملتهما

واحد بعد واحد حتى أنزلتهم ما فيه وصرت أخدمهم إيا حضار الطعام والشراب وأعالج
جراحاتهم إياهم حتى شفوا وصاروا يترقبان الخدمة أمرهما إياهم فقلت لهما اني قدمت
بهداد أرجو احسان الملكين فكيف علمكما بأخلاقهما في المنة فدقا الكفوف وقالان هما
وحدثك ليسا بملكين قطع الله دابرهما بل هما قيمان لخزائن الملك العادل وكان له ولد واحد
فما تعرض أقامهما في الحسب بالنيابة عنه وسلمهما ولده فلما توفي توليا مكانه وطغيا وتجبرا
وأبعدا ولده عن الناس ولم ندر حاله قلت وأنتم ما كنتم قالوا كنا حراثين بضائع الوزير
مالا فلو كان مولانا بارضا لم يملككما أمر علمكما فطاب خاطري بسماع هذا القول فقلت
حسبنا الله ونعم الوكيل لو كان يمكننا غدرهما وتسلم الملك ولده لكان أحسن صنع فدقا
صدرهما وقالوا نعمكما منهما اصيرناهما جذاذا ففهما اللذان أمر ابصا بنا وضر بنا لان
الغلام الذي لم تقتله كان غلامهما فاستبشرت بهذا التصادق وقلت أن أول سعي نصح
بشارتي بحياتك وبغض الناس لهما ما فادرت بأول التدبير وتوكلت على الرب القدير
وقلت لهما انه قد وصف لي أحد الا جاويد هو شخص يسمى خبير فهل تعرفانه أو وزير
هو أم أمير قالوا نعم فله هو كان طبيب الملك ولما حل بالعادل ما حل بلي بعله التقاعد وهو
الآن لا يخرج من بيته فقلت في نفسي فيه قولان اما أن يكون حقا قد تعرض بفضيحة
بفقد مولاه واما أن يكون تعرضه تصنع العادة عنهما حيث مات الكبير وغاب من العين
الصغير فليت شعري ما حجة الخبر فقممت من عندهما وجلست بعيدا وصرت كافي أبي
وأناؤه فقد ما على وقبلا أقدمي وصار ابني كان حنانة على ويقولان جعلنا فدالك ما الذي
أبكاك قلت قد أودشتني أهلي وعيالي ولم أجدا الى الرجعة سبيلا الا بالمساعدة قال وكيف
تكون المساعدة قلت يا بصال رقتي بطلب الاحسان الى ذاك الطبيب قال فمن نوصاها
على أعيننا ولو نقتل فداعوا لانا قلت اني أريد أن أرسل أحدا كما متسكرا لاجل أن لا يعرفه
أحد قالوا نعم دونك وما تريد فأحضرت ملابس النساء وألبست أحدهما وكان أجودا
فلبس وعصب رأسه وحنى يديه واكتحل وتطوق بالخرز وأسلمته الرقعة بخطي وسأته
عن حاله أتصنع أم حقا ثم ربطت رجل العبد بخرق مذهنة وأمرته أن يخرج عرجا
شديدا واكثر يث له بعيرا وأركبته اياه وناولته الرقعة فصار مع الركبان حتى دخل بغداد
ودخل على بيت خبير وجلس على بابيه ثم وبيكي من ألم رجله وهو متكئ على عكازين
مطروح على الباب وهو يقول ادركوني يا أهل الدار واقصدوا الاجر والثواب فسمعه
خبير وكان كثير الحنانة على المرضى فأمر بادخاله وأدخلوه فجلس بجانب الحائط يدعو لهم
ويتأوه على حسب ما علمته فأحضره خبير أمامه وقال حلي عن كراعيك يا جارية قال العبد
لم أقدر المسها فتقرب منه خبير وأراد أن يحاها فأمسك العبد إحدى يديه ونمزه فيها فلم
خبير انها غمزة فقال أعندك ألم في الركبة قال نعم عندي قال خبير فسلمني ذاك العضو
فسلمه العبد الرقعة مدسوسة قال الوزير وصرت أنا يا مولاي أتقلب في دثار الانتطار

حتى قدم العبد على وفي يده خمسة دنانير وقال لي ببشاشة هالك الذهب وهو يقول كلما
 احتجت اليه فاعلم به يحضر لك قلت وما الذي رأيته منه قال سيده أديب اسكنه برجف
 وتصدر دموعه بلا داع قلت كيف ذلك قال تقدم لان يحمل رجلي واتكأ على يده كما
 أوصيتني قال أعندك ألم قلت عندي فارتحف فلما ناولته الرقعة دساوقتها وتلاها زادت
 رجفتها ودموعه وصار يكرر تلاوتها من فويشها ويقبلها ويقول لغشطي بالشواب ثم
 وضعها فوق صدره وغطاها بالملايس وجثني اكرامى وكتب هذه وناولني الدنانير وقال
 عجل بالسير وكما أراد فانا حاضر لنأديته فتلوت كتابه وقد بسط فيه يوم فقد مولا ناو كيفية
 لحده وحسرتة على عدم علمه بمستقر لك لانه أراد أن يقيم معك واستاذنهما بذلك فلم يرضيا
 وغطيا عليه أمرك فكتبت له رقعة وبشرته بحياتك لاني لم ادهيت بذلك الامر المتصنع
 من الخائنين ورجعت الى الكوفة متسكرا فيكنت أسهر بالانغارات وأبيت ليلي أني فقد
 الملك وفقدك حيا ويغلب على الطن ان الخائنان الحقائق به فغلب على النوم ذات ليلة
 فرأيت كأنني في البستان المعهود الذي دفن فيه سيدي وهو جالس يخاطبني وأنا أمامه
 فقال أي مالك ما هذا العويل وما الفائدة العائدة عليك منسه أترضى خيبة أمني فيك
 وما أعددتك الا لمثل هذا اليوم فهذا وقت مزية تدبيرك وقد جعلك الله سندا للولدي من
 بعدى فترك بحقي عليك ما لا يفيد واسلك سبيل مامنه تستفيد واسع يا وزيرى بتدبير
 رأيك الصائب وساعد بساعد السعي في المطائب ولا تندهش بعصية فتسد العادل
 واجتهد كما عودتني بصدق القلب والقبال واعلم بان الملك عائد لممدوح بعون الملك
 القادر الجبار مكنو الاليل على النهار فليست جاهلا بصدمات المحن ونازلات الفتن
 فالادبار سبع سنوات ثم يقرب باليمن ويقبل الاقبال بما اشتهيت من الزمن فقامت من
 نومي وصوته في الصماخ فحمدت الله الذي من على بهذه البشارة وأنعم وعلمت انه في دار
 الطق لا ينطق الا بالحق فثبت جناني ونطق بالخير لسانى فبشرت خيرة بحياتك
 معتمد على هذه الرؤيا وقلت له تكفيك هذه البشارة انما أعرفك ان حديث التدبير
 الذي هممت به لا تسمعه الرقاع فأمل أن تغزيارزى النساء وتحضر الى وأخذ العبد الرقعة
 وسار حتى أوصاها له وانتظرت مسافة الغياب والاياب ثم حضر العبد ومعه الطبيب
 فأخذته ودخلت به المخزن وأجرينا نخبة الاحباب ثم قلت له يا صديق الخير هذه وقت
 السعي والصدقة قال أنا بين يديك قلت عندي المال وأملى الرجال وأرى ان هذا الامر
 لا يتم الا بمساعدتك لانك في هذا وسيتاتي وستصدق بسعبك عند حسن الختام حياتي
 فالروحى تحت قدميك ولسان طوعى يقول ليبيك فقلت أول السعي تطهر شفاءك
 وتخب برد شنام وغدور بذلك ثم تذهب اليهما وتزداد في اطهار الشغف بهما والحنانه
 اليهما وتعرفهما ان أسباب مرضك شدة حذر كل عليهما من مكاييد رجال العادل وتقول انك
 تمسى وتصبح في فكر تدبير حيلة لا منك عليهما حتى ألهمك الله حسن الختام في التدبير فلما

انشرح صدرى بلطف عاقبة امرى زال عني المرض وصحمت على دمار هؤلاء الرجال
 بالتدريج بحيث لا يعلم بي أحد فلما يتم الامر الى هنا حضر الى كل أسبوع لانتخاب بما صار
 وتحدث بما تراه فتهاال وجهه خبير وودع الوزير وصار الى منزله وباكر القيمين باخبار
 صحته وحضر بعد يومين لديهم ما بكل بشاشة وقبل أيديهم ما وجلس أمامهما بيت مرويه
 فسرابه وسألاه عن أسباب مرضه فقال أجد الله الذي متعني بهذا الادراك وألهمني هذا
 التدبير حتى أمنت عليكم من كل سوء قالوا وما الذي كنت تخشاه وكيف أمنت قال علينا
 بالخلوة فدخلنا معه قال خبير في علم سيدي خلوص ودي القديم وحسن صداقتي اليهما
 قالان نعم قال أسباب عاتي حذري عليكم من مكاييد رجال العادل فكنت دائماً مشغول
 الفكر تأمل في معرض ازالتما عنكما شيئاً فشيئاً بشرط أن لا يدري أحد بما حل بهم
 ولا يشيع أمرهم فكنت ذريعة لذلك فأنحسر وأدتنى الحسرة الى البقاع فلما كان
 الوقت من الله على وألهمني ما رمت وطابت نفسي وشفيت من عاتي وأملى الاسعاف
 بالتجهيل فسر الرجال وقالوا وكيف ذلك قال أحضرت من النباتات المرقدة خلاصة
 وكانت تلك الخلاصة سما يتدمره سبعة أيام في صفة الحى ولا محالة عن الموت بعد
 السبعة أيام فالذين أعهدهم من المبعضين لكما أدسه لهم فيموتون واحداً بعد واحد باحسن
 طريقة ولم يشعروا بهم أحد حتى ينقطعوا عن آخرهم وتطهر المملكة من بغيم هذا ما على
 وأما ما عليكما أن تزيد امرتبات عيالهم ومعاشاتهم لتأييد دفع الشبهة ويكون غسل تلك
 الرجال ودقهم بعرفتي وذلك ليلا لالستر على الامر لان شعائر السم تظهر بعد الموت ببرهة
 قليلة أيضاً وتكون اللعادون من طرفي واني سأشيع في غدا ظهور الحى وأعلن منع
 الاغذية الحارة قال الوزير فسر ابرأيه وأجازاه بتحف جليسة فلما كانت الغداة أشاع
 خبير ظهور الحى وأعلن أمره ونهيه وأمر الملك ان كل من أصيب به لا يعالجه الا خبير
 وكلما احتاج اليه العليل يكون من الخزينة معرفة خبير حتى التجهيز والتكفين واللعن
 ورتب له أربعة أنفار ينتخبهم هو كما يريد وكان من ضمنهم هذين العبدان اللذين أنقذتهما
 فصار خبير يأتى ان يعلم صداقته ويريه الامر بخطى فيطير فرحاً ويخبره بالجملة فيرقد من
 ساعته وخبير يستولى معالجته حتى يقضى عليه ظاهراً فيأتهما ويقول أراحكم الله من
 فلان فيفرحان ويأمران بتجهيزه كما تقرر وكان خبير يقداً كفاً بازاء أنوفهم للتنفس
 فلما يصلون الى اللحد يتقدم العبدان وينزلان في القبر ويلقيانهم ويتزعان أكفانهم
 ويسقيانهم وكان الطبيب أمر بعدم سد القبر الى الغداة اذ ربما تردأروا وحدهم اليهم فلما
 تنصرف الناس يخرجون من القبور وقد أحضرت لهم الدواب فيركب الرجل مع
 العبدان حتى يوصلاه الى وصار الامر على ذلك حتى قدم على عشرون رجلاً فشرعنا في
 حفر الخبايا الى العسراق والرجال يتسللون علينا بمعرفة خبير حتى بلغ القدر ألف رجل
 وكنت أشكل كل عشرة بشكل وأخرجهم للرياضة وكما وصل حفر الخبايا الى بندر

أجعل له بابا فيه من عند الجبل أو داخل ارمان وأطلق في ذلك البندر مائة رجل كل عشرة
بشكل يخرجون عشرة بعد عشرة وأقلدهم بالأسلحة الحادة وأسلم المفتاح لقيمهم وكنيت
أخرجت صندوق مال من الخزينة وجعلته عندي وكل امتد الخيما أخذته معي حتى
وصلنا إلى هذا البندر وقد ندرت لأقوم ما يكفيكم من الأسلحة وهمت باستنشاق زهر
حديقتي واجتماع عشرة سعي لدولتي فخرت فكري ونخلصت ذهني لتصوير كيفية
للبحث على سعادتك ولم يسعني فعل ذلك ظاهرا إلا في أخشى الاشاعة فيسمع الخائنات
ويسميان بالبحث عليك فرتبت تلك النظارة ونقشت عليها الأحرف التي لا يعرف أحد أن
يقراها غيرك ووضعتهما بين مسالك الثغور ونصبتها فوق ذلك الجبل وتضرعت لمن
أوجدك أن يحميني بوجودك قريبا لأجعلك لجراح قلبي طيبا وها قد أجاب المنان
دعوتي وأتقني بيد عزى ودواتي قال حمدوح سأشكر همتك ما هب النسيم وناح
قري على غصن قويم لكني أعلمك يا ذخيرة والذي أتى قصدت التجارة لا شغل نفسي
بالأخذ والعطاء فصادقتي متاع بوران المعدل فافهما فلما رأيت العقد والسوار تحرك
عندي لأعج التذكار فأجبت أن أستدل على خبرها فاسافرت إلى إيران فلما قابلت
الاعاجم سألهم النديم عن حال الملك فاجابوه بحديث ما وقص عليه ما سمعه منهم فرادى أن
أستدل على خبرها بنفوذك وأعلم أماتت وقضى نحبها أم مازالت بقيد الهوان يزاد
كربها فان كانت ماتت فأنالله وان كانت بقيد الحياة فتسعى في لم شملها والتوكل على
الله قال الوزير عزى لا توهم فكري بموتها وحقق انهم على قيد الحياة وستفوز بقربها
في أقرب وقت في أشرف الاوقات ألم تر نعمات السعد قد بانت لك بلطف ربك فكل
فوز بعونه لاحق بك واعلم ان خروجها من حيازة أبيها صيانة لها من مس كغيرك
لانها لو مكثت عنده كما تقر رز وجهها ببن أخيه فلا غرو ان غيبتها عن وطنها صيانة لها حتى
ينتهي زمن ادبارك وتلك محنة قد عمتها لانها في عصمتك فادبار الرجل واقباله لاحق
بعمره وهذا دليل على خلوص صداقتها في الالفه لان الزوجة ان لم تكن تقية الخلوص
لا تكثر بضم الزوج ولا بغمه ولا تشاركه في همها فاذا نال نعمة أحبته وغنمت بها
وان أصابته نقمة همت بفراقه وتحت عنها وقد زالت سيدي تلك المحن وانك عقال
الطالع فقد كان الادبار يعقبنا في كل نية فدفعته يد الاقبال واهدتنا كل أمنية وتحقق
لنا مثل التيمورية وهو

يد الادبار ألقيني * بحجب اليأس واختزلت
فغارت كف اقبالي * ولي من وقعتي نشأت
وارقتني بقدرته * وجازتها بما فعلت

فادفع عنك سيدي ما يهلك من الفكر وقد تم أمر المحب ونحن نتوكل على الله في العزيمة
على بغداد فرجالنا نصير من باطن الخيما ونحن على حشدتنا نسير من الخارج في رزي

الدراويش ونقوم على كل بند رحلتنا به نسترق الاخبار ونأمر الرجال بانتظارنا في
 الكوفة ويخرجون عشرة عشرة بخلع مختلفة فان تحصنا على خبرها حصل المقصود
 والا فلا بد لك من حسن الختام بعد تنفيذ المملكة وتخلصها من أكف الانزال فلما غلظ
 تختنا ونقهر خصمنا نستريح اذهاننا لك على ان أجدا البصير عليها وأغيب ولا أحضر
 الا بيشارة وجودها قال مدوح نعم ما أثرت به من القول الصائب انما يكون في شريف
 علمك اني لم أتهنى بشئ من ذلك المكث حتى أحظى بوجود من رضيت بالذل وتركت
 عزها لاجلي فان وجدت تم سروري والافظي بك أبي وتخلص تختي من الانحصار
 بكفيني وأتقلد بشعائر الرهبان في طرق الزواج وأعيش محروما من البنين والبنات الى
 الممات والمالك بعدى لصاحبه مع علمي بان كل أديب يلومني على سوء تدبيرى حيث اني
 أقطع النسل من أجل صبية لم ترني ولم أرها ولكن لا حيلة لي في قضاء الله وقدره قال
 الوزير مولاي ان في خزان غيب الباري ما لا يخفى على الببال من النعم وقدر أيت من
 تلك الغرائب نبذا تحقق لديك قولي فصمم على الخير حتى تلقاه وأنت بالخير ثم نهض به
 الوزير الى السوق واشترى خلع الدروشة وأمر الرجال ان تتأهب الى الرحيل بالزاد
 وما حضر من الاسلحة وكل رجل يحمل زاده وسلاحه على حسب طاقته وكان فيهم
 مستشار العادل وهو الآن أمير الجيش المدوحى وبادر الوزير بنقل أمتعة العروس
 الى فوهة المنجبا وسلمها اليه وهو داخل خمسة صناديق ورتب له عشرة رجال تحمله
 خمسة بعد خمسة وقال للأمير اذا وصلت الكوفة فصف الصناديق في فسخ المنجبا فقلد
 الأمير بتلك الخدمة وودع بعضهم بعضا وساروا على بركة الله وتوكل السيد والوزير
 والنديم على صاحب اللطف القديم وعادوا الى المدينة واشتروا بعيرين وركب الوزير
 والسيد على واحد والنديم والزيد على الثاني فكانوا كلما دخلوا بندرا ينساب مالكا
 لاستراق الاخبار والنديم يكتم المسامرة المولى حتى قرب الدخول الى بغداد فدخلوا
 ذات يوم بندرا عظيما وكان الدخول عند الغروب فأنأخوا أظعانهم وشدوا خيامهم
 وكانت ليلة البدر وكان الفضاء فسيحا وكلام من القوافل ليلا يبيت به للاستراحة
 فاحتاطت بهم الركبان وجلسوا معا وانفرد به طامسة فقال أحدهم رجال القوافل
 جزى عنى زاهد هذا القطر خير الا اني نلت بدعائه كلما أماته قال الوزير وأين هو قال في
 صومعة هذا الجبل وهو أشهب اللحية نوراني الصفة مقبول الدعوة بلغ من العمر ما ينيف
 على المائة وهو لا يقابل الناس الا فردا فلما سمع الوزير هذه الشهرة الحسنة أخذ
 مولا والنديم وصعدوا اليه ليدعوا لهم بحسن خاتمة التدبير وتسهيل كل أمر عسير حتى
 وصلوا الى مقر صومعته وكان الزحام كثيرا فانظروا حتى انتهى ذلك وصفا المزار فقدم
 مدوح ودخل عليه وصار الوزير والنديم ينتظرانه بباب الصومعة فوجد الشيخ في
 المراقبة واضع رأسه على ركبته والوزير يلوح من تحتية فجلس الفتى امامه جاثيا على

ركبتيه حتى أفاق من حاله وتحدثنا فطال المكث وغاب على مالك وعقيل حتى ضجرا
وقرب الفجر فلم يسعهما إلا الدخول فدخلا عليهما فإذا الشيخ والفتى مطروحا على
الأثرى لا يعقلان فقربت عقولهما وكادا أن يهلكا فزعما على مولاهما والشيخ وقعت
قلنسوته وأفل رداؤه الملقف به وانتزعت لحيته ووقعت بجانبه وانهدلت على الأرض
الذوائب والتوت على الأصداغ من الزلف العقارب وانكشف الصدر ولعبت الثديان
في ضوء القمر وظهر جمال القصد وسواد الحور وقد الصق الحدود بالحدود والراحة
بالراحة والتم الشمل ببرهة كانت سيبا لكل راحة فلم يشكأنها بوابور ان المعهوده
والبغية المقصوده فبادر الوزير غطاها بالرداء وأخرج النديم زجاجة عطريه وأنشق
مولاهم الصبييه فأفاقا الوقتما وتوارت السيدة بالازار وجلس الفتى شاخصا لها
فتقدمما الرجلان وقبلا الأرض أمامهما وهنأهما بالشمل والملاقاء وبسطا الراحت
بالدعوات لاتمام المسرات وكان مدوح صامتا وتلجج لسانه من شدة الفرح ومفاجأة
المراد والصبية تتوارى خجلا من الرجال فتقدم الوزير وأخذ يساعده مولاه وأقامه من
الأرض وخرج به الى خارج الصومعة وأقعدته على حجر فتمكن من النطق فقال قد بلغني
الله بفضل له أقصى مرامي وصدق بكرمه كلما بسطتموه من الحديث أماي انما كيف
يكون تخلص هذه المصونة من أكف الناس وزعيم البلدة قدرتب لها كل ما تحتاج اليه
وهو يزورها ويتبرك بدعائها وكافة من يبلده فقال للوزير سيدي البسم لابس
وأخذها وتوجه أنت والنديم وانتظروني ثلاثة أيام فلبست الفتاة ملابس الوزير ولبس
هو ملابسها وتوجهوا بها الى منزلهم وجلس الوزير مكانها فلما كان الليل قدمت الناس
من كل فج والشيخ لم يأذن بدخول أحد فلما قرب الفجر خرج الشيخ عابسا وهو يقول
أخواني وأصدقائي كنت أدعواكم من صميم قلبي وأرجو لكم مارمتموه من فضل ربي
فأنا اليوم أتمس منكم الدعاء بحسن الخاتمة لقد كان وقت الرحيل الى السفر الطويل
وبعت القنا بالبقا وتخلصت من دار الشقا وما زال يميل هذا الحديث يتكلم حتى
بحر القلوب وكلم والناس تمكي من وعظه وفراقه حتى بزغت الشمس قال أوصيكم سادتي
اذا جئتم في الليلة القابلة ورأيتموني قد تجردت من الحياة وتأهبت للقضاء عالم الخفيات
ان تحملوني من فضلكم الى ذيل الجبل وتضعوني فوق الصخرة التي هناك وتمضوا في
حفظ بارئكم الى المنازل وتعودوا الى في الليلة التي تليها فان وجدتم جيفتي وألحدوها
وتكفوا المشقة لاجل الثواب وان لم تجدوها فاسألواكم تلاوة المثاني والدعاء بالمغفرة
ومنى السلام عليكم ثم دخل صومعته فلما كان الليل قدمت الافواج فوجدوه ميتا
فحملوه ووضعوه على تلك الصخرة ورجعوا ينعونه ويكون حتى أقبلت الليلة الثانية
فحضروا ولم يجدوه فجدوا في التلاوة والاستغفار وصبروا تلك الصخرة من ارا وقالوا
قد تولت الاقطاب نجه يزه ولم يحج الينا وأما الوزير فزال راقدا حتى انصرفت الناس

افقام والتحف بردائه وقدم على مولاه فوجد النديم والسيد يتحدثان والسيدة داخل
 الحجر فحكي لهم ما دبره للخلاص فاستحسنه السيد وصار يثني عليه فلما سمعت السيدة
 حسن هذا التدبير قالت اودأيها الوزير ان تشعني بمثل هذا التدبير لتكشف هو ان
 سياحتي وتخطي الازل والعمار لذي آل بلدي قال علي العيون فلتأمر السيدة كما تريد
 والعبد في طبق المرام على الوسع يزيد قالت اعلم أيها الوزير انه لما بلغني انتقال الملك الى
 دار البقا ثم غياب هذا السيد المحفوظ دخلت على والدي وأبديت ما أبديت كما بلغكم وقلت
 أنعمها حتى ألحق بهم ما فهم والدي بزواجي كما تقر ربان عمي وكان توقعه عن طامبي لعله
 باني أكرهه وكان يقول سأتركها حتى تكبر عن وقت الزفاف فترضي به فلما قدمت
 ومن الله على بخلاصي منه صار يتلظى من شغفه فلما أسعفه الفلك بما حل به أجاز من
 بشره بالفي دينار و صار يوعد أمراء المملكة باجزل انعام ان ساعدوه على زواجي فلما
 سألهم والدي على سبيل الاستشارة بادروا بقولهم لم يسألها الا الزواج وأمره ان يغلط
 على به وقد كان فلما حان الميعاد أخذت المتاع الذي أتيت به أنت وخرجت متسكرة من
 ذلك اليوم وجديت في المسير وعزمت على بغداد حتى قدمت الى هنا فبلغني ان قيامه
 قد استوليا على ملكه ولم يسألوا عن مولاهما الذي أمدهما بالنيابة عنه وسلمهما ولده
 ولم يصح عنه وأشبع انه أبق مع احدي بنات الا فرج فلم يرج عندي ذلك الخبر وقلت
 وحقهما انها ملكيدة أشاعها المناقاة طمعا في تخلص الملك لهما فلم يمكنني دخول بغداد
 ولم يرضني فراق تربتها حيث انها منشأ مالي فتشككت بالزهاد لا تحصل على القوت
 وكنت أدعولهم بما يخلوص وانكسار فيقبل ربي دعوتي وكنت ادخلهم واحدا بعد واحد
 لا امرهم باظهار سرهم فلم على أقع على خبر أو أنرو كان فكري يتحدثني انه اذا وجد وساقه
 الرب الى لاشك في حصول الانغماء الى فاذا حصل ذلك اقتضت بين الناس وقد كان
 ما تخيلته فاحمد الله الذي أمدني بروية من كان يرغب ان يراني وارغب أنا ان أراه ففكري
 الا كيف أتوصل الى بلادى بشر في وأدخل قلعة أبي بصير ياتي ثم يبعثني هو الى هذا
 العزيز بسياذتي ولا غرو ان كان أبي سيرميني بكل فحش ويلوث عرضي بكل عار قال
 الوزير وحقك اني لا دبر حيلة يعجز عن فهمها الا ريب ويضل عن ادراكها النجيب
 ثم التفت الى مولاه وقال توجهه سيدي أنت الى الكوفة وهالك مفتاح الخبايا فافقه
 ليلالا وانتظر الى حال فاذا قدموا امرهم بالخروج عشرة عشرة وكل عشرة بشكل حتى
 ينتشروا في البلد بالتدريج وأنا أوصل هذه المصونة الى والدها ثم أعود ويتم التدبير
 كما تشتهي بعون المعبود وتوجهه الوزير وبوران الى ايران والنديم ومولاه الى
 بغداد وما زال الوزير حتى قطع البقاع وقرب من الاعاجم فاشترى بالونا وجعل له
 جناحين وارجلا ومنقارا كبيرا وصيره في هيئة طير كبير فلما دخل مدينه الحكيم سأل
 من بوران عن جبل بالقرب من قلعة أبيها فعرفته ان الجبل الذي يمشون في ظله عمدا

الى القلعة و يظهره فضاء كبير يجتمع فيه الامراء والوزراء كل ليلة جمعة للتداول في
الاستشارة في كل امر يهمهم ويقر به بحسب اعزاز والدها التي كانت هي به فاحذها
الوزير واختفيا تحت ذيل ذلك الجبل حتى حان الليل وكانت ليلة الجمعة وانتظر حتى
تسكامل المجلس وهدا الى البالون وشعنه بالنفس وقال للصبيبة اذا ارتفعت انابه فتعلق
برجله فلما ارتفع قبضت على ساقيه وعلا بهامن وراء الجبل حتى قات ذروته وصعد فراه
الاعاجم كانه ظالة فصاحت العصبة واي واي اي غوث واناراي شيدرتوانا وهذه كلمة
تقولها الاعاجم حين ماترى بهول فجأة فقالت المؤلفة هذا وكانت تدعوني ربة
المعالي وكثر اللآلى وأعني بها والده صاحب السموات اسمعيل باشا الخديو السابق نعمدها
الله برحمته ومنعها فسيج جنته بالقصر العالي للترجمة عند حضور اقارب ملوك البهم
فكنت أسمع هاته اللفظة من أفواههن وهي كلمة تقال عند مفاجأتهم بشئ مماو كنت
أقيم معهن على قدر اقامتهن وأنسا من معهن وأستفسر عن عواندهن وأخلاقهن ثم
ان الوزير نزل بتلك الهيئة على جانب الجبل الثاني وهو مما يقابلهم حتى لحقت بوران
بالارض فتخلفت عن البالون فارتفع هو ببالونه وانحدر الى ظهر الجبل وأسرع كانه سائر
الى محله فاندعشت الاعاجم ورأوا الصبيبة قد جلست في البقعة التي نزلت بها وصاروا
يتقربون منها مع الخوف والحدذر لجهاهم بها فلما قربوا منها رأوا المعان الجوهر فارادوا
ان يتأملوا فقامت بسرعة وانحدرت من الشاهق وفرت الى بستان أبيها وصاحت يا أبني
أدركني يا أبني أدركني فسمع والدها صوتها وخرج من عزلته ولحق بالبستان يدون نعال
فرأى ابنته والقوم يهرعون اليها فحملها كالطفل حتى دخل بها الحجره وصار يقبلها
ويقول أبور ان أنت وأنا يقظان أم نائم وهي تقول والدي وعزيرى ليت شعري ما الذي
تخيلته حين مارميت بفقدى فلما تحقق انها هي امر الزمرة بالجلوس فجلسوا أفواجا
أفواجا خارج الحجره فقالت بوران أعرض على أعتابك يا سبب حياتي ثم على مسامع عصبه
أمرائك ووزرائك انك لما أمرتني بترك العزلة ومضت المدة وعلمت اليوم الذي تروم
حضورى فيه لبست ثيابى وجوهري وتأهببت للحضور وخرجت الى الروضة لانشق
النسيم على حسب عادتي منذ أمرت بترك العزلة وصعدت على ككثب لا قابل الهواء
والتحفت بازاري حذرا من تأثير الهواء فاذا أنا بظلمة أظلمتني ولم أدر ما هي فدهشت من
روحي ولم أشعر الا بشئ احتملني وارتفعت عن الارض فغبت عن نفسي وسار بي ماشاء
ثم فطنت فاذا أنا باقطار لم أعرفها وصار ينزل حتى أحسست بالارض كما رأيت عصبك
فألقاني على الارض ونزل يشرب فاذا به طير كبير ورأيت بجانبى عظاما كثيرة فعلمت ان
ذلك الطير يأتي بالذى اختطفه وبأكله هناك هو وقيسه وكانت الشمس قد برغت
فامطت الازار غنى فلمعت الجواهر فلما رآها ذلك الطير فرها ربا وتخييل انها نار فقامت
وتواريت تحت الصخور وكنت كلما أريد ان أتقوت أخرج الى الشمس فتهرب الطيور

والوحوش من يقني وأتناول من أشجار الألبسة والرطبة حتى اكتفى وصرت
على هذا النسق فلما أعياني المصكت ولم أر أحدا ينقذني عزمت على قتل نفسي وكل
أفكاري كانت في تخيلك وتخيل رعاياك لأنك ربما ترميني بالفحش فكنت أصبر وحي
عن الموت وأرجو الله في انقاذي ليثبت براءتي لديك ويشهد بظاهرة عرضي كل من بين
يديك فلما لبست من العود صممت على القتل فخرجت واغتسلت ولبست جوهرى
وتأزرت وجلست في بقعة الوحوش أنطق بالشهادتين فإذا أنا بذلك الطير اختطفني
وعلا وكنت بين يديه أرجو الموت قبل نزول الأرض حذرا أن تكون نراته بارض
عاهرة وتحتاط بي الناس فأقتضع فساقه لطف الله إلى تربى وبقعة تختى ودواتى فلما
تأملت وجدت نخل عزلى ولم يخف على بسستان ولى نعمتى فلما عرفت أرنى ورأيت
قوى وعصبي أحسنست أن كل وريد من ورائد جسمي ينطق بالشكر والحمد فأسرعت
بالدخول إلى الروضة وصرت أنادى بأبى وهذه قصتي وداعى نيمتى وقول بوران كان
على حسب تعليم الوزير يخرج الملك وأمر يدق فسطاط الوليمة وخرجت السيدة بموكب
عظيم في الغداة حتى دخلت قصرها واستأذنت والدها في الاستراحة سنة حتى يترعرع
جسمها ثم تزف على ابن عمها وذلك كان انتظار النمام حسن تدبير الوزير ولما وصلها
المشار إليه ورجع إلى بغداد ودخل الكوفة على مولاه وجده هو والرجال فسربه
وفرحت الرجال ونص الخبر عليه كما جرى واستراح من سفره ثلاثة أيام

الفصل الخامس

ولما كان الرابع نادى على خبير وقال أخى هذه أوقات السعى والتدبير وما بقى
إلا القاييل وهو الوجه الكبير أنت تعرف تلك الخزينة المعهودة قال خبير نعم حق
المعرفة قال الوزير إنى رأيت من حسن التدبير أن تأمرهم بالمبيت في قاعاتهم ومعهم
كل من يشقون به من رجالهم وأنت أيضا معهم وتضع لهم خلاصة من النباتات المرفدة
في الشراب من دون أن يشعر بك أحد قال على الرأس والعين وقام خبير من ساعته
متوكلا على الله في اجراء ما نقله به وقال للوزير مهاتى منك أسبوع وأحسن التسلط ليلة
الجمعة ثم التفت الوزير إلى الرجال وقال أين مقرر رئيس الجيش الآن قالوا بالقشلاق
الجديد يتجأه القلعة فسمى عشرة من رجاله وزادى عليهم فحضر وافشكل كل واحد
منهم بشكل وتشكل هو بزي المغاربة وقصد التوجه إلى بغداد برجاله ناهرا والباقى
من داخل الخبا حتى دخل المدينة ولحق بالجيش وكتابه يمينه وتوجه نحو الأمير ونادى
هل من صاحب حاجة هل من طالب حالة فتقدم إليه أحد العساكر وقال أخى سر هذا
الحديث فقال لم أسره قال مرادى أن أمضى بك إلى رجل رئيس تظهر له ضمير فان
سمعك أحد لم أقدر آخذك إليه قال قد أمسكت نخذي فأخذه العسكرى وأدخله حجرة

وقال انتظروني وغاب وآب برجل وكان الرئيس فعرقه الوزير فارخى عصابته ولفاف
 بلبسته وكان الرجل من مستحقين القلعة من المتقدمين عند العادل وهم ثلاثة اخوة
 خرج أحدهم بحيلة الموت وكان الثاني بعساكر الكوفة فلما سار أخوه أعلمه بدسيسة
 الوزير فخرج على وجهه وظنوا انه أبى فتقدم الامير الى المغربي وقال افتح كتابك
 واسمعي خطابك ففعل فيه ما يحى ميت قلبي فاستقبل الوزير القبلة وصار يتلو الفرقان
 العظيم ثم فتح كتابه وصار ينظر فيه ويستغرب فقال الامير ما داعى استغرابك قال أرى
 ان لك اثنين من عنصرك أحدهما مات امامك وليس هو ميت بل هو حي قال الامير أمر
 غريب قال الوزير والثاني أبى ظاهرا وليس هو بأبى بل هو مع أخيه وأرى ان طالعك
 كان عاليا مع أكبر ناس ببلدك ففقدوا انحطت همك حزنا عليه وان من عنصره فتى بين فوج
 من الرجال والرجال الذين غابا عنك هما ميتة ففاضت دموع الرجل وقال أين ذلك العزيز
 الذي هو من عنصر ذلك الجليل قال الوزير بين رجاله وقد قرب وقت اجتماعك به فارتفعت
 فرائص الامير طربا وقال حقق سيدي النظر فصار الوزير يقلب أوراقه ويريد فيما يؤكده
 قوله عنده فذهب باحد الرجال وقال اذهب الى فلان وفلان وأتني بهما فصار الرجل وأتى
 بهما بعد قليل فاذا أحدهما كاتب سر الوزير وأبوه مستشار الجيش الخفي والثاني صهر
 عقيم لم يفتقد ما وأضر اميرهما وفتح لهما وصار يقول لهما على حسب معرفته ثم قال لصهر
 عقيم ان الرجل الذي كان سند الك وغاب عنك قدم أرضك مع ملك عالي المقام وسيجتمع
 عليك في أقرب وقت باهني مقصود فهاجرت الرجال طربا وقالوا اللهم صدق قوله ثم
 أكرموا غاية الاكرام وأضافوه فلما كانت الليلة الثانية جمع من عساكره فوق
 الثلاثين رجلا وصاروا يتفائلون والوزير يحكي لهم باحق القول كما يعهدهم وقد رأى
 من حالتهم ما أثبت صدقهم عنده فلما كانت الليلة الثالثة قالوا له أيها السعيد قد ضل منا
 فتى وزيد تحقيق أمره فدع الجميع وتحرى استخراجهم وكانوا يعنون بمدوح فقهم
 الملووظ وقال ابن من فيكم قالوا ليس له أب فنظر في كتابه وقال انكم تخفوا عنى صحة أمره
 ولم تأمنوني فآله على كل خائن فقالوا انستغفر الله يا شيخنا انما لو علمت ما بنا العذر لنا قال
 لا حاجة لي بايضاحكم واعتزل بكتابه برهة وصار يتأمل ثم التفت اليهم وقال مرادكم
 لسؤال عن ابن العادل بمدوح قال فلم تمالك الرجال أنفسهم على الكتمان وقالوا نعم قال
 لكم البشرى بقدمه ويحتاج الحال الى جمع كثير ممن وثقتهم من الرجال فاستبشروا قائلين
 امهلنا الى القابلة فلما كانت القابلة قالوا شيخنا كثر الالم بالخيام ونخشى اتضاح الامر قال
 فرقوهم الى المضاء الشرقي بين الكتبان وكانوا أكثر من ألف رجل وخرج الشيخ وجنوده
 العشرة حتى صار بين الرجال وهم محتاطون به وكان الوزير قد لبس كسوة رسمية هو
 ورجاله فقال يا معشر الاخوان قد أمدكم الله ببشارة شمل المحبوب كثوب يوسف حين
 قدم على يعقوب وهو ابن العادل بمدوح قد دخل أرضكم وهو وزير والده يبشر

جمعكم ثم خلع كسوته الظاهرة فعرفته الرجال وانكبت على أقدامه فقال أمسكوا عن
 الهيضة حتى يتم الأمر فجلسوا على بطح الأرض امام الوزير بكل أدب وهو يقول الله
 معيني ومعينكم وأنا أقدم على الكوفة لأن الملك في انتظاري فخذوا أسلحتكم وأعينوني
 بقوة وأروني فضائل العزم والمروءة وكونوا اليسرة الجمعة على استحضار كامل واخرجوا
 نصف الليل واحتاطوا بسور القلعة واعلموا اني بها والملك وعقيل وكل من مات من عندكم
 بالحى بمعرفة خبير كلهم أحياء لم ينقص منهم أحد ثم أسدل ثوبه وقصد الكوفة وعرض
 الأمر على سيده فتقدم الملك ويسل وتزل اللغم والرجال يتقفونه وساروا في جوف اللغم
 حتى وصلوا الى مقرهم وأما خبير فانه لما قدم من عند الوزير مكث يومه ولياته يدور فوق
 الأسطح كلما علمه الوزير بدون طعام وشراب وكان قوته في جيبه والملك كان يرسلان من
 يسبل منه انذير فيقول حتى أعلم قسط الخبر فلما كان اليوم صعدا دشنام وغدورا اليه
 وقال قد أهدأ أمرك فإلداعى لا قامت لك هنا وهو يريد من انه في غاية الاضطراب فقال
 حفظكم الله اني رأيت في الهواء دليلا على مهب ريح السام فرادى ان أتتقق وقت
 هبوبه ان كان ليلا أو نهارا فامنع سيادتكم عن الخروج وأمر كما بالخلوة أنتم ومن تثقون
 به حتى يمضي الأسبوع الذي يهب فيه وتأمر ارجالك ان يكتبوا في بيوتهم والصواب أن
 يكونوا بميتكم وكافة الاهالى لا تخرج الى البرية وان عطلت أشغالها في هذه المدة فلا بأس
 لأن وقاء النفوس أهم من كل شئ فزلت الملوك وأشاعت هذا الأمر وتجنبت الرجال عن
 الخروج وصراد خبير اعترافهم عن الازقة الخارجية لتسهيل تدبير الوزير ومداواة
 أمره عن أعين أصدقائه فلما كانت ليلة الخميس نزل من دورانه وقال اجتمعوا من تثقوا
 بصداقته من الاكابر والامراء ثم انجال الملوك والحرم أيضا فليدخلوا القلعة فالسام ان
 لم يثر في هذه الليلة ويومها يثور في القابلة ولا شك فاجتمعوا جميعا بالقلعة والباقي
 مكث في البيوت الرجال بمدوح خرجت مخفيات لعلها بالتدبير وكانت الاسواق
 خالية وباتوا تلك الليلة يرجفون حتى مضت بيومها فاحانت ليلة الجمعة الا وهم في غاية
 الضبط والربط وقد قام خبير وقفل مناظر القلعة كافة وشدا أبوابها بالوثاق الشديد
 وأدخل الخفرد اخلها فكان حصارهم بالحيلة أكبر حصار وهو يقول طوبى له من
 حبس حسنت عواقبه بوجود شمل ساداتي ومعاينة من هم عين أملى وحياتي وما
 زال يحكم الاقفال حتى صار الحصن كجب مظلم وما زال يحدثهم ببشائر النجاة وصدق طبول
 الهناء حتى اشتد الليل قال احضروا الاشربة المبردة وقد أعدت يا تايي درياق السموم
 فاذا ذر على الشراب يمنع كل حاسة من الشعور فحضرت القناني وقام هولاء ادارة الاكواب
 وصار يسقيهم حتى تكامل العدد وهم يقولون زد فلانا وقلنا فانا فيقول نعم وفي الغداة ان
 شاء الله أدور لاخذ جائرتي عند حسن الختام ثم قال للملكين انه ضا الى الفراش وأمر الناس
 بالسرعة الى النوم فقاموا الى مضاجعهم وكل من أحس باديم الوسادة وقع كالقتيل

فصارت برهة حتى نام الجميع فقام خبير وتوكل على الخبير وقد سلمه الوزير مفتاح باب
 الخبا الذي بالخزينة فدخل الخزينة وفتح الخبا ودق برجله ثلاث مرات وكان
 الوزير تحت الباب ينظر هذه الإشارة فرقى على المخرج والرجال يقفونه ورفع باب الخبا
 وخرج الى الخزينة ومنها الى القاعة حتى امتلأت من الرجال فخرج هو باربعة أنفار
 والطبيب يؤمه حتى أدخله مرقد الملكين فتقدمت الرجال وكبوا وهما بالحد يدوشدوا
 وثاقهما وهما كالاموات لا حس لهما ثم طافوا على من بالقلعة بالاوثقة حتى وصلوا الباب
 القلعة ففتحو أبوابها وخرج الوزير فاذا بالجنس قد احتاط بهم فلما رأوه رفعوا أصواتهم
 بدعوات النصر وبسطوا راحات الابتهاج وصاحوا بالشكر لذي الجلال فامرهم
 برفع رايات العادل ونكسوا كل راية كانت بسمه هذين الملكين فصارت العساكر
 تنكس راية وتنصب أخرى حتى أحيطت القلعة برايات العادل فننادى الوزير على
 المستشار وضباط الجيش وصعد الى القاعة المهيودة وأخرج علم النصر الموضع من الخبا
 ونصبه على منبره فوق قبة القلعة وكان دشنام وغدور يحثان عليه وينهران الجنود
 والجنود لا يدرون مكانه لان ورائه سلالة العادل كانت مسطرة عليه بالدرر وكان كلما
 استولى ملك يجسده ويريد في رونقه ويجعل له علامة باسمه كما يريد ثم أخرج الوزير
 زخرف تحت العادل وزخرف الايوان على حسب نسقه القديم وأحضر التاج والسيوف
 المعدة لايام النصر ومقابلات الملوك من الخبا وطالماتحسر القيمان على عدم وجود هذه
 الذخائر فلما تهلل صبح السعد بنور المراد دخل الوزير على مولاه وكان بخزينة الخبا
 مع النديم فاخذته الى خلوة المحفل وعطره بالعنبر والعود وألبسه كسوة رسم الخلافة
 وكلله بالتاج وقلده بسيوف النصر والاقبال وجلس على تخت ملوكيته وصفت العلماء
 عن يمينه والامراء عن يساره فامر بالحضار تختي القيمين فأكبهما الوزير على الارض في
 آخر المجلس مقابلا مولاه وقال احضر وهما فاسرعت الرجال وآتوا بهما محمولين فامر أن
 يلقوهما على مقابلي تختهما ثم أمر الوزير بحضور رجالهما المقربين وصفوهم امامهما
 بقيودهم وأغلالهم وعمرت مدافع النصر وطبول العود وأمر الوزير بان ضرب المدافع
 ودق الطبول يكونان في نفس واحد فاتحد ذلك في دفعة واحدة فهاجت بغداد بأسرها
 فجأة ولم تدرك الناس ما الخبر لان الرجال والعلماء الحاضرين من آل الخبا وعصبة
 الخلفاء فكرت الناس تجاه القلعة مع الشمس فرأوا علم العادل وراياته وأعلام الاندال
 وراياتهم منكوسين فصاحت الرجال أهلا بهذا العلم أهلا برايات المنان أهلا بآيات
 الهنا ثم هروا الى الدخول حتى انشجنت القلعة بالرجال وما بقي قاموا على أبوابهم فقرأوا
 الملك على تختة بتاجه وسيقفه والوزير عن يمينه والنديم عن يساره فانكبوا على الارض
 وصاروا يبرغون وجوههم قائمين أغثناب ذلك يا عادل لان مدوحا كان أكثر شهما بآبيه ولم
 ينقص سوى لحيته فاشار اليهم الوزير بالصمت فامسكوا عن الحديث وراق المحفل

فنادى الوزير يا عباد الله هذا الملك مدوح خليفته خليفتم قد رده الله عليكم وهو في أحسن
خلق في العدل والانصاف فكونوا مطمئنين في تهذيب أخلاقه واعلموا أن ما سبق منه
من أفعال السوء ليست منه بل كانت من نفاق هذين المنافقين وقد حاق مكرهما بهما
فصفت الرجال معاني بالجد حتى غلب الصفيق على صوت المدافع ثم التفت إلى خبير
وقال بادري أيها الطبيب القوم بالابقاظ فراق المحفل وجلست الرجال على مراتبهم وقام
خبير وأخرج قدحا من جيبه فيه سعوط وأخذ منه بين أصبعيه وصار إليهم وأمر به
أن يأخذوا مثله ويتشعقوا تلك الجنات ردفعه واحدة فاشتقوهم وكان دشنام أول
مستيقظ ففتح عينيه وصار يلتفت يمينا وشمالا ويقول من دهشته مخاطبا نفسه أيها
الملك دشنام ما أشأم هذا المنام يا أبا السعد السديد ما هذا الوثاق الشديد معاذ
الله أن يستولى على التخت هذا الطريق الدليل وحمانا الله أن يقوم ما يجانبه ماله وعقيل
وأما غدر فقد وقفت انساغا عينيه بوجه مدوح وهو يقول أيها الملك غدر ما أردى هذا
المنام المنظور أقام يوم النشور وبعث الله من في القبور يا أبا مدوح النصيب ما هذا
الوثاق المصيب أستغفر الله أن أقول هو مدوح المالك أعوذ بالله أن أقول هذا
عقيل ومالك فأمر الوزير رجال محفله أن ينادوا عليهم بقولهم بخاة اختنقا بالكم أيها
الخانثان ولا قيا ويلكما أيها الظالمان فهذه عاقبة المنافقين ولعنة الله على الكافرين
فلباصحت الناس طرافز عوافرة عظيمة وصفق أغلب الرجال الموثوقين فقال الوزير
رافع صوته اعلموا أيها الناس أن من سمى اسمه العادل فدعما بعدله وأعاد دولة العادل
لولده بكرمه وفضله وسلم الحق الحق لمن هو به أحق وحق المسكر السيئ بأهله وتحقق
وقد رفع العزيز لهذا الملك أعلام سعده وبخته وسر السلطان ابن الساطن بتاجه وتخته
فهو الذي قدروه هدى وحف بعنايته من اهتدى وعاقب الظالم بجرع كؤوس الردى
وبشر الصابرين وقهر العدا قبل النشور والندا وقال في تنزيله أيحسب الإنسان أن
يتروك سدى فهذا خليفتم مدوح خلاصة سلالة الملوك قد تمسك بالعروة الوثقى في
العدل والساووك وتقلد بالهدى وبايعته المسلمون وتتوج بالفوز وصار خليفة الملك
المصون فليبتل بالجد من كان إليه مشوقا فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل
كان زهوقا ثم عند ذلك توجه الملك بالتفاتة إلى حضار محفله وقال أسألكم بعدل أبي
وجدى أن تبسطوا ما قيمته من ظلم الخائنين بعد أبي وبعدى فسالت مدافع القوم
كلهم راق وهدر كالسيل من الآفاق وقالوا أخذ هذان الكبان ضياعنا وغصبا
متاعنا ونهبنا ما انتخبنا من القصور وأسكننا ظلمنا بالخيام فوق الجسور فاذا أردنا
شرح جور مالاته الفوس لا تسكاد نسعه الطروس فحمد الله الذي أبهم بيننا بيننا
ومن علينا بغاية منيتنا وقد محت رؤية خليفتنا كلها أقيناه وصرفنا كائناتنا لقينا شيئا
بما أقيناه فقال الملك كل ما فاتكم مردود عليكم وكل ما أخذ منكم سيرجع إليكم فإ

قولك أيها الوزير اصعد بالحق الجدير قال مولاي حتى يتم بالسعود هذا اليوم
 المشهود وتخصر في الغداة كل ماملئكه هذين النذير وكل من كانت له حاجة من الضياع
 أو العقارات ترد إليه بالسلاسل وتسلم أوراقها لصاحبها الأصلي ويعرضها على الاعتبار
 السنيه ونضرب لهذا الحزب الطاغى خيمة واسعة وتساق العصابة إليها بأزاء القلعة
 العاهرة ويحبسون فيها هذه الونقة الشديدة وترتب لهم من العبيد من يناولهم القوت
 حذرا أن يموتوا جوعا وأما بنخيت ومحبوب وهما العبدان المعهودان فيكونان لتعذيب
 هذين الخائنين لأنهما طامعا ذباهما في المدة السابقة كما عهد الملاك ثم أن كل خصم يستلم
 متاعه من خصمه وكيفية التسليم أن يسحب الخصم بوثاقه إلى محل الحاجة قريبا كان
 أو بعيدا مشيا ويسمع بالأمر من يكون حاضر أو يستلم أوراقه أمام الخصم والحاضرين
 ويرجع الموثق بوثاقه إلى خيمته وأما الحرم والأطفال فتساق إلى خانقاه الجبل ويقدر
 الملاك أقواتهم وتصرف من باب الصدقة حتى ترد الحقوق لأصحابها وانبت الرأي على
 ذلك وأمر الوزير بكتابه يكتبان الأمر على هذه الصفة فلما سمعت الرجال هذا القول صارت
 تتلظى فلما كانت الغداة ذهبوا إلى الخيمة واستقروا قليلا ثم أخذوا التسليم الحقوق
 على حسب ما تقرر وقد تهنه زخرفة المدينة ورفعت رايات البشر والزينة ومكنت
 الزينة سبعة أيام ولما كان اليوم الثامن قدم الوزير على ديوان الحكم وقال أبشر يومك
 بالسعود والسرور والخط الموفور وهو أني عازم على إيران جلب العروس يوم الجمعة
 أن شاء الله فاستبشرت الرعية وبسطوا الألف بدوام العمار فلما كان يوم الجمعة تاهب
 الوزير بركبه للسفر وخرجت أكابر بغداد تشيعة والطبول تضرب والموكب يسبح حتى
 وصلا إلى مسافة بعيدة ثم أمر الوزير بالرجوع ثم بالاستعداد للمقابلة العروس على حسب
 ما رتبته من المواكب والزخرف لواجبات الوليمة فودعوه ورجعوا وأقبلوا على الملاك
 وأخرج ذلك المتاع بالأي عظيم من القلعة وأدخله قصر العروس وهو أحد القصور
 الأربعة التي أعدهم العادل لرفاف ولده وانساق نساء العصاة إلى التكية وهو
 القصر الرابع وما زالت الناس مهتمة في الاستعداد حتى أقبلت بشائر قدوم العروس من
 إيران في أهني الاوقات وامتلا القطر بالمسرات فخرجت أكابر الدولة للمقابلة بهم
 سعيدة وحيث وجوه القادمين يعود حياة جديدة فقدم الوزير قائد الزمام هو دج
 المصونة وفيه الدرة المكنونة ونطق بالجد كل لسان وصفق لصفاء الخط كل جناس
 وذبح على باب قصرها ما ينوف عن ألف من النعم الحسان ونثر بذلك الفضاء بنادق
 الذهب والجان وصفت النفوس بفسح قصر العروس وتقدم الهودج بستوره
 المكاملة بسيدة العصر إلى باب القصر رفعت ستوره وأنضح سروره وصعدت
 السيدة قصرها وهو فردوس الصفات عذى النغمات فامتلا بالنور وصفقت في
 أرجائه أجفحة الحبور وطربت الفرق بالخور وانتشرت الاتراب في القصور ولعت

مصايح الزجاجة بزيت الحظ الوفور وارتفع سنامشكاة تلك الليسلة الى الافاق قتلا
عطارد آية نور على نور وقد أدى الصلاة رب الزفاف بزارأيسه ثم سار بموكب بارباب
دولته وذويه والوزير والنديم ينثران بنادق اللجين والأكسير حتى التفت شمس
الرفعة بالبدر المنير وباتايديران كؤوس المراد السكرية ويتسداولان أقذاح الوداد
العبقريه ويجمع كل منهما انسانه بانسانه ويوارى شهادة الحب بقلبه ولسانه ولم تحف
الاهدا ب تلك الليسلة بفنور الكرى وقالت الارواح للسنة دعني أسمع وأرى حتى
سطع النير الأعظم على النيرين وهنت الشمس بدر الدولة وقررة العين فتأهب الملك
لرسوم الخت والتاج وطلع مضاهي البدر في المعان بعدما استودع ريعانته لحب من
أنشاه. وعودها باسم من براها وكان الجهم في انتظاره لاسيما وزير رشاده ونديم
مراده وطبيب فؤاده فأقبل عليهم باهمج صباحة تجاوصد الاكباد وصائح مدافعة
تجلبت عن الأعياد وعرضت على أعتابه مراسم التبريك سراوحهرا وقدمت الرقاع
نظما ونثرا ثم استقرت أرباب الدولة على مراتبهم وقد انسأقت لهم التحف من السيدة
ولا قوا بكل سرور ذلك الانحاف وسعوا بكل حبور لتقبيل الاطراف وحسدوا الله
الذي رد عليهم تلك الخلاصة النقية وأعاد خليفة الدولة العادلة ومحاشعنا الظلم
بسنا الناصية المدوحية وداوى حراقة القلوب بمرامهم المساعي المالكية والخدم
العقلية فتوجه الخليفة نحو رعاياه والبشرى بلوح من ناصيته ويسطع من ثيابه
وقال أجد عزيزا أعاد على عزتي ومحاربتهم مصائب خنتي وردني كريعاً بعد غرقتي
واهانتني وأقرني على نخت اقبالي ودواتي فاقول وان كنت خليفة عليكم لكني أظهر
ما كنه الضمير اليكم بان هؤلاء الثلاثة عماد رفعتي وبروج دوام عزتي وسعادتي وقد
سلمتهم زمام العدل والوعاية والانصاف والوقاية وقد شهدت كشهادة أبي لهم بحسن
الادارة قبل وجودي وجاريتهم كجارهم في كل ارادة قبل ادراكي المقصودى فهم
أحق بالطاعة مني ومن انحرف عنها فقد انحرف عني ثم قال منشدا وأنشامعردا

رفعت يا فاق المناراني * وسما سنا التأييد من مشكاني
ونجوم سعدى أشرفت وتلا لآت * وتلا عطارد رقعتني آياتي
أبدى السعود كالنير دواتي * بارادة الوهاب منثني ذاتي
وانستأفني عزى كشوقى للما * مد كنت ألقى لاعج اللوعات
قلدت سيف الصبر كى بحراره * أسطو على محن الزمان العاقى
حتى قطعت به حبائل محنتي * وسلكت نهج الرشدي طياتي
ولكم أسال مدا معي في فدق * فبدت عقيقا مذجرت عبراتي
كم غرني زماني وختل سراهي * ماء لما ألقاه من غفلاقي
ولكم ثنى الدهر الخون مطيتي * وأنا خها في موطن الزفرات

وأنا المقر بما جنيت وليس لي * عذر سوى أسفى على هفواتي
فلا تشكرت شديدا لو لم تكن * ما كنت أدري زلتى لسماتي

ثم التفت الى المحتفلين قائلا جل من قال وبشر الصابرين فان من صبر ظفر وهاكياتي
لديكم عبرة بان اعتبر فعليكم اخواني بالتقوى والصبر والرضا والتسليم في الامور لما
جرى به القضا ولا تعدلوا عن سبيل الهدى واعلموا بانكم لا تتركون سدى فلا يغترنكم
المال والجاه وانفردوا لما خلقكم له الله ونهيو اللوقوف يوم العرض فهو الذى يدبر
الامر من السماء الى الارض فأحسنوا الخلق في التوكل عليه فان الامر منه
واليه (وأختم) قولى بالصلاة على حبيبه شفيع المذنبين وامام المتقين وسيد ولد آدم
أجمعين محمد المصطفى رسول رب العالمين عليه أزكى صلاة المصلين وأسنى تسليم
المسلمين أمدنا الله بشفاعته والمسلمين وهدانا بإمامته والمؤمنين يوم لا ينفع مال ولا
بنون الا من أتى الله بقلب سليم آمين آمين

انى بسطت الراحتين لكل من * يتلو كتابي سائلا من فضله
اهدأ روحى بالثانى مع الرجا * من خالق غفران ذنبى بعفوه

قد تم بحمد الملك المتعال طبع كتاب نتائج الاحوال تأليف ذات الفخر والمجد الغنية
براعتها عن المدح والحمد ربة العفاف والادب المشهور السيدة عائشة عصمت بنت
المرحوم اسمعيل باشا تيمور لازالت منازل الفضائل بنتائج فكرها عامره وأندية
المحاسن بثنائها عاطره فلقد جمعت من الفضل قليلا وكثيره ونظمت في هذا الكتاب
فرائد تزهو على الشمس المنيرة وقد تم طبعه الزاهى الزاهر ووضعته الانيق
الباهى الباهر بالمطبعة ذات الاتقان والتحرير المجاورة للعارف
بربه القطب الدردير ادارة ذى المفاخر والوفا حضرة محمد
أفندي مصطفى وذلك في أوائل جمادى الآخرة سنة
١٣٠٥ من هجرة ذى المعالى الفاخرة على

صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وعلى آله فى كل بدء

ونختم



حقوق الطبع محفوظة - خزانة الكتب - مكتبة